من هدى الرسول ﷺ

المسمى

سِفْرُ السَّعَادَةِ

للعلامة الشيخ

ابى طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى

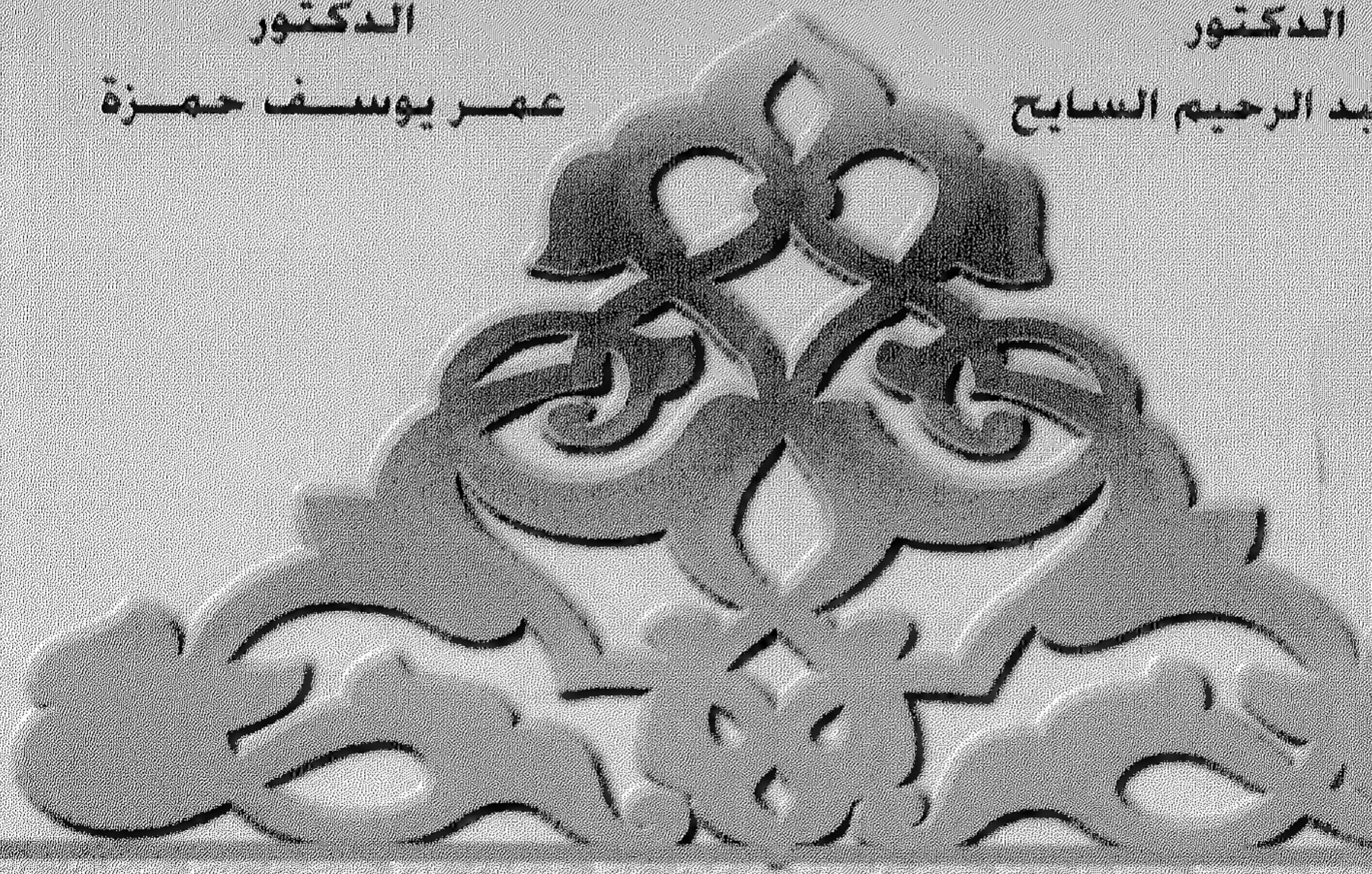
ضبط وتحقيق

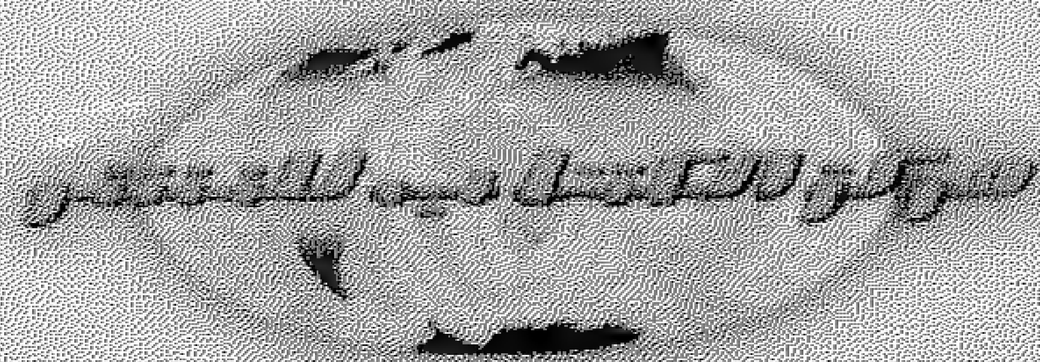
الدكتور

أحمد عبد الرحيم السايح

الدكتور

عمر يوسف حمزة





من هدى الرسول ﷺ

{المسمى}

سِفْرُ السَّعَادَةِ

للعلامة الشيخ

أبى طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى

المتوفى سنة ٨١٦ هـ

ضبط وتحقيق

الدكتور
أحمد عبدالرحيم السايح

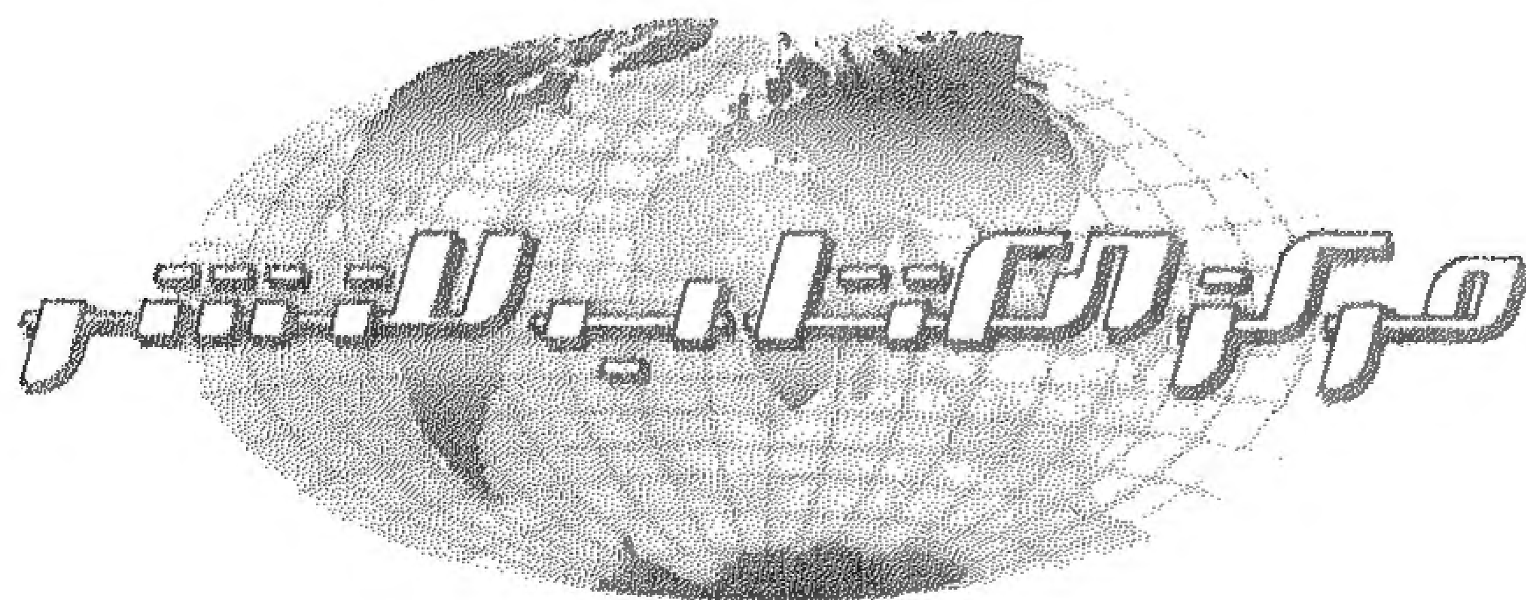
الدكتور
عمر يوسف حمزة



مركز الكتاب للنشر

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م



مصر الجديدة: ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
ت: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس: ٢٩٠٦٢٥٠

مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس - المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٢٣٩٨

المقدمـة

الحمد لله رب العالمين. الذى هدى السالكين طريق الحق إلى اليقين، وفتح أمام عباده أبواب الرحمة، ووهب الإنسان ما به أشرقت على النفس أسرار الموجودات.

والصلاة والسلام على محمد رسول الله المبعوث رحمة للعالمين، وهداية للناس أجمعين. قدوة أهل الحق، والباحثين عن اليقين.

أما بـعد

فإن من شأن النابهين، والباحثين عن العلوم، والدارسين للذخائر الإسلامية، وما تركه العلماء المسلمون، وأئمة الهدى. أن يقفوا علىٰ هذه الأعمال، التى عمرت بها قلوب، وجاهدت فى سبيلها نفوس.

وان الأمة الإسلامية، وهى تتطلع إلى مجد مشرق - إن شاء الله - لابد وأن تخطو وهى على بصيرة من أمرها. فتنظر إلى ماخلفه الأسلاف، من تراث منير. فى ذكر حال رسول الله ﷺ قبل نزول الوحى، وبعد نزوله: من عبادة، ومعاملة، ومعالجة أمراض القلوب، ومداواة الأجسام.

لقد أضاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه، كل الجوانب، بسلوكه، وخلقه، وعمله، وتوجيهاته. لأنه قدوة أهل الحق. قال تعالى فى سورة الأحزاب: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾ [**الأحزاب**: ٢١]

ولهذا انطلق العلماء، وأئمة الخير، يبحثون فى سيرة النبى ﷺ وشمائله وأحواله، ويؤلفون فيها المصنفات الشامخة. لتكون العلامات المضيئة فى الطريق.

وأمة تملك هذا الرصيد الضخم، من سيطرة الرسول ﷺ وسلوكه، وأحواله، وعمله.. لابد وأن تعود إلى رشدها، ورشادها. عندما تتحسس طريق الرسول، وتسترشد فيه الرشاد والحكمة.

ويعلم الله سبحانه وتعالى أن الأمة الإسلامية ـ وقد تكالبت عليها قوى مسعورة ـ فى أشد الحاجة، إلى أن تعود إلى سيرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه.

فكان لابد من مطالعة السيرة، فى أصولها التى تفيض بالعطاء والتجديد، وتأخذ بنا إلى طريق النجاة والفلاح.

إننا مطالبون بأن نقتدى برسول الله ﷺ، لنتمكن من جنى ثمار هذا الاقتداء، الذى يأخذ بالمسلمين إلى المجد الذى نحن فى أشد الحاجة إليه.

ولا يخفى أن الانتكاسات التى أصابت المجتمعات الإسلامية، ما كانت إلا نتيجة حتمية، لابتعاد المجتمعات، عن السلوك العملى، الذى كان عليه الرسول، صلوات الله وسلامه عليه.

وإن أمة تخطو على مجد مشرق، لابد وأن تعود إلى سيرة رسولها، تلتقط منها مايناسبها لتعيش حركة حية، ووعياً تاماً.

وإن الصحوة العملية التى تنتشر فى المجتمعات الإسلامية، لابد وأن يصاحبها وعى، بحركة الرسول ﷺ، حتى لا تتعرض هذه الصحوة لهزات الأعداء والعملاء، الذين يتربصون لكل عمل إسلامى، يأخذ بالمسلمين إلى طريق الوحدة والتضامن والأخوة.

حقا: إن كتاب: **(سفر السعادة)** للعلامة: الفيروزابادى، من الكتب النافعة المفيدة، والتى نحن فى أشد الحاجة إلى التداوى بها، والاطلاع عليها.

لقد دفع بنا إلى تحقيق هذا الكتاب القيم، ما رأيناه من حاجة المجتمعات الإسلامية، إلى رؤية هذا النبراس المضىء، الذى يحمل مشاعل النصر، والسداد لمن أراد النصر والسداد.

لقد اطلعنا على مخطوطات الكتاب، لنعود إلى الأصول الأصلية، وكان لهذا فائدته فى تصحيح الكثير من العبارات.

وعملنا قدر الإمكان، على تخريج الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، وهذا كله اقتضى جهدا، ومعايشة تامة، لأمهات كتب التفسير، والأحاديث النبوية، والمعاجم اللغوية.

ولايخفى: أن المرحلة التى قضيناها، فى تحقيق كتاب «سفر السعادة» كانت وبحمد الله تعالى رحلة علمية رائعة، رغم مالقينا فيها من صبر، وجهد.

وإن المرء الذى يقلب بطون أمهات الكتب، باحثا، ودارساً، يجد نفسه فى قمة السعادة، لأنه يعثر على كنوز دفينة، من حقها أن تبرز إلى القارئين، والدارسين، والباحثين. ليفيدوا منها فيما يقولون، ويتناولون.

ومن شأن الأمة الإسلامية، وهى تتطلع إلى حضارة تربط بين ماض أصيل، وحاضر يحتاج إلى جهود. أن تعرف هذه الكتب الراسخة.

نسأل الله عز وجل أن ينفع به. وهو ولى التوفيق

الدكتور/ **أحمد عبد الرحيم السايح** الدكتور/ **عمر يوسف حمزة**

الفيروزآبادى

الفيروزآبادى، مؤلف كتاب **(سفر السعادة)** علم من الأعلام المشهورين، الذين ظهروا فى أوائل القرن الثامن الهجرى. فى وقت كانت الحاجة إليهم ماسة. وهو الإمام الشيخ: أبو طاهر محمد، بن يعقوب، بن إبراهيم، بن عمر، بن أبى بكر، بن محمود، بن إدريس، بن فضل الله، بن الشيخ أبى إسحاق إبراهيم بن على، بن يوسف قاضى القضاة مجد الدين الصديقى الفيروزآبادى الشيرازى، اللغوى.

قال الحافظ ابن حجر: (وكان يرفع نسبة إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه، ولم يكن مرفوعاً فيما قاله..).

ولد الفيروزآبادى (بكارزين) سنة ٧٢٩ من هجرة الرسول ﷺ ونشأ بكارزين. وفيها حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين. وكان ـ كما يحكى عنه ـ: سريع الحفظ. ويروى أنه قال: (لا أنام حتى أحفظ مائتى سطر).

وانتقل من (كارزين) إلى (شيراز) وهو ابن ثمان سنين. وأخذ العلم عن والده، وعن العلامة عبد الله بن محمود، وغيرهما من علماء (شيراز) وانتقل إلى العراق. فدخل (واسط) و(بغداد). وأخذ عن قاضيها، ومدرس المدرسة النظامية بها: الشرف عبد الله بن بكتاس. وجال البلاد الشرقية والشامية، ودخل بلاد الروم، والهند، وسافر إلى مصر، وأخذ عن علمائها، ولقى الجمع الغفير من أعيان الفضلاء. وأخذ عنهم علما وفيراً.

والفيروزآبادى، كان بارعاً فى الفنون العلمية المختلفة، ولاسيما اللغة العربية، فقد برز فيها، وفاق الأقران.

تقول المعاجم عنه: (لقد اطلع على النوادر، وجود الخط، وتوسع فى الحديث، والتفسير).

وبذل جهداً فى خدمة السلطان: (أبا يزيد بن السلطان مراد العثمانى) وقرأ عليه، وأكسبه مالا عريضا، وجاها عظيماً. ثم دخل (زبيد) فى رمضان سنة ٧٩٦هـ. فتلقاه الملك (الأشرف إسماعيل)، وبالغ فى إكرامه، وصرف له ألف دينار، وأمر صاحب (عدن) أن يجهز بألف دينار أخرى، وتولى قضاء اليمن كله.

واستمر القاضى الفيروزآبادى بزبيد عشرين سنة، وقدم مكة مراراً. وجاور بها، وأقام بالمدينة المنورة، وبالطائف، وعمل بها مآثر حسنة. وما دخل بلدة إلا أكرمه أهلها ومتوليها.

وبالغ فى تعظيمه وتقديره: شاه منصور بان شاه شجاع فى (تبريز). والأشرف صاحب مصر، وأبى يزيد صاحب الروم، وابن إدريس فى بغداد، وتيمورلنك، وغيرهم.

وقد كان (تيمورلنك) مع عتوه، يبالغ فى تعظيم الفيروزآبادى.

وكان العلامة (الفيروزآبادى) واسع الرواية. سمع من محمد بن يوسف الزرندى المدنى صحيح البخارى. وسمع من ابن الخباز، وابن قيم الجوزية، وابن الحموى، وأحمد بن عبد الرحمن المرادوى، وأحمد بن مظفر النابلسى.

والتقى بالشيخ السبكى، وولده: التاج، ويحيى بن على الحداد، وغيرهم بدمشق. وفى القدس أخذ من العلائى، والفارقى، والعز بن جماعة، وابن جهيل، وغيرهم كثير، وفى شيوخه كثرة.

وللفيروزابادى تصانيف كثيرة، كلها نافعة، وفائقة، ومفيدة.. منها:

- (القاموس المحيط) وهو كتاب عجيب فى موضوعه.
- (بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز) طبعه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة منذ سنوات، محققا فى ست مجلدات.
- (تنوير المقياس فى تفسير ابن عباس) طبع بإدارة التراث الإسلامى بدولة قطر منذ عدة سنوات.

- (تيسير فاتحة الاٰهاب فى تفسير فاتحة الكتاب).
- (الدر النظيم المرشد إلى مقاصد القرآن الكريم).
- (حاصل كورة الخلاص فى فضائل سورة الإخلاص).
- (عدة الحكام فى شرح عمدة الأحكام).
- (المغانم المطابة، فى معالم طابة).
- (سفر السعادة).

وغير ذلك من مطول ومختصر. لقد ترك للمكتبة الإسلامية عشرات الكتب والرسائل فى مختلف العلوم والفنون.

وقد توفى رحمه الله بمدينة (زبيد) فى ليلة الثلاثاء الموفية عشرين من شوال سنة سبع أو ست عشرة وثمانمائة من الهجرة. ودفن بتربة الشيخ إسماعيل الجبرتى، أسكنه الله فسيح جناته.



تقديم كتاب "سفر السعادة"

كتاب (سفر السعادة) للفيروزآبادى. كتاب جليل القدر. عظيم الفائدة. جعله صاحبه محتويا على فاتحة، وأبواب تحتوى على فصول.

وقد وضعه (الفيروزآبادى) انطلاقا من قول الرسول ﷺ: «الدين النصيحة» فكان أن لجأ إلى امتثال إجابة ملتمس كبير، من الذرية المقدسة النبوية ونبعة من الدوحة المكرمة المصطفوية، فى إثبات أبواب، ثبتت فى صحاح الأخبار المقدسة، من الطريقة الأنيقة المحمدية، والسنة الهينية النبوية.

يقول الفيروزآبادى: (فأجرينا القلم بها ـ بالسنة ـ لتكون دستوراً لمن أراد دلك هذه السعادة. فليعتمد عليها، فى باب العبادات، اعتماداً كليا).

والكتاب (سفر السعادة) الذى اعتمد فيه مؤلفه على أحاديث الرسول ﷺ. ينأى بالمسلمين عن الخلاف والاختلاف. والذى ابتليت به بعض فئات المجتمعات الإسلامية.

إن هذا (السفر الجليل) انطلاقة كبرى بالعابدين، وعباد الرحمن، الذين يلتزمون بمنهجية الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، فى الأخذ بالتيسير، والأيسر.

إن الكتاب يأخذك إلى حال الرسول، وطهارته، وصلاته، وقيامه، وخطبه، وصلاته العيد، وعاداته فى حال قراءة القرآن، وسماعه، وبكائه. وعادته فى تفقد المريض. كما ينبهك إلى صيامه صلوات الله وسلامه عليه، وحجه. والسنة النبوية فى العقيقة. ويبين لك حقيقة أذكار النبى ﷺ فى الأذن، والسلام، والاستئذان، والسفر.

ويوضح لك عموم أحوال الرسول صلوات الله وسلامه عليه ومعاشه: من اللباس، ومعاشرة الأزواج، والنوم، والركوب، وعلاج الطاعون، والوباء، والاستسقاء، وذات الجنب، وإصلاح الطعام والشراب، وعلاج

السم، والمعالجة بالأدوية الروحانية، والطبيعية، وعلاج الكرب، والغم، والهم، والحزن.

ويحكى لك الكتاب (سفر السعادة) العادة النبوية، والجماع، والباه، والقرض، والسلف، ومشيه صلى الله عليه وسلم، وكلامه، وسكوته، وضحكه، وبكائه. وهناك الكثير من فصول الكتاب التى تفرعت عن فصول أخرى.

إن الكتاب موسوعة شاملة، وذخيرة من الذخائر. وقد ختمه الفيروزآبادى بخاتمة سماها: (خاتمة الكتاب).

وخاتمة الكتاب: فريدة فى موضوعها. وقد بدأها بقوله: (فى الإشارة إلى أبواب روى فيها أحاديث، وليس منها شيء صحيح، ولم يثبت منها عند جهابذة علماء الحديث، وإن كانت فى غاية الاختصار. لكنها تشتمل على علوم تدخل فى حد الاكثار).

والخاتمة التى وضعها العلامة الفيروزآبادى، لكتابه: (سفر السعادة) وضعت الأمور فى مواضعها. من قضايا يدور حولها اختلاف، وخلاف، ويشغل الناس أنفسهم بهذه الخلافات، التى تبعثر جهود الدعوة الإسلامية، والدعاة.

وتأمل ماجاء فى هذه الخاتمة من قضايا تجد عجبا. والتى منها على سبيل المثال:

* (لاينبغى أن يعلم أن باب الإيمان. وماهو مشهور. كالإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص، والايمان لايزيد ولا ينقص. لم يثبت عن حضرة الرسول فيه حديث).

* (وباب كلام الله قديم غير مخلوق. وفى هذا المعنى وردت أحاديث بألفاظ مختلفة. ولم يصح عن حضرة صاحب الرسالة فيها شيء).

* (باب فضائل القرآن: من قرأ سورة كذا فله كذا. مجموع ذلك مفترى

وموضوع بإجماع أهل الحديث. والذى صح من باب فضائل القرآن». كذا وكذا. وقد بينه.

* (وباب القنوت فى الفجر والوتر. لم يصح فيه حديث).

* (وباب زكاة الحلى لم يثبت فيه شيء).

ونحن لانريد أن نسترسل، فى ذكر الأمثال.. فخاتمة كتاب (سفر السعادة)، مليئة بالإشارة، إلى هذه الأمور التى يدور حولها اختلاف بين شبابنا وليست هى من الدين بل هى كمال قال الفيروزآبادى: (من وضع الزنادقة) والمفترين، والوضاعين.

إن الكتاب: (سفر السعادة) جد ثمين، ومفيد فى موضوعه. وسوف يجد فيه كل مسلم مبتغاه.



كتاب سفر السعادة تصنيف
الشيخ الإمام العالم العلامة
مجد الدين الشيرازي اللغوي الفيروزابادي مصنف
كتاب القاموس في اللغة وغيره من المصنفات
رحمه الله ورضي عنه ونفع بعلومه المسلمين
آمين

وقال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الدوسري ... (مادحًا هذا الكتاب)

علا قدر هذا الكتاب وكم عليه ... من جواهر كنز للإفادة
ومن جواهر تعلو وتغلو ... مسهلة لمن رام السعادة
سعيد في الورى من حازه ... ولا عجب فذا سفر السعادة



اللوحة الخطية التى تحمل اسم الكتاب «سفر السعادة»

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

بعد الحمد والثناء على حضرة من تلبس بآلائه والصلاة والسلام المتوالية
على من بهرت الأنبياء وعلا منزلة العلياء وعلى آله وأصحابه الشهداء
وعلى أرواح أنشأ بعد من الرضا من أوليائه فلتحل طايعة الأحباب
وذا أصحاب ورمز العقلاء مرجوة الألباب أرض يوالحوا من موارد من
المستقيم من أجل أن على أنه من الحق من أنه أشبه الأهم والجليل والنور
الأسنى والأسماء وسلوكها بعزيمة ملامح وحيث بالهم وأما كل ما لم
يكن بلا جرم أن من تنبه صدر لما للمعنى على أن اتباع من
الهداية وكيف من الخير من حضرة الرحمن المصطفى صلى الله عليه وسلم
والاهتداء بسنة جنابه المعروف من سببه انتهاء الأبدية وموجب
للقرب والوصول إلى الحضرة الربانية والوسيلة منها أشهر والأهم بعد
منها الدين ومضادها ما قلناه قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله ومعهم الكلمة الجامعة النبوية الدين النصيحة الجامعة
إلى المشتاق إجابة ملتمس كيف من الرتبة المغروسة النبوية وبعينه من

الرحمة

اللوحة الأولى من مخطوط «سفر السعادة»

طلب ... [illegible] ... جميع البعض ... [illegible]

فيه ... [illegible] ... [illegible]

وباب ... فيه حديث ... عرضوا على كتاب الله فإن وافقه

فاقبلوه وإن خالفه فردوه لم يثبت فيه شيء بل هذا الحديث من أوضع الموضوعات

من وضع الزنادقة وباب إثم من ترك القرآن ونسيانه ومثله معه وجاء في حديث

أخرجه ... البعير ... منسيًا لقي الله ... في حديث فيقول

... الحكم في القرآن ... وإنه ... القرآن ومثله معه وباب

انتفاع أهل العراق بالعلم والمشي إلى طلب العلم حافيا والتملق في

طلب العلم وعقوبة المعلم الجائر على الصبيان والاعتداد بالعقل على

المعلمين لم يصح فيه شيء وباب العلاكة وذم ... ومدح ... لم يثبت فيه

شيء وباب إنشاد الشعر بعد العشاء ... العرض بإعطاء الشعراء

وذم التعصب بغير حقه ومن عيّن العلماء الذين يمشون إلى السلطان

وفضل محبة العلماء وزيارة الطلبة قبور العلماء لم يثبت فيه شيء

وباب افتراق الأمة إلى اثنتين وسبعين فرقة لم يثبت فيه شيء

والله أعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وصحبه وسلم تسليما كثيرا ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين

تم الكتاب المبارك بحمد الله تعالى وحسن توفيقه

اللوحة ماقبل الأخيرة من مخطوط (سفر السعادة)

اللوحة الأخيرة من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

بعد الحمد والثناء على حضرة ذى الكبرياء، والصلاة بلا نهاية على رئيس الأنبياء، وخلاصة الأصفياء، وآله وأصحابه الأتقياء، وعلى أرواح التابعين من الصالحين الأولياء.

فلتعلم طائفة الأحباب والأصحاب، وزمرة العقلاء من ذوى الألباب، أن طريق الحق، الذى هو الصراط المستقيم، من أجل أن غاية ذلك هو الحق جل شأنه، أشرف الطرق وأجلها، وأنور السبل، وأكملها، وسلوكها بغير متابعة هاد ماهر، وخريت[1] باهر، لايمكن بل لايتصور. لاجرم أن من تشرف بدرك هذا المعنى، علم أن اتباع سيرة رئيس الهداة، وكبير من اختير من حضرة الرحمن محمد المصطفى ﷺ، والاهتداء بسنة جنابه المقدس، هو سبب النجاة الأبدية، وموجب القرب والوصول إلى الحضرة الربانية.

ولا وسيلة منها أشرف ولا طريقة منها أقرب، ومصداق ماقلنا قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[2] ومفهوم الكلمة الجامعة النبوية «الدين النصيحة»[3] ألجأنى إلى امتثال إجابة ملتمس كبير من الذرية المقدسة النبوية،

---

(١) الخريت: الدليل الحاذق بالدلالة. كأنه ينظر إلى خرت الإبرة. قال رؤبة العجاج:

أرمى بأيدى العيس إذ هويت ... فى بلدة يعيا بها الخريت

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٣١.

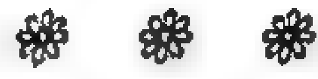
(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه برقم (٥٥)، وأخرجه أبو داود فى سننه برقم (٤٩٤٤)، وأخرجه النسائى فى سننه (جـ٧ ص١٥٦)، وأورده النووى فى رياض الصالحين (ص ١٢٤ برقم ١/ ١٨١). والحديث أخرجه مسلم وغيره كاملاً بلفظ: «الدين النصيحة» قلنا لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» عن تميم بن أوس الدارى.

وأخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب الإيمان (باب قول النبى ﷺ): «الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. . . (جـ١ ص٢٢) عن زيادة بن علاقة. بنحو ما أخرجه مسلم، وأخرجه من وجه آخر عن قيس بن أبى حازم، عن جرير.

ونبعة من الدرجة المكرمة المصطفوية فى إثبات أبواب ثبتت فى صحاح الأخبار المقدسة، من الطريقة الأنيقة المحمدية، والسنة السنية النبوية، فأجرينا القلم بها لتكون دستوراً لمن أراد دروك هذه السعادة، فليعتمد عليها فى باب العبادات اعتماداً كلياً ولايعبأ بخلاف زيد وعمرو.

فإن هذه المسائل ستكسب على وجه ثبت عن رسول الله ﷺ بأسانيد صحيحة، وكل متعبد أتم سلوك هذا المنهج المستقيم، بطريق الإخلاص أمكن يد طلبه التعلق بطرف مقصوده وتخلقت طينته الطيبة بالأخلاق المقدسة النبوية إن شاء الله تعالى.

وهذا سفر[1] السعادة جعلناه محتويا على فاتحة. وخاتمة. وأبواب تحتوى على فصول ونأمل أن تحيط أنوار أسراره بالكافة. وتكتنف (العامة) إن شاء الله تعالى.



(١) السفر: بالكسر الكتاب والجمع (أسفار). قال الله تعالى: ﴿كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾ «سورة الجمعة آية ٥. وانظر مختار الصحاح (ص ٣٠٠).

فاتحة الكتاب

فى ذكر حال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نزول الوحى وبيان عباداته فى تلك الأيام

لما بلغ ﷺ سبع سنين، وتوفى جده عبد المطلب، وافتخر عمه أبو طالب بشرف كفالته وتربيته، أمر الله تعالى ـ شأنه ـ إسرافيل ـ عليه الصلاة والسلام- أن يقوم بملازمته، فكان قرينه دائما إلى أن أتم إحدى عشر سنة، ثم أمر جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ بملازمته تسعا وعشرين سنة، بطريق المرافقة والمقاربة، لكن لم يظهر له.

وفى بعض الروايات الصحيحة: أن إسرافيل ظهر له فى ملازمته مراراً وكلمه بكلمة وكلمتين، وقبل نزول الوحى بمدة خمس عشر سنة، كان يسمع صوتاً أحياناً، ولايرى شخصاً. وسبع سنين كان يرى نوراً، وكان به مسروراً ولم ير شيئا غير ذلك.

ولما قربت أيام الوحى أحب الخلوة، والانفراد فكان يتخلى فى جبل حراء وهو على ثلاثة أميال[1] من الكعبة، وبه غار صغير، طوله أربعة أذرع وعرضه ذراع وثلث فى بعض المواضع، وفى بعضها أقل. واختار محل الخلوة هناك.

وللعلماء فى عبادته فى خلوته قولان: قال بعضهم: كانت عبادته بالفكر، وقال بعضهم بالذكر، وهذا القول الصحيح، ولا تعريج على الأول ولا التفات إليه، لأن خلوة طلاب طريق الحق على أنواع:

الأول: أن تكون خلوتهم لطلب مزيد علم الحق من الحق، لابطريق النظر والفكر، وهذا غاية مقاصد أهل الحق، لأن من خاطب فى خلوته كونا من

---

(١) اختلاؤه فى غار حراء أورده كثير من أهل العلم المحققين انظر: صحيح البخارى بشرح فتح البارى (ج١ ص ٢١)، وانظر الجزء العاشر من فتاوى الشيخ ابن تيمية رحمه الله، وعيون الأثر لابن سيد الناس (ج١ ص٥٣)، وانظر تاريخ الطبرى (ج٥ ص٤٩٨).

الأكوان، أو فكر فيه فليس هو فى خلوة. قال شخص من طلاب الطريق لبعض الأكابر: اذكرنى عند ربك فى خلوتك. قال: إذا ذكرتك فلست معه فى خلوة، ومن ثم يعلم سر «أنا جليس من ذكرنى»[1]، وشرط هذه الخلوة، أن يذكر بنفسه وروحه لا بنفسه ولسانه.

الثانى: أن تكون خلوتهم لصفاء الفكر، لكى يصح نظرهم فى طلب المعلومات، وهذه الخلوة لقوم يطلبون العلم، من ميزان العقل، وذلك الميزان فى غاية اللطافة وهو بأدنى هوى يخرج عن الاستقامة.

وطلاب طريق الحق لايدخلون فى مثل هذه الخلوة، بل تكون خلوتهم بالذكر، وليس للفكر عليهم قدرة ولا سلطان. ومهما وجد الفكر طريقا إلى صاحب الخلوة، فينبغى أن يعلم أنه ليس من أهل الخلوة، ويخرج من الخلوة، ويعلم أنه ليس من أهل العلم الصحيح الإلهى، إذ لو كان من أهل ذلك لحالت العناية الإلهية بينه وبين دوران رأسه بالفكر.

الثالث: خلوة يفعلها جماعة لدفع الوحشة، من مخالطة غير الجنس، والاشتغال بما لايعنى، فإنهم إذا رأوا الخلق انقبضوا. فلذلك اختاروا الخلوة.

الرابع: خلوة لطلب زيادة لذة، توجد فى الخلوة، وخلوة حضرة صاحب الرسالة من القسم الأول، وكان بعيداً جداً من جميع المخالطات، حتى من الأهل، والمال، وذات اليد، واستغرق فى بحر الأذكار القلبية، وانقطع عن الأضداد بالكلية، وظهر له الأنس والجلوة، بتذكر من لأجله الخلوة، ولم يزل فى ذلك الأنس، ومرآة الوحى، تزداد من الصفاء والصقال، حتى بلغ أقصى درجات الكمال، فظهرت تباشير صبح الوحى، وأشرقت وانتشرت بروق السعادة وتألقت، فكان لايمر بشجر، ولا حجر، إلا قال بلسان فصيح: السلام عليكم يا رسول الله.

---

(١) أخرج الشيخان حديثاً بنحوه ولفظه: أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير منهم» متفق عليه أخرجه البخارى (ج١٣ ص٣٢٥، ٣٢٦)، ومسلم برقم (٢٦٧٥)، وأخرجه الترمذى برقم (٣٥٩٨).

فكان ينظر يمينا وشمالاً، ولا يرى شخصا ولا خيالا، فبينما هو فى بعض الأيام قائم على جبل حراء، إذ ظهر له شخص فقال: أبشر أنا جبريل وأنت رسول الله لهذه الأمة، ثم أخرج له قطعة نمط من حرير مرصع بالجواهر ووضعها فى يده ﷺ وقال: اقرأ. قال: «والله ما أنا بقارىء ولا أرى فى هذه الرسالة كتابة»[١] قال: فضمنى إليه وغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أطلقنى وقال: اقرأ: فقلت: «لست بقارىء» فغطنى حتى بلغ منى الجهد. فعل بى ذلك ثلاثا وهو يأمرنى بالقراءة.

ثم قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[٢] ثم قال: انزل عن الجبل، فنزلت معه إلى قرار الأرض، فأجلسنى على درنوك وعليه ثوبان أخضران، ثم ضرب برجله الأرض فنبعت عين ماء فتوضأ جبريل منها: تمضمض واستنشق وغسل كل عضو ثلاثا، وأمر النبى ﷺ أن يفعل كفعله. فلما تم وضوءه أخذ جبريل كفاً من ماء يفرش به وجه الرسول، ثم قام وصلى ركعتين والرسول مقتد به ثم قال: الصلاة هذا.

ولما فرغ من الوضوء والصلاة والتعليم غاب جبريل، وجاء الرسول إلى مكة وقص على خديجة القصة، وعلمها الوضوء والصلاة[٣]. فناسب بعد تمهيد هذه الفاتحة أن نبتدىء أبواب العبادات النبوية بذكر كيفية الوضوء والصلاة، ونلحق بها الصيام، والأدعية وغيرها من العبادات إن شاء الله الكريم.

---

(١) هذا جزء من حديث طويل أخرجه الشيخان وغيرهما بتمامه، انظر صحيح البخارى كتاب الحيل، باب التعبير (جـ٨ ص٦٧)، ومواضع أخرى انظر فتح البارى لابن حجر (جـ١٢ ص٣٥١ - ٣٥٢) و(جـ١ ص٢٢)، و(جـ٨ ص٧١٥، ٧٢٢) وأخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحى (جـ١ ص١٣٩).

(٢) سورة العلق: ١ - ٥.

(٣) ماورد فى الصحيحين فيه اختلاف فى بعض ألفاظ الحديث الذى أورده المصنف فى كتابه، وبعد البحث لم أجد ألفاظ المصنف بعينها فى كتب الحديث إلا أن أصل الحديث بنحو ألفاظ المصنف قد ورد فى دواوين السنة انظر: صحيح البخارى (جـ٨ ص٦٧) وصحيح مسلم (١/ ١٣٩).

باب طهارة حضرة صاحب الرسالة ﷺ

كان فى غالب الأوقات، يتوضأ لكل فريضة من الصلاة، وفى بعض الأوقات يصلى بوضوء واحد عدة من الصلوات، ومقدار الماء الذى كان يصرفه فى الوضوء دون الرطلين، وكان لايزيد على أربعة أرطال، وربما توضأ بنحو ثلاثة أرطال. وكان يبالغ فى الأمر بتقليل الماء ويبالغ فى النهى عن كثرة استعماله.

وقال: «إن للوضوء شيطانا اسمه ولهان فاحترزوا من وسوسته»[(١)]، ومر ﷺ بسعد بن أبى وقاص وهو يتوضأ فقال: «لا تسرف فى الماء». قال سعد: وهل فى الماء إسراف؟ قال: «نعم وإن كنت على نهر جار»[(٢)] وصح عنه ﷺ أنه توضأ وغسل أعضاء الوضوء مرة مرة ولم يزد، وتوضأ وغسلها مرتين مرتين، وتوضأ وغسلها ثلاثا ثلاثا[(٣)]، وتوضأ فغسل بعضها مرتين، وبعضها ثلاثا، وتضمض واستنشق بغرفة وبغرفتين، وبثلاث، استعمل نصف الغرفة فى المضمضة، ونصفها فى الاستنشاق، فعل ذلك متصلا فى الصور الثلاث.

ولم يرد فى شىء من الأحاديث الفصل، وحديث طلحة بن مصرف عن أبيه عن جده. أنه شاهد الفصل فى إسناده ضعف، وكان يستنشق باليمنى

---

(١) أخرجه الترمذى (١/ ٧٦، ٧٧) فى باب كراهية الإسراف فى الماء، وابن ماجه برقم (٤٢١)، وأحمد فى المسند (٥/ ١٣٦) وانظر ضعيف الجامع (٢٢٧١).

(٢) روى هذا الحديث الحكيم الترمذى فى كتابه (الأكياس والمغترين) قال: مر رسول الله ﷺ على سعد وهو يتوضأ. فقال: «ماهذا السرف ياسعد؟» فقال: أفى الوضوء سرف يارسول الله؟ قال: «نعم وإن كنت على شاطىء نهر» انظر: الأكياس والمغترين. وقد علم نهيه ﷺ عن الإسراف فى الماء واختباره أنه سيأتى قوم يعتدون فى الوضوء فمن جاوز ماقال الشارع: إنه يجزئ: فقد أسرف فيحرم. وعن أنس رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع، إلى خمسة أمداد. متفق عليه. رواه البخارى فى كتاب الوضوء باب (٤٧) الوضوء بالمد حديث (٢٠١) (ج١/ ٤، ٣).

(٣) جاءت الأحاديث الصحيحة بالغسل مرة مرة ومرتين مرتين وثلاثا ثلاثا وبعض الأعضاء ثلاثا وبعضها مرتين، والاختلاف دليل على جواز ذلك كله وإن الثلاث هى الكمال والواحدة تجزئ. وقد روى هذه الأحاديث التى تدل على جواز ذلك الأئمة أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجه انظر نيل الأوطار للإمام الشوكانى (ج١ ص١٧٢، ١٧٣)..

ويستنثر باليسرى ويمسح جميع رأسه مرة لايكرر. وروى التكرار فى حديث لكنه ضعيف.

وحيثما اقتصر على مسح بعض الرأس أتم على العمامة، ولم يترك المضمضة والاستنشاق أبداً، ولم يرو أحد عنه ذلك أبدا. وكان يتوضأ مرتبا متواليا، ولم يخل بالترتيب والتوالى أبدا. وكان يمسح جميع رأسه أحيانا، وأحيانا يمسح على العمامة، وأحياناً يمسح على الناصية[١] والعمامة.

ولم يقتصر على مسح بعض الرأس أبداً، وكان يمسح الأذن ظاهراً وباطناً، ولم يثبت فى مسح الرقبة حديث، وحيث لم يكن فى رجله خف غسل وإلا مسح، والأحاديث الواردة فى أذكار الوضوء لم يصح منها شيء، والذى صح أنه كان يقول فى أول الوضوء: «بسم الله» وفى آخر: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»[٢] «اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين[٣] سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك»[٤].

قال أبو موسى الأشعرى: جئت بماء الوضوء لرسول الله ﷺ فتوضأ وسمعته يقول: «اللهم اغفر لى ذنبى ووسع لى فى دارى وبارك لى فى رزقى»[٥] قال: قلت: يارسول الله سمعتك تدعو بكذا وكذا قال: «وهل تركت منى شيء؟». ولم يكن ينشف أعضاءه بعد الوضوء بمنديل، ولا منشفة. وإن أحضروا له شيئا من ذلك أبعده. والحديث المروى عن عائشة

---

(١) أخرج مسلم فى صحيحه عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه: «أن النبى ﷺ، توضأ فمسح بناصيته، وعلى العمامة والخفين» أخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الطهارة باب رقم (٢٣) حديث رقم (٢٧٥) (٠١ ٢٣١)

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه برقم (٢٣٤)، وأورده النووى فى رياض الصالحين (ص٤٣١ برقم ٩/ ١٠٣٢).

(٣) أخرج هذه الزيادة الإمام الترمذى فى سننه برقم (٥٥) وزيادة الترمذى حسنه، وانظر رياض الصالحين (٤٣١) ورواه ابن ماجه فى حديث أنس وابن السنى فى عمل اليوم والليلة وغيرهما.

(٤) أخرج هذا الحديث الإمام الحاكم فى المستدرك من حديث أبى سعيد بزيادة فى آخره. لم يذكرها المصنف، وصحح النسائى أنه موقوف، انظر سبل السلام (ج١ ص ١١٧)

(٥) لم نقف عليه. قال النووى: الأدعية فى أثناء الوضوء لا أصل لها ولم يذكرها المتقدمون.

رضى الله تعالى عنها: «كانت له نشافة ينشف بها بعد الوضوء[١]. وحديث معاذ فى معناه[٢] كلاهما ضعيف، وفى حالة الوضوء، لم يصب الماء عليه أحد إلا فى وقت ضرورة.

والحديث الوارد فى تخليل اللحية قَبِله بعض أهل الحديث ورده البعض، وأما تخليل الأصابع فكان يفعله أحيانًا، وورد تحريك الخاتم فى حديث ضعيف.

فصل

ثبت فى الأخبار الصحيحة: أن النبى ﷺ مسح على الخفين فى السفر والحضر، ومدة الحضر يوم وليلة، فيما أمر، وثلاثة أيام ولياليها فى السفر، وكان يمسح على ظاهر الخف[٣] وورد فى مسح أسفله حديث ضعيف، ولم يثبت فى الصحيح، وكان يمسح على الجورب. وحديث الجرموق رواه الترمذى وصححه وضعفه جماعة من الحفاظ، وكان لايقصد المسح ولا الغسل، لكن إن كان فى حالة قصد الوضوء لابساً، مسح وإلا غسل، ولم يكن يلبس ليمسح ولاينزع ليغسل، ولما كان للعلماء أقوال فى أفضلية المسح أو الغسل بينّا ليعلم أن أحسن الأقوال هذا الذى وافق العادة النبوية.

فصل

كلما تيمم ﷺ ضرب ضربة بكفيه المباركتين على الأرض الطاهرة ومسح بهما وجهه وظاهر كفيه[٤]، ولم يرد فى الحديث الصحيح أنه ضرب ضربتين

(١) أخرجه الترمذى وفيه أبو معاذ وهو ضعيف، وقال الترمذى: بعد أن روى الحديث ليس بالقائم ولايصح فيه شىء. انظر: الترمذى فى أبواب الطهارة، باب (٤١ـ جـ١ ص٧٦ ومابعدها).

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك، والترمذى فى سننه، أبواب الطهارة باب (٤١ ـ ١/ ٧٦).

(٣) انظر صحيح البخارى فى كتاب الوضوء باب (٤٩) حديث رقم (٢٠٦ ـ ١/ ٣٠٩)، ومسلم فى كتاب الطهارة باب (٢٢) المسح على الخفين، وأحمد (٢/ ٣٥٨ و٤/ ٢٤٥ ـ ٢٥٥).

(٤) انظر صحيح البخارى فى كتاب التيمم، باب (٨) التيمم ضربة، حديث رقم (٣٤٧) فتح البارى (١/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦) ومسلم فى كتاب الحيض، باب التيمم حديث رقم (٣٦٨ ـ ١/ ٣٨٠ ـ ٣٨١)، وأبى داود فى كتاب الطهارة، باب التيمم حديث رقم (٣٢١ ـ ٨٧ ـ ٨٨)، والنسائى (١/ ٧٠) فى كتاب الطهارة، باب تيمم الجنب.

على التراب، ولم يرد أنه مسح إلى المرفقين، وماورد من الأحاديث على خلاف ماقلناه فجميعه ضعيف.

وكان يتيمم من الأرض التى يقصد الصلاة عليها ولايفرق بين التراب والرمل وغير ذلك، وقال: «حيثما أدركت رجلا من أمتى الصلاة فعنده مسجده وطهوره»(١) وهذا الحديث صريح فى أن جنس الأرض طهور، ولم نجد فى حديث صحيح أنه تيمم لكل فريضة تيمما جديداً، بل أمر به مطلقاً، وأقامه مقام الوضوء، والله تعالى أعلم.

---

(١) راجع مصادر السنة السابقة فقد ذكرت هذا الحديث الذى ذكر منه المصنف طرفاً.

باب فى صلاة الرسول ﷺ

كان إذا قام إلى الصلاة قال: «الله أكبر» ولم يرو عنه التكلم بلفظ النية. وكان يرفع يديه مع التكبير حتى يحاذى[1] بهما أذنيه، وأحيانا يحاذى بهما كتفيه، ثم يضع يمينه على يساره فوق صدره كذا فى صحيح ابن خزيمة ثم يشرع فى دعاء الاستفتاح، وذلك مروى من عدة وجوه صحيحة.

الأول: رواية أمير المؤمنين على رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام الى الصلاة قال: «وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين، اللهم إنك أنت الله الملك لا إله إلا أنت، أنت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنوبى جميعاً أنه لايغفر الذنوب إلا أنت، واهدنى لأحسن الأخلاق لايهدى لأحسنها إلا أنت، واصرف عنى سيئها لايصرف عنى سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله بيدك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت استغفرك وأتوب إليك»[2].

الثانى: حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسكت بين التكبير والقراءة، فقلت بأبى وأمى أسكاتك بين التكبير والقراءة ماتقول؟ قال: أقول: «اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب، الله نقنى من خطاياى كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد»[3].

---

(١) انظر صحيح البخارى بشرح فتح البارى (ج٢ ص٣٠٥ ومابعدها)، وأبو داود (ج١ ص١٩٤ ومابعدها)، والترمذى فى أبواب الصلاة، باب ماجاء فى وصف الصلاة حديث رقم (٣٠٤ ـ ٣٠٥).

(٢) الحديث أخرجه مسلم بمثله فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب (٢٦) باب الدعاء فى صلاة الليل وقيامه حديث (٧٧١ ـ ١/ ٥٣٤ ـ ٥٣٦)، والنسائى (٢/ ١٢٩) فى الافتتاح، باب نوع آخر من الدعاء.

(٣) رواه البخارى فى كتاب الأذان، باب مايقول بعد التكبير حديث (٧٤٤ ـ ٢/ ١٢٧)، ومسلم فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب مايقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة حديث رقم (٥٩٨ ج١ ص٤١٩)، وأبو داود فى كتاب الصلاة. باب السكتة عند الافتتاح حديث رقم (٧٨١ ج١ ص٢٠٧)، والنسائى ٢/ ١٢٨ ـ ٢٩١) باب الدعاء بين التكبيرة والقرآن.

الثالث: حديث عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا استفتح الصلاة قال: «سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك»(١) .

الرابع: ورد فى حديث آخر أنه كان يقول: «الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الحمد لله كثيراً الحمد لله كثيراً الحمد لله كثيرا، سبحان الله بكرة وأصيلا، سبحان الله بكرة وأصيلا، سبحان الله بكرة وأصيلا، اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم ومن همزه ونفخه ونفثه»(٢).

الخامس: ورد فى رواية أخرى: «الله أكبر» عشر مرات ثم يسبح عشراً ثم يحمد عشراً ويهلل عشراً ويستغفر عشراً ثم يقول: «اللهم اغفر لى واهدنى وارزقنى» عشراً ثم يقول: «اللهم إنى أعوذ بك من ضيق المقام يوم القيامة» عشراً(٣).

السادس: ورد فى رواية صحيحة أنه كان يقول بعد التكبير: «اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعت بين المشرق والمغرب، اللهم اغسلنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد، اللهم نقنى من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس»(٤).

السابع: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض

---

(١) رواه مسلم بسند منقطع، ورواه الدارقطنى موصولاً وموقوفاً، ورواه الترمذى فى أبواب الصلاة باب مايقول عند افتتاح الصلاة حديث رقم (٢٤٣ ـ ٢/ ١١)، وأبو داود فى كتاب الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك حديث رقم (٧٧٦ ـ ١/ ٢٠٦)، ورواه الدارقطنى فى كتاب الصلاة، باب دعاء الاستفتاح بعد التكبير حديث رقم (٦ ـ ٧ ـ ٨ ـ ٩ ـ ج١/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠)..

(٢) رواه أبو داود بنحوه فى كتاب الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك حديث (٧٧٥ ـ ج١ ص٢٠٦)

(٣) لم نجده بهذا اللفظ الذى أورده المصنف. وأورد الترمذى قريباً منه (ج٢ ص١١)، وأبو داود (ج١ ص ٢٠٦)، والدارقطنى (١/ ٢٠٦).

(٤) متفق عليه، رواه البخارى فى كتاب الأذان (ج٢ ص١٢٧ ـ ٧٤٤)، ومسلم (ج١ ص٤١٩)، وأبو داود (ج١ ص٢٠٧)، والدارقطنى (١/ ٢٠٧).

عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك فإنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم»[١].

الثامن : من الروايات أنه كان يقول بعد التكبير: «اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق والساعة حق»[٢] .

وبعد هذه الأذكار يقول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة وكان يجهر بالبسملة فى بعض الأوقات، ويخفيها فى بعض الأوقات، وكان يقرأ مرتبا مرتلاً، ويقف عند آخر الكلمة ويقول: آمين بعد فراغ الفاتحة يجهر بها فى الصلاة الجهرية، ويخفيها فى السرية، ويوافقه فى التأمين المقتدون بأسرهم، وكان يراعى سكتتين فى الصلاة، سكتة بين التكبيرة وقراءة الفاتحة، وسكتة ثانية بين فراغه من الفاتحة وقراءة السورة.

وجاء فى بعض الروايات أنه كان يسكت بين القراءة والركوع، فتكون هذه سكتة ثالثة. لكنها كانت فى غاية اللطف والقلة، وكان يقرأ فى صلاة الصبح بعد الفاتحة سورة مطولة مقدار ستين آية أو مائة آية، وأحيانا يقرأ سورة ق، وأحيانا يقرأ سورة الروم، وأحيانا يخفف إلى حد أنه كان يقتصر على قراءة ﴿إذا زلزلت﴾ وأحيانا بالمعوذتين.

وكان فى السفر يقرأ أحيانا: ﴿إذا الشمس كورت﴾ وكان يقرأ فى صلاة فجر يوم الجمعة سورة: ﴿ألم تنزيل﴾ السجدة فى الركعة الأولى، ﴿وهل أتى﴾ فى الركعة الثانية، وتخصيص يوم الجمعة، بقراءة هاتين السورتين، لأنهما اشتملتا على ذكر المبدأ والمعاد، ودخول الجنة، وهذه المعانى تكون فى يوم الجمعة، لأن القيامة تكون فيه فلا جرم أن يذكر الأمة هذا المعنى بقراءة هاتين السورتين.

---

(١) انظر صحيح مسلم (جـ١ ص ٥٣٤ ـ ٥٣٦)، والنسائى (٢/ ١٢٩) فى الافتتاح، باختلاف عما أورده المصنف.

(٢) انظر نيل الأوطار للشوكانى (٢/ ١٢٩) ومابعدها.

كما أنه كان يقرأ المحافل الكبار، والمجامع المعظمة سورة ق، واقتربت، وأمثال ذلك. وأما صلاة الظهر فكان يطولها بحيث أنه كان فى بعض الأحيان بعد إقامة صلاة الظهر، يسير الماشى إلى قباء، ويرجع إلى الصلاة، ولم يكن يركع فى الركعة الأولى، وكان يقرأ أحيانا فى الركعة الأولى، مقدار ﴿الٓمٓ تَنزِيلُ﴾ السجدة، وحينا ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، أو ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ أو والليل، أو الانشقاق، أو والطارق، وما أشبه ذلك.

وأما صلاة العصر فكانت مقدار نصف صلاة الظهر فى الطول، وأحيانا أخف من ذلك، وأما صلاة المغرب فكان يطولها أحياناً بحيث أنه كان يقرأ سورة الأعراف فى الركعتين، يقرأ فى كل ركعة نصفاً، وحينا يقرأ الصافات، وسورة حم الدخان، وحينا سبح اسم ربك الأعلى، وحيناً والتين، وحيناً المعوذتين، وحيناً المرسلاتِ، وحيناً قصار المفصل. وقد صحت الروايات بهذا المجموعة، والسنة أن لا يواظب على نمط واحد من تطويل، وتقصير، بل يطول حيناً، ويقصر حيناً بحسب الحال والوقت[1] .

وأما صلاة العشاء فقد عين لمعاذ سورة والشمس، وسبح اسم ربك الأعلى،، أو والليل، ومنعه من قراءة البقرة ونحوها وزجره، وقال له صلى الله عليه وسلم: «أفتان أنت يامعاذ؟»[2]. وفى بعض الأحاديث عين له والسموات، يعنى: ﴿إذا السماء انفطرت﴾، والبروج، والطارق.

وأما صلاة الجمعة فإنه كان يقرأ فى الأول سورة الجمعة. وفى الثانية سورة المنافقين، وحين التخفيف يقرأ: ﴿سبح اسم ربك الاعلى﴾، والغاشية، وأما قراءة آخر سورة الجمعة فى الركعة الأولى، وآخر سورة المنافقين فى الثانية فمخالف للسنة.

وأما صلاة العيد، فكان يقرأ فيها سورة ق، وسورة اقتربت، وقد يقرأ

---

(١) ورد ما أشار إليه المصنف فى كتب السنة انظر على سبيل المثال: صحيح البخارى فى كتاب الأذان، باب (١٠٧) حديث رقم (٧٧٦ ـ ج٢ ص٣٦٠). ومسلم فى الصلاة، باب القراءة فى الظهر والعصر (ج١ ص٣٣٣)، وأبى داود فى كتاب الصلاة باب القراءة فى الظهر (ج١ ص٢١٢) والنسائى (ج٢ ص١٦٥).

(٢) متفق عليه رواه البخارى ومسلم، وأورده الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٢ ص٢٣٥).

سبح اسم ربك الأعلى، والغاشية[١]، وعلى هذا واظب إلى آخر عمره.

لا جرم أن الخلفاء الراشدين ساروا على طريقه فكان الصّديق رضى الله تعالى عنه يقرأ فى صلاة الصبح سورة البقرة، وأمير المؤمنين عمر رضى الله تعالى عنه كان يصلى الصبح حيناً بيوسف، والنحل، وحيناً بهود وبنى إسرائيل.

ولو نسخت إطالة الصلاة لما فعلها الخلفاء الراشدون. وفى حديث أنس كان رسول الله ﷺ أخف الناس صلاة فى تمام. والمراد من هذا الحديث أن طول صلاته بالنسبة إلى صلاة غيره كان قليلا فى الغاية كمعاذ مثلا، فإنه كان يقرأ فى صلاة العشاء سورة البقرة، والتخفيف أمر نسبى، وفى سنن النسائى ثابت أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: (كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالتخفيف ويأمنا بالصافات)[٢]. فقراءة والصافات، فى الصلاة من باب التخفيف الذى أمر به الصحابة، ولم يعين شيئا من السور، لشىء من الصلوات سوى الجمعة والعيدين.

قال عبد الله بن عمر: مامن سورة من طوال المفصل وقصاره إلا وقد سمعتها من رسول الله ﷺ يقرأها فى صلاة الفريضة، وكان يقرأ السورة بتمامها غالباً وفى النادر كان يقرأ بعض السور لبيان الجواز. وحيثما اقتصر على بعض السورة كان أولها فأما قراءة آخر السورة وأوسطها فإنه لم يرد، وكان يطول الركعة الأولى على الثانية دائماً، وكان يطيل صلاة الصبح على ما سواها من الصلوات، لأن النزول الربانى فى ثلث الليل الأخير، باق إلى انقضاء صلاة الصبح، وبعضهم يقول إلى طلوع الفجر وكلاهما مروى.

وبعض المشايخ يقول: لما كان فى عدد ركعات الصبح نقص كمل بالتطويل أو لأنها وقعت بعد الراحة بنوم الليل، أو لأنها وقت ليس فيه اشتغال بأمر المعاش والدنيا، وفيه يتواطأ القلب واللسان والسمع، ويسهل فيه تدبر القرآن، لاجرم تعين صرف تمام العناية إلى التطويل والتكميل.

---

(١) انظر صحيح البخارى باب(٩٩ ـ ج٢ ص٣٤٧)، ومسلم فى كتاب الصلاة، باب القراء فى الصبح(٤٣٦ ـ ج١ ص٣٣٨)، وأبى داود فى كتاب الصلاة، باب قدر القراءة فى المغرب حديث (٨١١ ـ ج١ ص٢١٤)، والنسائى (ج٢ ص١٦٩) والموطأ (ج١ ص٧٨).

(٢) انظر: سبل السلام (ج١ ص ٣٦٠)، ونيل الأوطار (ج٢ ص٢٣٥).

فصل

كيفية صلاة رسول الله ﷺ

كان النبى ﷺ : إذا فرغ من القراءة سكت قليلاً ثم كبر ورفع يديه، وركع وثبت كفيه على ركبتيه، وجافى مرفقيه عن جنبيه وسوى ظهره ورأسه من غير رفع ولاتنكيس وقال: «سبحان ربى العظيم» ثلاثاً، وفى بعض الأحيان كان يضم إلى ذلك: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى»[١] وقد يقتصر على هذا.

وطول ركوعه فى الغالب كان قدر قول القائل: «سبحان ربى العظيم» عشر مرات والسجود قريب من ذلك، وأما حديث البراء فى الصحيحين: رمقت الصلاة خلف رسول الله ﷺ فكان قيامه، وركوعه، واعتداله، وسجدته، وجلسته، مابين السجدتين قريباً من السواء. فإنه محمول على أنه كان يطول الركوع والسجود حيث كان القيام طويلاً ويخفف الركوع والسجود حيث كان خفيفاً.

وهذا التأويل متعين، لأنه كان أحيانا يقرأ سورة الأعراف، فلو كان الركوع والسجود والجلسة مقدار ذلك لتمت الصلاة فى نصف الليل، لكن فى الصحيح أنه كان ركوعه وسجوده فى بعض الأحيان قريباً من القيام، كما فى صلاة الخسوف، والكسوف، وفى التهجد أحياناً إلا أنه كان غالب حاله الاعتدال كما بيناه.

وكثيراً ماكان يقول فى ركوعه وسجوده: «سبوح قدوس رب الملائكة والروح»[٢] وفى بعض الأحيان كان يقول: «اللهم لك ركعت، ولك خشعت،

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الأذان (١٣٩) التسبيح والدعاء فى السجود وحديث رقم (٨١٧) فتح البارى (ج٢ ص٢٩٩)، ومسلم فى كتاب الصلاة باب مايقال فى الركوع والسجود حديث رقم (٤٨٤ ـ ج١ ص٣٥٠)، وأبو داود فى كتاب الصلاة، باب فى الدعاء فى الركوع، والسجود حديث رقم (٨٧٧ ـ ج١ ص٢٣٢)، والنسائى (ج٢ ص٢١٩) فى كتاب الافتتاح، باب الدعاء فى السجود.

(٢) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى، وأورده الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٢ ص٢٤٦) فى ذكر الركوع.

وبك آمنت، وعليك توكلت، ولك أسلمت، خشع لك سمعى، وبصرى، ومخى، وعصبى، وعظمى» وهذا كان فى صلاة التهجد. وكان إذا رفع رأسه من الركوع رفع يديه وقال: «سمع الله لمن حمده»(١)، وقد ثبت رفع اليدين فى هذه المواضع الثلاثة، ولكثرة رواته شابه المتواتر، فقد صح فى هذا الباب أربعمائة خبر وأثر، ورواه العشرة المبشرة بالجنة. ولم يزل على هذه الكيفية حتى رحل عن هذا العالم، ولم يثبت شىء غيرها، وكان إذا رفع رأسه من الركوع استوى قائماً وكذا بين السجدتين. وقال: «لاتجزىء صلاة لايقيم الرجل فيها صلبه فى الركوع والسجود»(٢).

وكان فى بعض الأحيان إذا رفع رأسه من الركوع قال: «ربنا ولك الحمد» أو قال: «اللهم ربنا لك الحمد»(٣) وكلاهما صحيح، لكن الجمع بين اللهم والواو لم يثبت، وكان يطول هذا الركن مقدار الركوع غالباً، وأحيانا كان يقول: «سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات، وملء الأرض، وملء ماشئت من شىء من أهل الثناء، وأهل المجد أحق ماقال العبد، وكلنا لك عبد، لامانع لما أعطيت، ولا معطى لمامنعت، ولاينفع ذا الجد منك الجد»(٤)، وأحياناً يقول: «اللهم اغسلنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد ونقنى من الذنوب والخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب»(٥)، وأحيانا يقول: «لربى الحمد لربى الحمد» يكررها مقدار الركوع.

---

(١) متفق عليه رواه البخارى (ج٢ ص٢٩٩) ومسلم (ج١ ص٣٥٠)، وانظر سبل السلام (ج١ ص٣٦٦).
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه الشيخان: البخارى (ج٢ ص٢٩٩)، ومسلم (ج١ ص٣٥٠)، وأبو داود فى كتاب الصلاة، باب مايقول إذا رفع رأسه من الركوع حديث رقم (٨٤٧ ـ ج١ ص٢٢٤)، والنسائى (ج٢ ص١٩٨ ـ ١٩٩) فى كتاب الافتتاح، باب مايقول فى قيامه ذلك.
(٤) رواه مسلم فى كتاب الصلاة، باب مايقول إذا رفع رأسه من الركوع حديث رقم (٤٤٧ ـ ج١ ص٣٤٧). وأبو داود فى كتاب الصلاة، باب مايقول إذا رفع رأسه من الركوع حديث رقم (٨٤٧ ـ ج١ ص ٢٢٤). والنسائى (ج٢ ص١٩٨ ـ ١٩٩) فى كتاب الافتتاح، باب مايقول فى قيامه ذلك.
(٥) انظر صحيح البخارى (ج٢ ص١٢٧)، ومسلم (ج١ ص٤١٩)، وأبى داود (ج١ ص٢٠٧) والنسائى (ج٢ ص١٢٨ ـ ١٢٩).

وفى بعض الأحيان كان يطول الاعتدال حتى تظن الجماعة أنه نسى، وكذا فى السجود، فقد كان يطول فى بعض الأحيان، حتى يظن المأموم أنه قد نسى هذا الذى ثبت من عادته فى الركوع والسجود ﷺ، وحديث البراء ابن عازب قال: كان ركوعه وسجوده بين السجدتين، وإذا رفع رأسه من الركوع، ماخلا القيام، والقعود قريباً من السواء.

صريح فى التسوية بين قيام القراءة، وقعود التشهد فى الطول، وبين سائر الأركان فى الطول والقصر، وليس المراد القيام بعد الركوع. وتخفيف هذين الركنين ـ أعنى الاعتدال والجلسة بين السجدتين ـ وتقصيرهما من محدثات بنى أمية، ولم تكن من العادات النبوية بوجه من الوجوه، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

فصل

سجود الرسول ﷺ أثناء صلاته

كان ﷺ إذا هوى ساجداً لم يرفع يديه، والذى ورد فى بعض الأحاديث، أنه كان يرفع يديه، فى كل خفض ورفع سهو[1]. والرواية الصحيحة أنه كان يكبر فى كل خفض ورفع، وكان يضع ركبتيه على الأرض، قبل يديه، ثم يضع يديه ثم جبهته وأنفه، على ترتيب البدن.

وأما حديث أبى هريرة الذى رواه عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير وليضع يديه قبل ركبتيه»[2] وهمٌ من بعض الرواة، لأن أول الحديث ينقض آخره، فإن البعير يضع يديه قبل ركبتيه، حال

(١) انظر البخارى ج(٢ ص٢١٨)، ومسلم (ج١ ص٢٩٢)، وأبى داود (ج١ ص١٩١ ـ ١٩٢)، والترمذى (ج٢ ص٣٥)، والنسائى (ج٢ ص١٢١ ـ ١٢٢) وموطأ الإمام مالك (ج١ ص٧٥).

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة، باب كيف يضع ركبتيه قبل يديه حديث رقم (٨٤٠ ـ ج١ ص٢٢٢)، والنسائى (ج٢ ص٢٠١)، فى كتاب الافتتاح، باب أول مايصل إلى الأرض من الإنسان فى سجوده، والترمذى بمعناه فى أبواب الصلاة، باب ماجاء فى وضع الركبتين قبل اليدين فى السجود حديث رقم (٢٦٩ ـ ج٢ ص ٥٧ ـ ٥٨).

البروك، والذى قال ركبة البعير فى يديه، وهم وغلط وخالف قول أئمة اللغة.

والصواب أنه نهى عن التشبه بالحيوانات وقال: «لاتبركوا بروك البعير ولا تلتفتوا التفات الثعلب، ولا تفترشوا افتراش السبع، ولا تقعوا إقعاء الكلب، ولا تنقروا نقر الغراب، ولا ترفعوا أيديكم فى حال السلام كأذناب الخيل الشمس واجتنبوا جميع ذلك»[١]، وجاء فى رواية أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه ﷺ قال: «إذا سجد أحدكم فليبدأ بركبتيه قبل يديه ولا يبرك بروك الفحل»[٢].

وفى صحيح ابن خزيمة كان رسول الله ﷺ، إذا سجد بدأ بركبتيه وفى رواية سعد كنا نضع اليدين قبل الركبتين، فأمرنا بالركبتين قبل اليدين، وأكثر العلماء على هذا إلا الإمام مالكا والأوزاعى وطائفة من أهل الحديث.

ولم يسجد النبى ﷺ على كور عمامته أبدا بل كان يضع جبهته على التراب، أو على الطين والماء، أو على سجادة من سعف النخل، أو على جلد مدبوغ، وكان إذا سجد وضع جبهته وأنفه على الأرض، وجافى يديه عن جنبيه، ووضع كفيه حذو منكبيه، وقال: «إذا سجدت فضع كفيك وارفع مرفقيك».

وكان يفرج بين أصابعه فى الركوع ويجمع بينها فى السجود، وكان يقول فى سجوده: «سبحان ربى الأعلى» ويأمر به، وبعد ذلك يقول: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى»،[٣] «سبوح قدوس رب الملائكة والروح لا

(١) رواه الجماعة بمعناه وأورده الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٢ ص٢٥٦)، ورواه أحمد بلفظ قريب من و عند المصنف انظر المصدر السابق (ج٢ ص٢٧٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه وانظر صحيح مسلم برقم (٤٨٧)، وأبى داود (٨٧٢) والنسائى (ج٣ ص٥٨).

إله إلا أنت اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهى للذى خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين، اللهم اغفر لى ذنبى كله دقه وجله، أوله وآخره علانيته وسره، اللهم اغفر لى خطئى وجهلى وإسرافى فى أمرى، وما أنت أعلم به منى، اللهم اغفر لى جدى وهزلى وخطيئتى وعمدى، وكل ذلك عندى، اللهم اغفر لى ماقدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت لا إله إلا أنت»[١].

وفى بعض الأحيان كان يقول: «اللهم اجعل فى قلبى نورا، وفى سمعى نورا، وفى بصرى نورا، وعن يمينى نورا، وعن شمالى نورا، وأمامى نورا، وخلفى نورا، وفوقى نوراً، واجعل لى نوراً» وكان يؤكد الاجتهاد فى الدعاء حالة السجود ويقول: «جدير دعاء السجاد بالاجابة»[٢].

والدعاء على نوعين: دعاء ثناء وتمجيد، ودعاء طلب وسؤال، والدعاء الذى كان يأتى به يشملهما، والاستجابة أيضا على نوعين: أحدهما: استجابة دعاء الطالب ببذل مطلوبه ومسئوله وقضاء حاجته. والثانى: أن يقابل على دعائه بثواب، وعلى كلا الوجهين فسر قوله سبحانه ﴿أجيب دعوة الداعى إذا دعان﴾[٣] والصحيح أنه شامل للنوعين، والله أعلم.

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه بنحوه برقم (٧٧١)، وذكره النووى فى رياض الصالحين (ص٥٣٦).

(٢) رواه مسلم برقم (٤٧٩).

(٣) سورة البقرة اية رقم ١٨٦ .

فصل

قيام وسجود الرسول ﷺ

كان صلى الله عليه وسلم يطول الركعات من صلاة الليل بخلاف ركعات النهار. وربما قرأ في ركعة واحدة سورة البقرة، وآل عمران، والنساء. أما عدد ركعات صلاة الليل فلم يزد على إحدى عشرة ركعة.

ومن ثم اختلف العلماء في أفضلية القيام والسجود، قالت طائفة من العلماء: القيام أفضل لأن النبي ﷺ كان يطول صلاة الليل تطويلا عظيماً، ولو كان السجود أفضل لطوله، وأيضا الذكر المشروع في القيام أفضل الأذكار، فيكون ركنه أفضل الأركان.

وأيضا ورد في الحديث الصحيح «أفضل الصلاة طول القنوت»، المراد بالقنوت القيام، وقالت طائفة من العلماء: السجود أفضل. لما ورد في الحديث الصحيح «أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد» وقال في موضع آخر: «ما من عبد يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه خطيئة».

وقال ربيعة الأسلمي: يارسول الله إني أتمنى مرافقتك في الجنة: فقال ﷺ: «أعني على نفسك بكثرة السجود»[1] وأيضا أول سورة أنزلت من القرآن المجيد ﴿إقرأ﴾ وختمها بالسجود، وأيضا في السجود دلالة على زيادة الخضوع والعبودية، دون غيره من الأركان، والسجود سر العبودية، لأن العبودية هي الخضوع والذلة، وهي في السجود أزيد وأظهر.

وقالت طائفة من العلماء: طول القيام في الليل أفضل وكثرة الركوع والسجود في النهار أفضل، لاختصاص عبادات الليل بالقيام، قال الله تعالى ﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾[2] وقال ﷺ «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر الله له ماتقدم

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة (٤) باب (٤٣) فضل السجود والحث عليه، حديث رقم (٤٨٩ - ج١ ص ٣٥٣) بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، وانظر سبل السلام (ج٢ ص٥).

(٢) سورة المزمل. الآية رقم ٢.

من ذنبه»[١] وبعض العلماء يقول: بتساوى هذين الركنين فى الفضل، ففضيلة القيام بقراءة القرآن. وفضيلة السجود بهيئة التذلل والخشوع، فذكر القيام أفضل من ذكر السجود، وهيئة السجود أفضل من هيئة القيام.

فصل

كيف كان الرسول ﷺ يؤدى صلاته

كان ﷺ إذا فرغ من السجدة الأولى رفع رأسه وجلس بين السجدتين، مقدار سجوده ثم قال: «رب اغفر لى رب اغفر لى اللهم اغفر لى وارحمنى واجبرنى واهدنى وارزقنى»[٢] وأحياناً كان يطول هذه الجلسة، حتى يظن أنه نسى ولم يكن يقوم بعد السجدة الثانية، ما لم يجلس على الأرض.

والفقهاء يسمون هذه جلسة الاستراحة وحملها بعضهم على السنة، وبعضهم على الحاجة، فلا تسن فى حق من لم يحتج إليها، وكان إذا قام شرع فى القراءة، من غير توقف، والسكتة التى فعلها فى الركعة الأولى، لم يفعلها فى سائر الركعات، وكان يصلى الثانية والثالثة والرابعة، كالأولى إلا فى أربعة أشياء: السكتة، ودعاء الاستفتاح، وتكبيرة الإحرام وتطويل هذه الأربعة مختص بالركعة الأولى، وكان إذا جلس للتشهد، افترش رجله اليسرى فجلس عليها ونصب اليمنى، ووضع يده على فخذه الأيمن، وعقد

---

(١) متفق عليه رواه البخارى (ج٤ ص٢١٧، ٢١٨)، ومسلم برقم (٧٥٩)، وأورده النووى فى رياض الصالحين (ص ٤٧٠).

(٢) رواه الأربعة إلا النسائى، واللفظ لأبى داود، وصححه الحاكم، انظر أبى داود فى كتاب الصلاة، باب الدعاء بين السجدتين حديث رقم (٨٥٠ ـ ج١ ص٢٢٤)، والترمذى فى أبواب الصلاة، باب مايقول بين السجدتين حديث رقم (٢٨٤ ـ ج٢ ص٧٦)، وابن ماجه فى كتاب الصلاة، باب مايقول بين السجدتين حديث رقم (٨٩٨ ـ ج١ ص٢٩٠).

أصابعه عقد ثلاث وخمسين ورفع إصبعه[1] المسبحة وحركها، وكان يخفف التشهد الأولى وبعد قيامه من التشهد كان يرفع يديه ويكبر، ثم يشرع فى القراء ويقتصر على الفاتحة فى الثالثة والرابعة غالباً.

وقد يقرأ سورة مختصرة على سبيل الندرة. إذا جلس للتشهد الأخير جعل رجله اليسرى تحت رجله اليمنى، وقوى القعدة على الارض، وهذه الكيفية لم تكن فى الجلسة الأولى أصلا.

وللعلماء فى هذه الكيفية أقوال:

قال بعضهم: يتورك فى التشهدين وهو مذهب الإمام مالك.

وقال بعضهم: يفترش فيهما ينصب اليمنى ويفترش اليسرى ويجلس عليها وهذا مذهب الإمام أبى حنيفة.

وبعضهم يقول كان يتورك فى كل تشهد يسلم عقبه ويفترش فيما عداه وهذا مذهب الإمام الشافعى.

وبعضهم يقول: كل صلاة فيها تشهدان يتورك فى الآخر ليفرق بين الجلوسين وهذا مذهب الإمام أحمد.

والأئمة الأربعة رضى الله تعالى عنهم افترقوا فى هذه المسألة عن أربعة أقوال، ووافق كل واحد منهم جماعة من الصحابة والتابعين، وأكمل سياق ورد فى بيان صفة صلاة رسول الله ﷺ حديث أبى حميد الساعدى فى صحيح ابن حبان، وصحيح مسلم قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى صلاة كبر ثم رفع يديه حتى يحاذى بهما على منكبيه ويقيم كل عضو فى

---

(١) انظر صحيح مسلم فى كتاب المساجد، باب صفة الجلوس فى الصلاة حديث رقم (٥٨٠ ـ ج١ ص٤٠٨- ٤٠٩)، وأبى داود فى كتاب الصلاة باب الإشارة فى التشهد حديث رقم (٩٨٧ ـ ج١ ص٢٥٩)، والترمذى فى أبواب الصلاة، باب ماجاء فى الإشارة فى التشهد حديث رقم (٢٩٤ ـ ج١ ص٨٨)، والنسائى (ج٢ ص٢٣٧) فى الافتتاح، باب موضع البصر فى التشهد حديث رقم (٤٨ ـ ج١ ص٨٨ ـ ٨٩).

موضعه، ثم يقرأ، ثم يرفع يديه، حتى يحاذى بهما منكبيه، ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه معتدلا لايصوب رأسه، ولا يقنع به، ثم يقول: «سمع الله لمن حمده»، ويرفع يديه، حتى يحاذى بهما منكبيه، حتى يقر كل عظم إلى موضعه، ثم يهوى إلى الأرض ساجداً، ويجافى يديه عن جنبيه، ثم يرفع رأسه، ويثنى رجليه، فيقعد عليهما، ويفتح أصابع رجليه إذا سجد ثم يسجد، ثم يكبر، ويجلس على رجله اليسرى، حتى يرجع كل عظم إلى موضعه ثم يقوم فيصنع فى الأخرى مثل ذلك.

ثم إذا قام من الركعتين كبر ورفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه، كما صنع عند افتتاح الصلاة، يصلى بقية صلاته هكذا حتى إذا كانت السجدة التى قام فيها التسليم أخرج رجليه وجلس على شقه الأيسر(١) متوركا.

وفى صلاة الصبح: كان يقنت حينا، ويترك حينا(٢). وبسم الله الرحمن الرحيم كان يجهر بها حينا ويخفيها حينا، وكان يسر فى الظهر والعصر، وقد يرفع صوته قليلا، فى بعض الآيات، بحيث يسمعه المؤتمون، ولم يكن يلتفت فى الصلاة، وقال: «هو اختلاس يختلسه الشياطين». وقال: «اجتنبوا الالتفات فليكن فى صلاة الناقلة» وأما قول ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يلحظ فى الصلاة يميناً وشمالاً ولا يلوى عنقه خلف ظهره، وإن كان فى جامع الترمذى فهو غريب، ولم يثبت.

سأل شخص الإمام أحمد فقال: بعض أهل الحديث يروون بإسناد: أن النبى ﷺ، كان يلحظ فى الصلاة ولا يلتفت، فأنكر عليه الإمام أحمد ذلك إنكاراً عظيما، وتغير لونه وارتعش وقال: هذا حديث ليس له إسناد. لكن قد ثبت أنه كان فى بعض أسفاره، وقد أرسل فى جهة العدو شخصاً ليطالعه

---

(١) رواه مسلم وأحمد بنحوه، وابن حبان، وأورده الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٢ ص١٨٥).

(٢) متفق عليه. انظر البخارى فى كتاب الوتر، باب القنوت قبل الركوع وبعده حديث رقم (١٠٠٣ ـ ج٢ ص٤٩٠)، ومسلم فى كتاب المساجد، باب استحباب القنوت فى جميع الصلوات حديث رقم ٦٧٧ ـ ج١ ص٤٦٨ ـ ٤٦٩)، وأبى داود فى كتاب الصلاة، باب القنوت فى الصلوات حديث رقم (١٤٤٣، ١٤٤٤ ـ ج٢ ص٦٨)، والنسائى (ج٢ ص٢٠٠) فى كتاب الافتتاح، باب القنوت بعد الركوع.

بأخبارهم، واشتغل بالصلاة وكان يلتفت إلى جهته فى أثناء الصلاة، وهذا على سبيل الندرة وفى صلاة النافلة، ولمهم دينى، ومصلحة أهل الإسلام منوطة به، وهو من باب تداخل العبادات، لأنه اشتغل فى أثناء الصلاة بالجهاد، وصلاة الخوف تشبه هذا المعنى.

وكان عمر رضى الله عنه يقول: إنى لأجهز جيشى وأنا فى الصلاة وكان ﷺ يقرأ التحيات بعد كل ركعتين[1] . وكان يدعو فى سبعة مواطن:

الأول: عقيب تكبيرة الإحرام كما ذكرناه.

والثانى: قبل الركوع، وبعد الفراغ من القراءة، وفى الوتر.

الثالث: بعد الاعتدال من الركوع كان يقول: «سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ماشئت من شىء بعد، اللهم طهرنى بالثلج والبرد والماء البارد، اللهم طهرنى من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ»[2].

الرابع: فى حال الركوع كان يقول: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى»[3].

الخامس: فى السجود وفى الغالب كان يدعو فى السجود كما بينا.

السادس: بين السجدتين كما قلنا.

السابع: بعد التشهد قبل السلام أما الدعاء الذى يفعله الأئمة بعد السلام فإنه لم يكن من عادة النبى ﷺ، ولم يثبت فى هذا الباب شىء من

(١) انظر صحيح مسلم فى كتاب الصلاة، باب التشهد فى الصلاة حديث رقم (٤٠٣ - ج١ ص٣٠٢ وص٣٠٣)، وانظر سبل السلام (ج١ ص٣٨٥) ومابعدها.

(٢) رواه مسلم فى كتاب الصلاة، باب مايقول إذا رفع رأسه من الركوع حديث رقم (٤٧٧ - ج١ ص٣٤٧)، . وأبو داود فى كتاب الصلاة، باب مايقول إذا رفع رأسه من الركوع حديث رقم (٨٤٧ - ج١ ص٢٢٤)، والنسائى (ج٢ ص١٩٨ - ١٩٩) فى كتاب الافتتاح، باب مايقول فى قيامه ذلك.

(٣) تقدم تخريجه.

الأحاديث وهو بدعة مستحسنة وجميع أدعية الصلاة كانت فى نفس الصلاة وبذلك أمر.

وبعض أئمة العلم يقول: الذكر، والتهليل، والتسبيح، والتمجيد، عند الفراغ من الصلاة، مشروع بلا خلاف. وتستحب الصلاة على النبى ﷺ، فناسب أن نعقب ذلك بالدعاء وطلب الحاجات من حضرة ذى العزة.

فصل

سلام الرسول ﷺ فى آخر صلاته

كان النبى ﷺ يقول بعد التشهد: «السلام عليكم ورحمة الله» ويلتفت على جانبه الأيمن، حتى يرى بياض خده[١]، وكذا فى الجانب الأيسر وعلى هذا دام عمله. رواه خمسة عشر صحابيا بأسانيد صحاح. وأما الذى فى حديث عدن بن عمير، كان يسلم تسليمة واحدة تلقاء وجهه فإسناده ليس بالقائم، ولم يثبت عند أهل الحديث.

وأما حديث عائشة رضى الله عنها: (كان يسلم تسليمة واحدة يرفع به صوته حتى يوقظنا)[٢] هذا الحديث أيضا معلل وإن لم يكن معللاً فليس فيه صريح دلالة على المقصود لأنه لم ينف السلام الثانى بل سكت عنه.

---

(١) أخرجه مسلم والنسائى وأبو داود بمثله فى كتاب الصلاة، باب السلام، حديث رقم (٩٩٧) وإسناده صحيح. ورواه الترمذى وصححه وابن ماجه انظر: نيل الأوطار (ج٢ ص٢٩٨).

(٢) حديث عائشة أخرج نحوه أيضا الترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم والدارقطنى بلفظ (إن النبى ﷺ كان يسلم تسليمة واحدة تلقاء وجهه» وأعل الدارقطنى رفعه. وقال أبو حاتم فى المرفوع أنه منكر. كذا فى نيل الأوطار (ج٢ ص٣٠٣).

فصل

أدعيـة النبـى ﷺ فـى الصـلاة

من جملة الأدعية التى كان يقرأها، فى الصلاة: «اللهم اغفر لى ذنبى ووسع لى فى دارى، وبارك لى فيما رزقتنى».

ومنها أيضاً «اللهم إنى أسألك الثبات فى الأمر، والعزيمة عند الرشد، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً ولساناً صادقاً، وأسألك من خيز ماتعلم، واستغفرك لما تعلم» وكثيراً ماقال فى السجود: «رب أعط نفسى تقواها، زكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها» وكان يقول فى التشهد: «اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إنى أعوذ بك من المغرم والمأثم»[1].

وجميع الأدعية التى كان يقولها فى الصلاة، رويت بلفظ الإفراد، مثل «رب اغفر لى وارحمنى واهدنى» ومثل: «اغسلنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد، اللهم باعد بينى وبين خطاياى» وما أشبه ذلك.

فإن قيل: ورد فى حديث صحيح: «لايؤم عبد قوما فيخص نفسه دعوة فإن فعل فقد خانهم» فالجواب نقول: قال إمام أهل الحديث أبو بكر بن خزيمة فى صحيحه: هذا الحديث موضوع ومردود، وقال بعض العلماء: إن ثبت هذا الحديث، فيكون المراد به، دعاء ورد بلفظ الجمع، مثل اللهم اهدنا وغير ذلك.

---

(١) انظر: صحيح البخارى فى كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر (ج٣ ص٢٤١)، ومسلم فى كتاب المساجد (ج١ ص٤١٢) والنسائى (ج٣ ص٥٨).

فصل

سعادة الرسول ﷺ في الصلاة

اعلم أن السرور والانشراح. ونور العين. وطيب القلب الذى كان يجده فى الصلاة ماكان يجده فى غيرها من العبادات، ولا من الأوقات، وقال ﷺ: «جعلت قرة عينى فى الصلاة»[١] وقال ﷺ: «يابلال أرحنا بالصلاة» ومع هذا لم تفته مراعاة أحوال المأمومين، ولسماع بكاء الطفل كان يخفف الصلاة، وأحياناً كان يتعلق به وهو فى الصلاة طفل فيحمله على عاتقه، وأحياناً كان يأتى الحسين وهو فى السجود فيركب على ظهره المبارك فيطيل السجود لأجله.

وأحيانا كانت عائشة تأتى وهو فى الصلاة، وقد أغلق الباب فيخطوا ليفتح الباب لها. وأحياناً كان يسلم عليه، وهو فى الصلاة، فيجب بالإشارة[٢] باسطا يده وقد أوما برأسه المبارك.

وكانت عائشة نائمة تجاه صلاته، فكان عند السجود يضع يده على رجلها لتخلى مكان السجود بضم رجلها، وكان قد يصل إلى آية السجدة وهو على المنبر فيهبط إلى الأرض يسجد ثم يصعد.

واختصت وليدتان من بنى عبد المطلب، فتصارعتا فلما دنتا منه أمسكهما بيده، وفرق بينهما، وكان يبكى فى الصلاة كثيراً، ويتنحنح أحياناً لحاجة، ويصلى منتعلاً وغير منتعل[٣]. وقال: «صلوا فى نعالكم خلافاً لليهود» وكان يصلى فى ثوب واحد حيناً، وحيناً فى ثوبين، ويقنت فى صلاة الصبح أحياناً، ويترك أحياناً.

---

(١) اخرجه الحافظ الأصبهانى فى كتاب أخلاق النبى ﷺ وآدابه (ص٢٤٧) بسنده عن أنس بن مالك.

(٢) أنظر: سنن أبى داود فى الصلاة باب رد السلام فى الصلاة حديث رقم (٩٢٧ ـ ج١ ص٢٤٣ ـ ٢٤٤)، والترمذى فى أبواب الصلاة، باب ماجاء فى الاشارة فى الصلاة حديث رقم (٣٦٨ ـ ج١ ص٢٠٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائى (ج٣ ص٥ ـ ٦) فى السهو باب رد السلام بالإشارة فى الصلاة.

(٣) انظر سنن أبى داود فى كتاب الصلاة، باب الصلاة فى النعل حديث رقم (٦٥٠ ـ ج١ ص١٧٥).

قال أهل الحديث: قراءة القنوات فى صلاة الصبح سنة، وتركه سنة، ومع هذا لاينكرون على من يواظب على ذلك، ولايعدونه مبتدعا ولا تاركا للسنة بل يقولون: من قنت فقد أحسن، ومن ترك فقد أحسن. والدلائل على الطرفين كثيرة. ولما كان القصد بيان الطريقة النبوية اقتصرنا على ذلك.

فصل

فى نسيان الرسول ﷺ فى الصلاة

من جملة منن الحق تعالى ونعمه على الأمة المحمدية، أن النبى ﷺ كان يسهو فى الصلاة أحيانا، لتقتدى الأمة به فى التشريع، وإذ ذلك كان يقول: «إنما أنا بشر أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكرونى»[1] وقال: «إنما أنسى - أو أنسى - يعنى لأسن ماشرع فى حيز ذلك» ثبت فى الصحيحين أنه كان فى صلاة الظهر ولم يشرع فى التشهد بل قام إلى الثالثة، فسبحت الصحابة رضى الله تعالى عنهم، فأشار إليهم بيده أن قوموا، ولما فرغ من التشهد الثانى، أتى بسجدتين، ثم سلم بعد ذلك فعلم من هذا: أن من نسى شيئا من الصلاة غير ركن يسجد للسهو سجدتين، وإذا شرع فى ركن لايرجع إلى ماكان نسيه[2].

ونوبة أخرى فى صلاة العصر أو الظهر سلم فى الركعة الثانية، وتكلم، ثم ذكر فأتم وأتى بسجدتين بعد السلام وكبر بينهما وسلم[3] بعد ذلك أيضا.

---

(١) متفق عليه رواه البخارى فى كتاب السهو، باب صلى خمساً حديث رقم (١٢٢٦) فتح البارى (ج٣ ص٩٣ - ٩٤)، ومسلم فى كتاب المساجد، باب السهو فى الصلاة والسجود له حديث رقم (٥٧٢ - ج١ ص٤٠٠ - ٤٠١ - ٤٠٢ - ٤٠٣)، وأبو داود فى كتاب الصلاة، باب إذا صلى خمساً حديث رقم (١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١ - ج١ ص٢٦٨، ٢٦٩)، والترمذى رقم (٣٩٢، ٣٩٣ - ج٢ ص٢٣٨، ٢٣٩)، والنسائى (ج٣ ص٣١-٣٣) فى كتاب السهو، باب مايفعل من صلى خمساً.

(٢) رواه أبو داود بنحوه فى كتاب الصلاة، باب من قال بعد التسليم حديث رقم (١٠٣٣ - ج١ ص٢٧١). والنسائى (ج٣ ص٣٠) فى السهو باب التحرى، وأحمد فى المسند رقم (١٧٤٧ - ١٧٥٢ - ١٧٥٣ - ١٧٦١).

(٣) انظر. صحيح مسلم فى كتاب المساجد، باب السهو فى الصلاة والسجود له حديث الباب رقم (٩٥)

وفى مسند الإمام أحمد: أنه صلى فى بعض الأيام، وخرج من الصلاة، وبقى منها ركعة، فلما خرج من المسجد، خرج طلحة بن عبد الله فى عقبه، وقال: قد نسيت ركعة، فرجع إلى المسجد، وأمر بلالاً بالإقامة، وصلى ركعة، وسلم ثم رجع.

ونوبة أخرى صلى الظهر خمساً، فقالت الصحابة: أزيد فى الصلاة؟ فقال: «وماذاك؟» فقالوا: صليت خمساً، فسجد سجدتى السهو وسلم، واقتصر على ذلك.

ونوبة أخرى صلى العصر ثلاثاً ورجع إلى البيت، فتعقبه الصحابة وأعلموه، فرجع إلى المسجد وصلى ركعة وسلم، وسجد بعد السلام للسهو سجدتين[1] ثم سلم، واقتصر على ذلك.

هذه خمسة مواضع روى أنه ﷺ سها فيها فى جميع عمره، ولم يثبت غير هذا.

وسجد للسهو قبل السلام فى بعض المواضع وبعده فى بعضها، فجعلها الإمام الشافعى فى كل حال قبل السلام والإمام أبو حنيفة جعلها بعد السلام فى كل حال. وقال الإمام مالك: يسجد للسهو النقصان قبل السلام ولسهو الزيادة فى الصلاة بعد السلام، وإن اجتمع سهوان أحدهما زائد والآخر ناقص يسجد لهما قبل السلام.

وقال الإمام أحمد: يسجد قبل السلام فى المحل الذى سجد فيه النبى ﷺ قبل السلام وماعداه يسجد للسهو بعد السلام.

---

(١) انظر صحيح البخارى فى كتاب السهو، باب ماجاء فى السهو إذا قام من ركعتى الفريضة حديث رقم (١٢٢٤ ـ ج٣ ص٩٢)، ومسلم فى كتاب المساجد، باب السهو فى الصلاة والسجود له، حديث رقم (٥٧٠ ـ ج١ ص٣٩٩)، وأبى داود فى كتاب الصلاة (ج١ ص٢٧١ـ٢٧٢)، والترمذى فى أبواب الصلاة (ج٢ ص٢٣٥ـ٢٣٦)، والنسائى (ج٣ ص١٩ـ٢٠)، وموطا الإمام مالك (ج١ ص٩٦ـ٩٧).

وقال داود الظاهرى: لايسجد للسهو إلا فى هذه المواطن الخمس التى سجد فيها رسول الله ﷺ، ولو سها فى غيرها لايسجد للسهو، ولم يعرض له ﷺ الشك فى الصلاة ولكن قال: «من شك فليبن على اليقين، ولايعتبر الشك ويسجد للسهو قبل السلام»[١].

وقال الإمام أبو حنيفة إن كان له ظن بنى على غالب ظنه، وإن لم يكن له ظن بنى على اليقين، وقال الإمام الشافعى، والإمام أحمد: يبنى على اليقين مطلقا.

فصل

الرسول وعيونه أثناء صلاته

كان النبى صلى الله عليه وسلم يفتح عينه المباركة فى الصلاة، ولم يكن يغمضها كما يفعله بعض المتعبدين، وفى حديث أنس الذى أتى به البخارى فى صحيحه: أن عائشة رضى الله عنها كان لها ستر سترت به جانب البيت فقال: «بعدوا هذا الستر فإن تصاويره تعارضنى» وروى فى حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم لبس ثوبا معلما، وكان ينظر إلى أعلامه فى الصلاة، فلما فرغ قال: «اذهبوا بثوبى هذا لأبى جهم وائتونى بالكساء الأنبجانى[٢] الذى له فإن أعلام هذا شغلت خاطرى فى الصلاة»[٣].

---

(١) رواه مسلم بنحوه فى كتاب المساجد، باب السهو فى الصلاة والسجود له حديث رقم (٥٧١ ـ ج١ ص٤٠٠)، وأبو داود فى كتاب الصلاة، باب إذا صلى خمساً حديث رقم (١٠٢٤ ـ ١٠٢٦ ـ ١٠٢٩ ـ ج١ ص٢٦٩ـ٢٧٠)، والترمذى فى أبواب الصلاة، حديث رقم (٣٩٦ ـ ج٢ ص٢٤٣ ـ ٢٤٤)، والنسائى (ج٣ ص٢٧)، وموارد الظمآن فى كتاب الجماعة، باب سجود السهو حديث رقم (٥٣٦ ـ ص١٤٢).

(٢) قال ابن الأثير: الإنبجانى ـ بكسر الباء: المحفوظ. ويروى بفتحها. منسوب إلى منبج المدينة المعروفة وهى مكسورة الباء. ففتحت فى النسب وأبدلت الميم همزة، إذا نون وانظر: النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير.

(٣) لم نجده.

وحديث مشاهدة الجنة فى الصلاة وأنه صلى الله عليه وسلم مد يديه ليتناول قطفا من فاكهتها.

وحديث رد السلام باليد، وحديث تعرض الشيطان، وأنه صلى الله عليه وسلم قبضه وخنقه. هذا المجموع رؤية العين وهو دليل على عدم تغميض العين فى الصلاة. أما إذا عرض لشخص تفرقة وشتات فلا يكره له تغميض العين، بل هو إلى الاستحباب أقرب، والله أعلم.

فصل

أدعية النبى بعد فروغه من الصلاة

كان ﷺ إذا فرغ من الصلاة، قال ثلاث: «أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه. اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت ياذا الجلال والإكرام»[١] قال هذا ثم نهض راجعا إلى الحجرة.

وروى فى بعض الأحاديث الصحيحة: أنه كان يقول عقيب الصلاة المفروضة: «لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، اللهم لامانع لما أعطيت ولامعطى لما منعت، ولاينفع ذا الجد منك الجد، لا إله إلا الله، ولانعبد إلا إياه، له النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله، ولانعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»[٢].

---

(١) رواه الجماعة إلا البخارى وانظر نيل الأوطار للشوكانى (ج٢ ص ٣٠٦)، ورواه مسلم فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب (٢٦) استحباب الذكر بعد الصلاة حديث رقم (٥٩١ - ج١ ص ٤١٤).

(٢) متفق عليه رواه البخارى فى كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة حديث رقم (٨٤٤ - ج٢ ص ٣٢٥)، ومسلم فى كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة حديث رقم (٥٩٣ - ج١ ص ٤١٤ - ٤١٥)، وأبو داود فى كتاب الصلاة، باب مايقول الرجل إذا سلم حديث رقم (١٥٠٥ - ج٢ ص ٨٢)، والنسائى (ج٣ ص ٧٠) فى كتاب السهو، باب نوع آخر من القول عند انقضاء الصلاة.

وفى سنن أبى داود عن أمير المؤمنين علىّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان إذا سلم من الصلاة قال: «اللهم اغفر لى ماقدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى أنت المقدم والمؤخر لا إله إلا أنت»[١].

وفى مسند الإمام أحمد مروى عن زيد بن أرقم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول عقب كل صلاة: «اللهم ربنا ورب كل شىء أنا شهيد، أنت الرب وحدك، لا شريك لك، اللهم ربنا ورب كل شىء شهيد، أن العباد كلهم إخوة، اللهم ربنا ورب كل شىء اجعلنى مخلصا لك وأهلى، فى كل ساعة من الدنيا والآخرة، ياذا الجلال والإكرام، اسمع واستجب، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله نور السموات والأرض، الله أكبر، الله أكبر، حسبى الله ونعم الوكيل، الله أكبر، الله أكبر» وقال: «معقبات لايخيب قائلهم دبر كل صلاة مكتوبة ثلاثا وثلاثين تسبيحة، وثلاثا وثلاثين تحميده، وثلاثا وثلاثين تكبيرة وقال تمام المائة. لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير»[٢].

وفى رواية أخرى: «أربعا وثلاثين تكبيرة»[٣] وذلك تمام المائة. وفى رواية «سبحان الله خمسا وعشرين، والحمد لله خمسا وعشرين، والله أكبرخمسا وعشرين، ولا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير خمسا وعشرين».

---

(١) متفق عليه رواه البخارى فى كتاب الدعوات باب (٦٠) قول النبى صلى الله عليه وسلم: «اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت» حديث رقم (٦٣٩٨ ـ ج١١ ص ١٩٦)، ورواه مسلم فى كتاب الإيمان باب (٩٢) الدليل على أن من مات على الكفر لاينفعه عمل حديث رقم (٢١٤ ج١ ص ١٩٦)، ورواه الإمام أحمد فى مسنده (ج٤ ص ٤١٧، وج٥ ص ٢٧٠، وج٦ ص ٩٣).

(٢) رواه مسلم فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب (٢٦) استحباب الذكر بعد الصلاة حديث رقم (٥٩٧ ـ ج١ ص ٤١٨ ـ ٤١٩).

(٣) صحيح مسلم (ج١ ص ٤١٨ ـ حديث رقم ٥٩٦).

وفى رواية أخرى «يسبح الله عشرا، ويكبره عشرا» وفى رواية أخرى فى صحيح مسلم يقول: «سبحان الله إحدى عشرة مرة، والحمد لله إحدى عشرة مرة، والله أكبر إحدى عشرة مرة» وهذا ثلاث وثلاثون.

قال بعض العلماء: هذه الرواية إنما هى تفسير من بعض رواة هذا الحديث عن أبى هريرة وهم كانوا يسبحون، ويحمدون، ويكبرون، دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين. وقال: من قال فى دبر صلاة الصبح قبل أن يتكلم: «لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحى ويميت وهو على كل شيء قدير، عشر مرات، كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيآت، ورفع له عشر درجات، وكان يومه ذلك فى حرز من كل مكروه، وحرس من الشيطان، ولم ينبغ لذنب أن يدركه فى ذلك اليوم. إلا الشرك بالله تعالى - يعنى إن صدر منه ذنب يغفر له»[(١)].

وثبت فى مسند الإمام أحمد من رواية أم سلمة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم علم أبنته فاطمة رضى الله عنها، لما جاءت تسأله الخادم، أن تسبح عند النوم ثلاثا وثلاثين، وتحمد ثلاثا وثلاثين، وتكبر ثلاثا وثلاثين»[(٢)] وإذا صلت الصبح أن تقول: «لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك و له الحمد، وهو على كل شيء قدير» عشر مرات، وبعد صلاة المغرب عشر مرات». وكان يقول عقب صلاة الصبح: «اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى، واصلح لى دنياى التى جعلت فيها معاشى، واصلح لى آخرتى التى جعلت فيها معادى، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير، واجعل الموت راحة لى من كل شر، اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بعفوك

---

(١) متفق عليه رواه البخارى فى صحيحه (ج١١ ص ١٦٨، ١٦٩)، ومسلم (٢٦٩١)، وأخرجه مالك فى الموطأ (ج١ ص ٢٠٩)، والترمذى برقم (٣٤٦٤).

(٢) متفق عليه رواه البخارى (ج٧ ث ٥٩)، ومسلم برقم (٢٧٢٧)، وأخرجه أبو داود برقم (٥٠٦٢)، والترمذى (٣٤٠٥)، وأورده النووى فى رياض الصالحين (ص ٥٤٩).

من نقمتك. وأعوذ بك منك، لامانع لما أعطيت، ولامعطى لما منعت، ولاينفع ذا الجد منك الجد»(١).

قال أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه: ماصليت خلف رسول الله ﷺ إلا سمعته يقول: «اللهم اغفر لى خطاياى وذنوبى كلها، اللهم أنعشنى وأحينى وارزقنى واهدنى لصالح الأعمال والأخلاق إنه لايهدى لصالحها إلا أنت، واصرف عنى سيئها لايصرف عنى سيئها إلا أنت»(٢).

- وقال: إذا صليت فقل قبل أن تتكلم: «اللهم أجرنى من النار سبع مرات فإنك إن مت من يومك كتب الله لك جوازا من النار، وإذا صليت المغرب فقل قبل أن تتكلم: اللهم أجرنى من النار سبع مرات فإنك إن مت من ليلتك كتب الله لك جوازا من النار» هذا الحديث فى صحيح ابن حبان، وفى سنن النسائى؛ من رواية أبى أمامة: «من قرأ آية الكرسى - زاد الطبرانى - وقل هو الله أحد، فى دبر كل صلاة مكتوبة، لم يمنعه من دخول الجنة، إلى أن يموت»(٣).

وهذا الحديث رواه جماعة غير النسائى مثل الطبرانى، والرويانى والدار قطنى، وابن حبان. وبعض الحفاظ يقول: هو صحيح(٤).

وذكره ابن الجوزى فى الموضوع وطعن الحفاظ فيه من هذه الجهة واستدل بضعف محمد بن حمير راوى هذا الحديث، وقد عدله البخارى، ووثقه محك الرجال يحيى بن معين وهذان المعدلان كافيان فى العدالة.

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الذكر والدعاء باب (١٨) التعوذ من شر ماعمل، ومن شر مالم يعمل حديث رقم (٢٧٢٠ - ج٤ ص ٢٨٧)، وانظر سبل السلام (ج٤ ص ٤٣٦).

(٢) متفق عليه رواه البخارى فى كتاب الدعوات باب (٦٠) قول النبى ﷺ: «اللهم اغفر لى ماقدمت وما أخرت» حديث رقم (٦٣٩٨ - ج١١ ص ١٩٦)، ورواه مسلم فى كتاب الإيمان باب (٩٢) الدليل على أن من مات على الكفر لاينفعه عمل حديث رقم (٢١٤ - ج١ ص ١٩٦)، ورواه الإمام أحمد فى مسنده (ج٤ ص ٤١٧، وج٥ ص ٢٧٠، وج٢ ص ٨٦).

(٣) انظر: سنن أبى داود فى كتاب الصلاة، باب الاستغفار حديث رقم (١٥٢٢ - ج٢ ص ١٩٦)، والنسائى (ج٣ ص ٥٣) فى كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء.

(٤) رواه النسائى وصححه ابن حبان والطبرانى وأورده الأمير الصنعانى فى سبل السلام (ج١ ص ٣ [illegible])

وفى معجم الطبرانى: «من قرأ أية الكرسى فى دبر الصلاة المكتوبة كان فى ذمة الله إلى الصلاة الأخرى». وهذا الحديث رواه جماعة من الصحابة، من جملتهم أمير المؤمنين علىّ، وجابر بن عبدالله، وعبدالله بن عمر، وأنس ابن مالك، والمغيرة بن شعبة، وأبو أمامة.

واختلاف طرق الحديث، ومخارجه، دليل على أن له أصلا صحيحا، غير موضوع.

وروى عقبة بن عامر قال: أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن اقرأ بالمعوذتين دبر كل صلاة وهذا الحديث فى غاية الصحة، وقال لمعاذ: «أوصيك يامعاذ لاتدع فى دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[1].

وفى معجم الطبرانى من حديث جابر رضى الله عنه قال قال: رسول الله ﷺ: «ثلاث من جاء بهن مع الإيمان دخل من أى أبواب الجنة حيث شاء، وزوج من الحور العين حيث شاء: من عفا عن قاتله، وأدى دينا خفيا، وقرأ فى دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات: قل هو الله أحد» فقال أبو بكر: أو إحداهن يارسول الله فقال: «أو إحداهن».

وكان يقول بعد صلاة الصبح: «اللهم إنى أصبحت مرتهنا بعملى فلا فقير أفقر منى، اللهم لاتشمت بى عدوى، ولاتسىء بى صديقى، اللهم لاتجعل مصيبتى فى دينى، ولاتجعل الدنيا أكبر همى، ولا مبلغ علمى، ولاتسلط على من لايرحمنى، اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، اللهم ما أصبح بى من نعمة، أو بأحد من خلقك، فمنك وحدك، لاشريك لك، فلك الحمد ولك الشكر، أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين، اللهم إنى أسألك خير هذا اليوم فتحه، ونصره، ونوره،

---

(١) رواه أحمد فى مسنده، وأبو داود فى سننه فى كتاب الصلاة، باب الاستغفار حديث رقم (١٥٢٢ - ج٢ ص ٨٦)، والنسائى فى سننه بسند قوى، فى كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء.

وبركته، وهداه، وأعوذ بك من شر مافيه، وشر مابعده، اللهم عافنى فى بدنى، اللهم عافنى فى سمعى، الله عافنى فى بصرى، اللهم رحمتك أرجو، فلاتكلنى إلى نفسى طرفة عين، وأصلح لى شأنى كله، لا إله إلا أنت، اللهم إنى أعوذ بك من الهم، والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين، وقهر الرجال، اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك، وأغنى بفضلك عما سواك، ياحى ياقيوم»[1].

(١) جزء كبير من هذا الحديث متفق عليه فرواه البخارى فى كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر حديث رقم (١٣٧٧ ج٣ ص ٢٤١)، ومسلم فى كتاب المساجد، باب مايستعاذ منه فى الصلاة، باب الصلاة، حديث رقم (٥٨٨ و٥٨٩) عن أبى هريرة وعائشة (ج١ ص ٤١٢)، وأبو داود فى كتاب الصلاة، باب الصلاة، باب مايقول بعد التشهد حديث رقم (٩٨٣ ـ ٩٨٤ ج١ ص ٢٥٨)، والنسائى (ج٣ ص ٥٨) فى كتاب السهو، باب نوع آخر من التعوذ فى الصلاة.

فصل

فى بيان السنن والرواتب التى كان يواظب عليها فى كل يوم ﷺ

أما فى الحضر فكان لايفوته عشر ركعات: ركعتان قبل فرض الصبح، وركعتان قبل فرض الظهر، وركعتان بعد ذلك، وركعتان بعد المغرب وركعتان بعد العشاء ولم تفته ركعتا الظهر[1] فى وقت من الأوقات وإن فاتتا قضاهما بعد صلاة العصر.

وكان يداوم على صلاة ركعتين بعد العصر، وهذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم، ويكره فى حق غيره، وأحيانا كان يصلى قبل الظهر أربع ركعات، ولفظ البخارى «كان لايدع أربعا قبل الظهر، وركعتين قبل الغداة» وللعلماء فى هذا تأويلان:

أحدهما، أنه كان إذا صلى سنة الظهر فى بيته صلاها أربعا وإذا صلى فى المسجد صلى ركعتين.

والثانى، إن هذه صلاة مستقلة، كان يصليها عقيب زوال الشمس، ويقول: «هذه ساعة تفتح فيها أبواب السماء وأحب أن يصعد لى فيها عمل صالح» وكان عبدالله بن مسعود رضى الله تعالى عنه يصلى بعد الزوال ثمانى ركعات، ويقول: انهن تعدلن مثلهن من قيام الليل.

وقال بعض المشايخ: السر فى هذا أن هذين الوقتين زمان تنزل الرحمة بعد الزوال وذلك بعد انتصاف النهار، والتنزل الإلهى فى الليل يكون بعد انتصافه، ولما كان هذان الوقتان محل قرب الرحمة، ظهرت المناسبة.

---

(١) رواه البخارى فى كتاب التهجد باب (٢٩) التطوع بعد المكتوبة حديث رقم (١١٧٢ ـ ج٣ ص ٥٠)، ومسلم فى صلاة المسافرين باب فضل السنن الراتبة حديث رقم (٧٢٩ ـ ج١ ص ٥٠٤)، وأبو داود فى كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب التطوع وركعات السنة حديث رقم (١٢٥٢ ـ ج٢ ص ١٩)، والترمذى فى أبواب الصلاة باب ماجاء أنه يصليهما فى بيته رقم (٤٣٣ ـ ٤٣٤ ـ ج٢ ص ٢٩٨)، والنسائى (ج٢ ص ١١٩).

وروى في مسند الإمام أحمد، وسنن النسائي، والترمذي «من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار» وكان يفصل بين هذه الأربع بتسليمتين.

وقال أمير المؤمنين على كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى قبل الظهر أربع[1] ركعات يفصل بينهن بالتسليم على الملائكة المقربين، ومن تبعهم من المسلمين والمؤمنين. رواه أحمد والترمذي محسنا.

وروى أمير المؤمنين على: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى في كل يوم وليلة من السنة ست عشرة ركعة، ركعتين قبل فرض الصبح، وأربعا قبل فرض الظهر، وركعتين بعدها، وأربعا قبل فرض العصر، وأربعا في وقت الضحى. وهذا بعض حديث مطول، وللعلماء في إسناده مقال.

وروى ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رحم الله امرءا صلى قبل العصر أربعا»[2] صححه ابن حبان، وكان الصحابة يصلون قبل المغرب ركعتين، ولم يمنعهم ﷺ من ذلك، وثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال: «صلوا قبل المغرب، صلوا قبل المغرب، صلوا قبل المغرب» وقال في الثالثة: «لمن شاء»[3] كراهية أن يتخذها الناس سنة فصلاتها مندوبة مستحبة، لكن لاتبلغ درجة الرواتب.

---

(١) رواه البخاري في كتاب التهجد باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى حديث رقم (١١٦٥ ـ ج٣ ص ٤٨)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل السنن الراتبة وبيان عددهن حديث رقم ٧٢٩ ـ ج١ ص ٥٠٤)، والترمذي (ج٣ ص ٢٩٠).

(٢) رواه أحمد وأبو داود في كتاب الصلاة، باب الصلاة قبل العصر حديث رقم (١٢٧١ ـ ج٢ ص ٢٣)، والترمذي في أبواب الصلاة، باب ماجاء في الأربع قبل العصر حديث رقم (٤٣٠ ـ ج٢ ص ٢٩٥، ٢٩٦) وحسنه الترمذي، ورواه ابن خزيمة وصححه، وكذا ابن حبان، في إسناده [illegible] مقال.. لكن وثقة ابن حبان وابن عدى. كما في تلخيص الحبير (٢/ ١٢).

(٣) رواه البخاري في كتاب التهجد، باب الصلاة قبل المغرب حديث رقم (١١٨٣ ـ ج٣ ص ١٢٦)، [illegible] حبان في صحيحه. انظر موارد الظمآن في كتاب النوافل باب الصلاة قبل المغرب حديث رقم [illegible] ١٦٢، ١٦٣).

وكان يصلى الرواتب فى بيته، وعلى الخصوص ركعتى المغرب، فإنه لم يصلهما فى المسجد أبدا. فلذلك اختلف العلماء: أنه لو صلاهما فى المسجد هل يجزيه ذلك أم لا.

قال بعض العلماء: لا، وقال الإمام المروزى: من صلى الركعتين بعد المغرب فى المسجد يكون عاصيا، وقال أبو ثور أيضا: هوعاص، وسبب العصيان أن النبى ﷺ قال: «اجعلوها فى بيوتكم» وعند أكثر العلماء يجزيه ذلك لكن يكون تاركا للأولى. وفى سنة المغرب سنتان:

إحداهما: بأن لايتكلم بينها وبين الفريضة، لما فى الحديث: «من صلى ركعتين بعد المغرب» قال مكحول: يعنى قبل أن يتكلم «رفعت صلاته فى عليين»[1].

الثانية: أن يكون فى البيت، دخل رسول الله ﷺ مسجد بنى الأشهل وصلى المغرب فلما فرغ رأى أهل المسجد، اشتغلوا بصلاة السنة[2] فقال: «هذه صلاة البيوت».

وفى لفظ ابن ماجه: «اركعوا هاتين فى بيوتكم» وحاصله أن عادة حضرة سيدنا رسول الله ﷺ، أنه كان يصلى جميع السنن فى بيته إلا أن يكون لسبب، وكان يقول: «أيها الناس صلوا فى بيوتكم فإن أفضل صلاة الرجل فى بيته إلا المكتوبة».

وكان يحافظ على ركعتى الفجر، بحيث أنه كان يواظب عليها فى السفر أيضا، ولم يرد عنه أنه صلى فى السفر شيئا من السنن الرواتب إلا سنة الفجر[3]، وصلاة الوتر.

---

(١) لم نجده بهذا اللفظ لكن ورد نحوه فى الصحيحين انظر صحيح البخارى (ج٣ ص ٤١)، ومسلم برقم (٧٢٩)، وموطأ الإمام مالك (ج١ ص ١٦٦)، وأبى داود برقم (١٢٥٢)، والنسائى (ج٢ ص ١١٩)، والترمذى (٤٣٣).

(٢) انظر صحيح البخارى (ج٣ ص ٤٩)، وأبى داود برقم (١٢٨١).

(٣) رواه البخارى بمثله (ج٣ ص ٤٨)، وأبو داود برقم (١٢٥٣)، والنسائى (ج٣ ص ٢٥١).

وللعلماء فى أفضلية سنة الفجر، وصلاة الوتر قولان: قال بعضهم: سنة الفجر أكد. قال بعضهم: بل الوتر، وكما أن الوتر واجب عن البعض كذا سنة الفجر، تجب عند البعض.

وقال بعض المشايخ: سنة الفجر ابتداء العمل، والوتر ختم العمل، فلا جرم صرفت العناية لشأنهما، ولهذا السبب شرع فيها قراءة سورة الإخلاص، وسورة قل يا أيها الكافرون[1]، لاشتمالهما على توحيد العلم والعمل، وتوحيد المعرفة والإرادة، وتوحيد الاعتقاد والقصد، كما بيناه فى كتاب: (حاصل كورة الخلاص فى فضائل سورة الإخلاص).

فصل

اضطجاع الرسول ﷺ بعد صلاة الفجر

عادة حضرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا صلى سنة الفجر وضع جنبه الأيمن على الأرض، ونام قليلا، وفى جامع الترمذى «إذا صلى أحدكم الركعتين قبل صلاة الصبح فليضطجع على جنبه»[2]، حديث صحيح غريب قال ابن حزم: هذا الاضطجاع فرض على المصلى حتى لو لم يأت به بين السنة والفرض ففرضه باطل[3].

وقد صنف بعض العلماء فى نصرة هذا المذهب مجلدا ووافق هذا القول جماعة من مشايخ الطريقة، كصاحب الفتوحات وغيره، وقال بعض العلماء:

---

(١) انظر صحيح مسلم حديث رقم (٧٢٤ ـ ج١ ص ٥٠٠ ـ ٥٠١)، وأبى داود برقم (١٢٥٥ ـ ج٢ ص ١٩)، والنسائى (ج٣ ص ٢٥٦)، ومالك فى الموطأ حديث رقم (٣٠ ـ ج١ ص ١٢٧).

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذى وصححه ـ انظر سنن أبى داود فى كتاب الصلاة، باب الاضطجاع بعدها حديث رقم (١٢٦١ ـ ج٢ ص ١٢) والترمذى فى أبواب الصلاة باب ما جاء فى الاضطجاع بعد ركعتى الفجر حديث رقم (٤٢٠ ـ ج٢ ص ٢٨١) وأحمد فى مسنده (ج٢ ص ٤١٥) وقال الترمذى حسن صحيح غريب من هذا الوجه (٢/ ٢٨١).

وقال النووى عن هذا الحديث فى شرح مسلم: إسناده صحيح على شرط البخارى ومسلم.

(٣) انظر فى كتاب المحلى لابن حزم (ج٣ ص ١٩٦).

بكراهة ذلك وعده من البدع، واختار جمهور العلماء الطريق المستقيم المتوسط وقالوا: باستحبابه.

قال الإمام مالك: إن فعل ذلك للاستراحة فحسن، والسر فى الاضطجاع على الجنب الأيمن أن يغلبه النوم، لأن القلب معلق فى الجانب الأيسر، فلو اضطجع عليه لاستقر القلب وغلبت الراحة، وثقل النوم، وإذا اضطجع على شقه الأيمن، طلب القلب مستقره فقلق وأبطأ النوم لذلك، وإن جاء النوم فلا يكون ثقيلا، ولهذا اختار الأطباء النوم على الشق الأيسر طلبا لكمال الراحة، واختار صاحب الشرع الشق الأيمن طلبا لخفة النوم، وسرعة قيام الليل. وحاصلة أن النوم على الجانب الأيمن ينفع، وعلى الجانب الأيس ينفع البدن، والله أعلم.

فصل

فى قيام الليل

اختلف العلماء فى قيام الليل هل كان فرضا على سيدنا رسول الله ﷺ أو سنة؟ ولكليهما دليل واحد وهو آية التنزيل ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾(١) قالت طائفة: هذا صريح فى عدم الوجوب، وقال آخرون: هذا صريح فى وجوب قيام الليل والتهجد كما جاء الأمر به فى مكان آخر وهو: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(٢) ولم يرد صريح نسخ.

وأما قوله: ﴿نافلة﴾ فلو كان المراد به التطوع لما خصص بقوله ﴿لك﴾ بل المراد الزيادة، ومطلق الزيادة لاتدل على التطوع، بل تدل على زيادة الدرجات، ولهذا خص به، لأن قيام الليل فى حق غيره مباح ومكفر

---

(١) سورة الإسراء آية ٧٩.

(٢) سورة المزمل آية ١.

للسيئات، وأما في حقه فزيادة في الدرجات وعلو المراتب، لأنه المغفور له على الإطلاق.

قال مجاهد: لم يكن لغيره نوافل بل مكفرات، والنوافل خاصة به ﷺ، ولم يدع ﷺ قيام الليل(١) في حالة من الحالات، بل حافظ عليه في السفر والحضر، وإن فاته في حين المرض أو غلبة نوم، صلى في أثناء النهار اثنى عشرة ركعة بدل ذلك، ولم يزد في صلاة الليل على ثلاث عشرة ركعة.

وربما اقتصر على إحدى عشرة ركعة منها خمس ركعات بتسليمة واحدة هن آخر الصلاة، وقال بعض العلماء: لم يزد في صلاة الليل على إحدى عشرة ركعة.

والرواية التي وردت بثلاث عشرة صحيحة لكن مع ركعتي الفجر، وحديث عائشة بين ذلك قالت: (كان رسول الله ﷺ يصلي ثلاث عشرة ركعة بركعتي الفجر)(٢) . وقال الشعبي رحمه الله: سألت ابن عباس، وابن عمر، عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل، فقالا: ثلاث عشرة منها ثمان وبوتر بثلاث وركعتين بعد الفجر.

وجاء في الصحيحين: رواية صريحة، بأن صلاة الليل، ثلاث عشرة ركعة: عن ابن عباس أنه بات في بيت خالته ميمونة، فقام النبي ﷺ من

---

(١) انظر البخاري (ج٨ ص ٤٤٩)، ومسلم برقم (٢٨٢٠)، ٢٨١٩)، والنسائي (ج٣ ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦)، وموطأ الإمام مالك (ج١ ص ١٧٦) وأبي داود برقم (١٣٠٦).

(٢) متفق عليه رواه البخاري في كتاب التهجد باب (١٦) قيام النبي ﷺ في رمضان وغيره حديث رقم (١١٤٧) فتح الباري (ج٣ ص ٣٣)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين باب صلاة النبي ﷺ في الوتر حديث رقم (٧٣٨ ـ ج١ ص ٥٠٩)، وأبو داود في كتاب الصلاة باب صلاة الليل حديث رقم (١٣٤١ ـ ج٢ ص ٤٠)، والترمذي في أبواب الصلاة، باب ماجاء في وصف صلاة النبي ﷺ باب (٢) صلاة النبي ﷺ في الوتر حديث رقم (٩ ـ ج١ ص ١٢٠)، والنسائي (ج١ ص ٢١٠) في كتاب قيام الليل، باب وقت الوتر.

الليل، فصلى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضطجع حتى جاء المؤذن، فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلى الصبح.

وفى لفظ أخر: صلى ثلاث عشرة ركعة، ثم نام، حتى نفخ، فلما تبين له الفجر، صلى ركعتين خفيفتين[1].

واتفق العلماء على إحدى عشرة ركعة، واختلفوا فى ركعتين، فعند البعض هما غير ركعتى الفجر، وعند البعض هما هما. وإذا ضممت هذا العدد إلى عدد ركعات الفرائض، والرواتب، التى كان يواظب عليها، ويحافظ عليها، تجدها أربعين ركعة.

الفرض من ذلك سبعة عشر، والرواتب عشر، أو اثنا عشر، وقيام الليل إحدى عشرة، أو اثنتا عشرة، أو ثلاث عشرة، فصار المجموع أربعين ركعة.

وما زاد على هذا العدد فلسبب، كصلاة الفتح، وهى ثمان ركعات، صلاها يوم فتح مكة، وكصلاة الضحى، فإنه كان يصليها إذا قدم من السفر، وكتحية المسجد، وكالصلاة التى كان يصليها فى بيت من يقصد زيارته، وما أشبه ذلك.

فينبغى لطالب متابعته ﷺ أن لايدع هذه الأربعين ركعة باختياره فى وقت من الأوقات، وأن يواظب عليها فى جميع الحالات، لأن المواظبة عليها، سبب فتح أبواب السعادات. ونيل المرادات، فجدير بمن قرع باب أكرم الأكرمين، فى كل يوم أربعين مرة، بأصبع الطلب، والأدب، باتباع أشرف العجم والعرب، أن يفتح له فى أسرع الأوقات، وأقرب الحالات.

---

(١) متفق عليه رواه البخارى (ج٣ ص ٢١)، ومسلم برقم (٧٣٩).

فصل

صلاة الليل للنبى ﷺ

كان ﷺ يستيقظ من النوم، بعد مضى نصف الليل، وأحيانا قبل ذلك، وأحيانا عند صياح الديك، وذلك يكون فى الغالب بعد مضى نصف الليل، وكان إذا استيقظ مسح بيده على عينيه المباركتين، ثم استعمل المسواك ثم توضأ، وفى حالة استعمال المسواك، كان يقرأ آخر آل عمران ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[1] إلى آخر السورة، ، ثم افتتح الصلاة بركعتين خفيفتين، وأمر أمته بذلك فقال: «إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين»[2].

وورد فى كيفية قيام الليل طرق ثمانية كلها صحيحة، والمتعبد مخير فى المواظبة على أى هذه الأنواع شاء، أو اختيار نوع منها فى وقت دون وقت:

الأول: حديث ابن عباس، أن رسول الله ﷺ استيقظ، فتسوك، وتوضأ وهو يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ فقرأ هؤلاء الآيات حتى ختم السورة، ثم قام فصلى ركعتين، وأطال فيهما القيام والركوع، والسجود، ثم انصرف، فنام، حتى نفخ، ثم فعل ذلك ثلاث مرات، بست ركعات، كل ذلك يستاك، ويتوضأ، ويقرأ هذه الآيات، ثم أوتر بثلاث، فأذن المؤذن فخرج إلى الصلاة، وهو يقول: «اللهم اجعل فى قلبى نورا، وفى لسانى نورا، واجعل فى سمعى نورا، واجعل فى بصرى نورا، واجعل من خلفى نورا، ومن أمامى نورا، واجعل من فوقى نورا، ومن تحتى نورا، اللهم أعطنى نورا».

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩٠.

(٢) رواه مسلم برقم (٧٦٨)، وأخرجه أبو داود برقم (١٣٢٣، ١٣٢٤).

هذه الرواية فى صحيح[١] مسلم، وليس فيها الافتتاح بركعتين، وأجيب عن هذا بوجهين:

الأول: أنه كان فى بعض الأوقات يفتتح بركعتين خفيفتين، وفى بعض الأوقات بركعتين طويلتين.

الثانى: أن عائشة أعرف بحال قيام الليل، وقد تكون حفظت مافات عن ابن عباس.

النوع الثانى: ماروت عائشة أنه ﷺ كان يفتتح الصلاة بركعتين خفيفتين، وبعدهما يطول، يصلى عشر ركعات بخمس تسليمات، ويوتر بركعة، ثم يسلم.

النوع الثالث: كان يصلى-ثلاث عشرة ركعة خارجا عن ركعتى الفجر.

النوع الرابع: كان يصلى ثمان ركعات بأربع تسليمات ثم يصلى بعد ذلك خمس ركعات يجلس فى آخراهن ويسلم، ولم يكن فى أثنائهن جلوس، إلا فى الآخر.

النوع الخامس: كان يصلى تسع ركعات، منها ثمان متعاقبات، ليس بينهن جلوس إلا بعد الثامنة، فإنه كان يتشهد، ويدعو ثم ينهض إلى التاسعة من غير سلام ثم يتشهد بعدها ويسلم، ثم يصلى ركعتين عقب الوتر.

النوع السادس: كان يصلى ست ركعات متصلات لايجلس بينهن، إلا فى آخرهن، ثم ينهض قبل السلام، فيصلى ركعة، ويسلم، ثم يصلى بعد ذلك ركعتين جالسا عقب الوتر.

النوع السابع: كان يسلم فى ركعتين ويصلى فى آخرهن ثلاث ركعات بتسليمة واحدة، وطعن الحفاظ فى هذه الرواية لما فى صحيح ابن حبان بإسناد

---

(١) انظر صحيح مسلم (ج١ ص ٥١٠) ومابعدها.

صحيح «لاتوتروا بثلاث، أوتروا بخمس، أو سبع، ولاتشبهوا بصلاة المغرب»(١).

وفى حديث عائشة بإسناد صحيح، أنه كان يسلم فى الركعتين الأخيرتين، ثم بعد ذلك يصلى ركعة.

وسئل الإمام أحمد: ماتقول فى الوتر؟ قال: أكثر الحديث وأقواه ركعة. فأنا أذهب إليها. ثم سئل ثانيا؟ فقال: يسلم فى الركعتين، وإن لم يسلم رجوت أن لايضره، إلا أن التسليم أثبت.

النوع الثامن: روى النسائى بسنده عن حذيفة، أنه صلى مع رسول ﷺ - يعنى صلاة الليل - وطوّل فى الركوع، مثل القيام، وكان يقول: «سبحان ربى العظيم» ثم بعد ذلك جلس، وقال: «رب اغفر لى» وكررها. ولما صلى أربع ركعات على هذا الوجه أذن بلال للصبح، ودعا النبى ﷺ للصلاة.

هذه الطرق الثمانية ثبتت فى قيام الليل وكان يصلى الوتر فى أول الليل(٢)، وحينا فى أوسطه. وحينا فى آخره. وهذا فى الغالب.

وفى بعض الليالى، كان يكرر آية فى صلاة الليل من أوله إلى آخره وهى ﴿**إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم**﴾(٣).

وصلاة النبى صلى الله عليه وسلم كانت على ثلاثة أنواع:

أحداهما: أنه كان يصليها قائما وذلك فى الغالب.

الثانى: أنه كان يصليها جالسا ويركع جالسا أيضا.

---

(١) جاء فى الصحيحين مايخالف رواية المصنف التى نقلها عن ابن حبان انظر صحيح البخارى (ج٢ ص ٤٠٦)، ومسلم برقم (٧٥١)، وأبى داود برقم (١٤٣٨)، والنسائى (ج٣ ص ١٣٠، و ١٣١).

(٢) متفق عليه رواه البخارى (ج٢ ص ٤٠٦)، ومسلم برقم (٧٤٥، ١٣٧)، وأخرجه النسائى (ج٣ ص ٢٣٠) والترمذى برقم (٤٥٧)، وأبو داود برقم (١٤٣٥).

(٣) سورة المائدة آية ١١٨.

والحديث متفق عليه ورد فى صحيح البخارى (٢/٤٠٦) ومسلم (٧٤٥).

الثالث: أنه كان يصليها جالسا، ويقرأ غالب القراءة جالسا ثم يقوم فيقرأ مابقى قائما ثم يركع، هذه الأنواع الثلاثة صحيحة، وأما الحديث الذى ورد بأن هيئة جلوسه فى حالة الصلاة قاعدا التربع، فقد طعن الحفاظ فيه، وحملوه على خطأ بعض الرواة.

فصل

النافلة من صلاة النبى ﷺ

ثبت بروايات صحيحة أنه ﷺ كان يصلى بعد الوتر ركعتين فى صحيح مسلم، عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنه كان يصلى ثلاث عشرة ركعة[١]. يصلى ثمان ركعات، ثم يوتر، ثم يصلى ركعتين، وهو جالس، فإذا أراد أن يركع قام، فرفع، ثم يصلى ركعتين بين النداء والإقامة.

وفى مسند الإمام أحمد روى عن أم سلمة أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصلى بعد الوتر ركعتين خفيفتين، وهو جالس، وأبو أمامة يروى كان رسول الله ﷺ يصلى ركعتين بعد الوتر وهو جالس، يقرأ فيهما ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ﴾ و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾[٢] وروى هذا المعنى أيضا جماعة من الصحابة غير من ذكرنا.

وظاهرة معارض بحديث « واجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا»[٣] وقد أشكل على كثير من العلماء لاجرم أنكره الإمام مالك، وقال الإمام أحمد:

---

(١) رواه الشيخان باختلاف يسير. انظر صحيح البخارى شرح فتح البارى (ج٣ ص ٣٣) حديث رقم (١١٤٧)، ومسلم برقم (٧٣٨ - ج١ ص ٥٠٩)، وأبى داود برقم (١٣٤١ - ج٢ ص ٤٠)، والترمذى برقم (٤٣٩ - ج٢ ص ٣٠٢، ٣٠٣)، والموطأ برقم (٩ - ج١ ص ١٢٠)، والنسائى (ج١ ص ٢١٠).

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) متفق عليه رواه البخارى (ج٢ ص ٤٠٦)، ومسلم برقم (٧٤٥، ١٣٧) وأخرجه أبو داود برقم (١٤٣٨)، والنسائى (ج٣ ص ٢٣٠ و٢٣١)، والترمذى برقم (٤٥٧)، وأبو داود برقم (١٤٣٥) فى كتاب الصلاة، باب فى وقت الوتر (ج٢ ص ٦٧).

لا أصليها، ولا أمنع أحدا من صلاتها.

وقال جماهير العلماء: صلاها لبيان الجواز، ليعلم أن بعد الوتر، يجوز صلاة النوافل، وأن الوتر لايقطع صلاة النوافل، وعلى هذا يكون قوله: «اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا» مبنيا على الاستحباب.

وقال بعض العلماء: هذه الصلاة ملحقة بالوتر، وجارية مجرى سنة الوتر، لاسيما على مذهب من يقول: بوجوب الوتر، وكما أن صلاة المغرب وتر النهار مشفوعة من السنة بركعتين كذلك وتر الليل أيضا مشفوع من السنة بركعتين.

فصل

دعاء القنوت للنبى محمد ﷺ

لم يرد فى الصحيح أنه ﷺ قرأ القنوات فى صلاة الوتر أصلا. قال الإمام أحمد: كل ماثبت فى القنوت فمجموعه فى صلاة الصبح. ولم يثبت فى الوتر أصلا، بل لم يرد، ولكن جماعة من الصحابة كانوا يقرءون القنوت فى صلاة الوتر، لحديث مسند الإمام أحمد عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال: علمنى رسول الله ﷺ كلمات أقولهن فى قنوت الوتر «اللهم اهدنى فيمن هديت، وعافنى فيمن عافيت، وتولنى فيمن توليت، وبارك لى فيما أعطيت، وقنى شر ماقضيت، إنك تقضى ولا يقضى عليك، إنه لايذل من واليت ولايعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت وصلى الله على النبى» قال الترمذى: هذا أحسن حديث، روى فى باب القنوت.

وثبت عن أمير المؤمنين عمر، وأبى بن كعب، وعبد الله بن مسعود، أنهم كانوا يقرأون القنوت فى صلاة الوتر، ولم يرو عن النبى ﷺ قطعا،

وكل ما روى فإنه مطعون ومفترى.

روى الترمذى والنسائى كان رسول الله ﷺ يقول فى أخر وتر «اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»[1]، وهذه العبارة يحتمل أن يكون قالها بعد التشهد وهذا أقرب، بل هو متعين، لما رواه النسائى، كان يقول إذا فرغ من صلاته، وتبوأ مضجعه - وزاد فى لفظ هذه الرواية: «لا أحصى ثناء عليك ولو حرصت».

وثبت فى بعض الروايات الصحيحة: أنه كان يقول هذا فى السجود، فيحتمل أن يكون قاله فى مجلسين.

وفى مسند الحاكم من حديث ابن عباس فى صفة صلاة رسول الله ﷺ، ووتره، فلما قضى صلاته سمعته يقول: «اللهم اجعل فى قلبى نورا، وفى بصرى نورا، وفى سمعى نورا، وعن يمينى نورا، وعن يسارى نورا، وفوقى نورا، وتحتى نورا، وأمامى نورا، وخلفى نورا، واجعل لى يوم لقائك نورا».

وفى بعض الروايات: «وفى عصبى نورا، وفى لحمى نورا، وفى شعرى نورا، وفى بشرى نورا، وفى لسانى نورا، واجعل فى نفسى نورا، وأعظم لى نورا، واجزل لى نورا، واعطنى نورا»[2]، وكان يقرأ فى صلاة الوتر فى الركعة الأولى ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ وفي الركعة الثانية ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وفى الركعة الثالثة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[3] والمعوذتين ويقول عقب السلام: «سبحان الملك القدوس» ثلاثا، يرفع صوته فى الثالثة، ويمد

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه برقم (٤٨٦)، ومالك فى الموطأ (ج١ ص ٢١٤)، وأبو داود برقم (٨٧٩)، والترمذى برقم (٣٤٩١)، والنسائى (ج٢ ص ٢٢٢)، وأورده النووى فى رياض الصالحين (٥٣٨).

(٢) رواه مسلم فى صحيحه باختلاف يسير، وأورده الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٢ ص٢٩٨).

(٣) رواه أحمد فى مسنده، وأبو داود فى كتاب الصلاة، باب مايقرأ فى الوتر حديث رقم (١٤٢٣ - ج٢ ص٦٣)، والنسائى (ج٣ ص ٢٣٥) فى كتاب قيام الليل، باب ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر أبى بن كعب فى الوتر، وباب نوع أخر من القراءة فى الوتر، وانظر تلخيص الحبير (٢/ ١٧).

الحروف، ثم يقول بعد ذلك: «رب الملائكة والروح».

وكان يقرأ بالترتيل، ويقف فى آخر كل أية البتة وإن تعلقت بما بعدها وبعض القراء يقول: الوقف على مكان انتهاء الكلام، وانفصاله، أولى وأفضل. وهذا القول غير مستحسن لأن متابعة الرسول ﷺ فى كل حال، أكمل وأفضل.

وللعلماء اختلاف فى أفضلية القراءة المرتلة، مع القلة على القراءة الكثيرة، مع السرعة، قال ابن عباس، وابن مسعود: الترتيل والتدبر مع قلة القراءة أفضل، وقال أمير المؤمنين عليّ، وجماعة من الصحابة والتابعين، والإمام الشافعى: كثرة القراءة أفضل لأن بكل حرف عشر حسنات.

وقال النبى ﷺ «ولا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»(١).

وقال بعض المتأخرين: ثواب القراءة بالترتيل، والتدبر أكبر وأحسن، وثواب كثيرة القراءة أزيد وأكثر، مثال ذلك شخص تصدق بجوهرة ثمينة، ومثال شخص تصدق بلآلىء صغار، أو بدراهم ودنانير كثيرة، وما أشبه ذلك.

وكان يُسر فى قراءة الليل أحيانا، ويجهر أحيانا، ويطيل القيام أحيانا، ويخفف أحيانا.

---

(١) رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح، برقم (٢٩١٢)، وأورده النووى فى رياض الصالحين عن ابن مسعود برقم (٩/ ٩٩٩ ص ٤٢٠ ـ ٤٢١).

فصل
فى صلاة الضحى
وعادة الرسول ﷺ فى ذلك

قالت عائشة رضى الله عنها: رأيت رسول الله ﷺ يصلى الضحى أربعا ويزيد ما شاء الله[١]، وعن أنس قال: رأيت رسول الله ﷺ فى سفر، يصلى سبحة الضحى ثمان[٢] ركعات، فلما انصرف قال: «إنى صليت صلاة رغبة ورهبة، فسألت ربى ثلاثا؟ فأعطانى اثنين ومنعنى واحدة، سألته أن لايقتل أمتى بالسنين ففعل، وسألته أن لايظهر عليهم عدوا ففعل، وسألته أن لايلبسهم شيعا فأبى على» صحيح رواه الحاكم[٣].

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: صلى النبى ﷺ صلاة الضحى، ثم قال: «اللهم اغفر لى وارحمنى وتب على إنك أنت التواب الرحيم»[٤] حتى قالها مائة مرة، وعن أم ذر قالت: رأيت عائشة تصلى الضحى وتقول: مارأيت رسول الله ﷺ يصلى إلا أربع ركعات.

وعن جبير بن مطعم أنه رأى رسول الله ﷺ صلى الضحى. وعن جابر ابن عبد الله أن النبى ﷺ، صلى صلاة الضحى ست ركعات. وعن عائشة وأم سلمة قالتا: كان رسول الله ﷺ يصلى الضحى اثنتى عشرة[٥] ركعة.

---

(١) رواه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين باب استحباب صلاة الضحى وإن أقلها ركعتان حديث رقم (٧١٩ - ج١ ص ٤٩٧)، وأورده محمد إسماعيل الصنعانى فى سبل السلام (ج٢ ص ٣٤ برقم ٣٦٣).

(٢) رواه الترمذى بنحوه فى أبواب الصلاة، باب ماجاء فى صلاة الضحى حديث رقم (٤٧٣ - ج٢ ص ٣٣٧) عن أنس رضى الله عنه.

(٣) رواه الحاكم وصححه وانظر نيل الأوطار (ج٣ ص ٦١، ٦٢)، وسبل السلام (ج٢ ص ٣٦) ومابعدها.

(٤) رواه مسلم بنحوه برقم (١٧٢١)، والترمذى برقم (٣٤٨٤).

(٥) رواه الترمذى فى أبواب الصلاة، باب ماجاء فى صلاة الضحى حديث رقم (٦٣٠) وانظر موارد الظمآن (ص ١٦٥).

وعن عليّ رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يصلى الضحى ست ركعات، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: أوصانى خليلى بصيام ثلاثة أيام فى كل شهر وركعتى الضحى وأن أوتر قبل أن أنام[١].

وعن أبى ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهى عن المنكر صدقة، وتجزئ من ذلك ركعتين تركعهما من الضحى»[٢]. وفى مسند الإمام أحمد عن معاذ بن أنس، يرفعه: «من قعد فى مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى سبح ركعتى الضحى، لايقول إلا خيرا، غفر له خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر».

وعند الترمذى عن أبى هريرة، يرفعه «من حافظ على سبحة الضحى غفر له ذنوبه وإن كان مثل زبد البحر».

وعن نعيم بن همار قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: ابن آدم لاتعجز لى عن أربع ركعات فى أول النهار أكفك أخره»[٣]. وعند الترمذى، وابن ماجه عن أنس يرفعه: «من صلى اثنتى عشرة ركعة بنى الله له قصر فى الجنة من ذهب»[٤]. وعند مسلم عن زيد بن أرقم أنه رأى قوما يصلون

---

(١) متفق عليه رواه البخارى (ج٣ ص ٤٧)، ومسلم برقم (٧٢١)، وأبو داود (١٤٣٢)، والترمذى (٧٦٠)، والنسائى (ج٣ ص ٢٢٩).

(٢) رواه مسلم فى صحيحه برقم (٧٢٠)، وأورده النووى فى رياض الصالحين (ص ٤٥٨ برقم ٢/ ١١٤٠) وسلامى فى الحديث بضم السين المهملة وتخفيف اللام - المفاصل والأعضاء وقد ثبت فى صحيح مسلم أنها ثلاثمائة وستون. قال القاضى عياض: أصله عظام الكف والأصابع والأرجل ثم استعمل فى سائر عظام الجسد ومفاصله.

(٣) رواه أحمد وأبو داود وهو للترمذى من حديث أبى ذر وأبى الدرداء وأورده الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٣ ص ٦٤).

(٤) رواه الترمذى واستقر به فى أبواب الصلاة، باب ما جاء فى صلاة الضحى حديث رقم (٤٧٣ - ج٢ ص ٣٣٧)، وانظر سبل السلام (ج٢ ص ٣٧).

الضحى فى مسجد قباء فقال: أما لقد علموا أن الصلاة فى غير الساعة أفضل أن رسول الله ﷺ قال: « صلاة الأوابين حين ترمض الفصال»[١] أى يشتد حر النهار، فتهجر الفصال حر الرمضاء.

فى الصحيحين أن النبى ﷺ صلى الضحى ركعتين، فى بيت عنيان بن مالك، وعن أبى هريرة: لايحافظ على صلاة الضحى إلا أواب[٢]. رواه الحاكم على شرط مسلم، وعنده عن أبى هريرة يرفعه أن للجنة بابا يقال له: باب الضحى فإذا كان يوم القيامة، نادى مناد أين الذين كانوا يداومون على صلاة الضحى هذا بابكم ادخلوه برحمة الله.

وعن أبى سعيد قال: كان رسول الله ﷺ يصلى الضحى، حتى نقول: لايدعها، ويدعها حتى نقول لايصليها.

وعن ابن عمر أنه قال لأبى ذر: أوصنى ياعم قال: سألت رسول الله ﷺ كما سألتنى فقال: «من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين، ومن صلى أربعا كتب من العابدين ، ومن صلى ستا لم يلحقه ذلك اليوم ذنب، ومن صلى ثمانيا كتب من القانتين، ومن صلى عشر بنى الله له بيتا فى الجنة»[٣].

وقال مجاهد: صلى رسول الله ﷺ يوما الضحى ركعتين، ثم يوما أربعا، ثم يوما ستا، ثم ثمانيا يوما، ثم ترك.

---

(١) انفرد به مسلم فى صحيحه فى كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الأوابين حين ترمض الفصال حديث رقم (٧٤٨ - ج١ ص ٥١٥ ، ٥١٦)، وأورده النووى فى رياض الصالحين (ص ٤٤٩ برقم ١١٤٣/١) وانظر سبل السلام (ج٢ ص ٣٦)

(٢) رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط ولم يخرجه.

(٣) رواه الطبرانى عن أبى الدرداء مرفوعا. وقال الحافظ فى إسناده ضعف وله شاهد من حديث أبى ذ البزار وفى إسناده ضعف أيضا. وانظر نيل الأوطار (ج٣ ص ٦٣)

وعن أبى أمامة يرفعه: من مشى إلى صلاة مكتوبة، وهو متطهر إلى صلاة أخرى، كان له كأجر الحاج المحرم، ومن مشى إلى سبحة الضحى، كان له كأجر المعتمر وصلاة على أثر صلاة، لا لغو بينهما كتب فى عليين.

وعن أبى أمامة يرفعه: من صلى الصبح فى مسجد جماعة، ثم ثبت فيه حتى يسبح فيه سبحة الضحى، ثم يصلى الضحى، كان له كأجر حاج، أو معتمر، تام له حجته وعمرته[١].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: بعث النبى ﷺ جيشا فأعظموا الغنيمة، وأسرعوا الكرة، فقال رجل: يارسول الله: ما رأينا بعثا قط أسرع كرة، وأعظم غنيمة من هذا البعث. فقال: «ألا أخبركم بأسرع كرة، وأعظم غنيمة؟ رجل توضا فى بيته فأحسن وضوءه، ثم عمد إلى المسجد، فصلى صلاة الغداة ثم أعقب بصلاة الضحى فقد أسرع الكرة وأعظم الغنيمة»[٢].

ومجموع هذه الأحاديث دليل على استحباب صلاة الضحى وفضيلتها. وهذا مذهب الجمهور من العلماء والمشايخ.

وقال جمع من العلماء بكراهتها واستدلوا بالأثر الذى رواه البخارى عن ابن عمر، أنه لم يكن يصليها أبو بكر، ولا عمر قلت: فالنبى قال «لا أخاً له».

وروى عن عبدالرحمن بن أبى بكر: أن أبا بكر رأى جماعة، يصلون صلاة الضحى، فقال: إنكم لتصلون صلاة ماصلاها رسول الله ﷺ ولا عامة أصحابه.

---

(١) رواه الطبرانى عن عتبة عن رسول الله ﷺ بنحوه، قال الشوكانى ـفى إسناده الأحوص بن حكيم ضعفه الجمهور ووثقه العجلى، انظر نيل الأوطار (ج٣ ص ٦٠).

(٢) لم نعثر عليه.

وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: ماسبح رسول الله ﷺ سبحة الضحى، وإنى لأسبحها، وإن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به فيفترض عليهم.

وقال قيس بن عبيد: ترددت إلى ابن مسعود سنة فما رأيته صلى الضحى قط، وعن مجاهد قال: دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد، فإذا ابن عمر جالس عند حجرة عائشة رضى الله تعالى عنها، وإذا الناس يصلون فى المسجد صلاة الضحى فسألناه عن صلاتهم فقال: بدعة، ونعمت البدعة.

وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما: ما ابتدع المسلمون أفضل من صلاة الضحى، وقالت طائفة أخرى من العلماء: يستحب أن يصليها فى بعض الأحيان ويتركها فى بعض الأحيان، واستدلوا بحديث عبد الله بن شقيق قال: سألت عائشة هل كان رسول الله ﷺ يصلى صلاة الضحى؟ قالت: ماكان يصليها إلا إذا قدم من سفره، وبحديث أبى سعيد الخدرى قال: كان رسول الله ﷺ يصلى الضحى حتى نقول لايدعها، ويدعها حتى نقول لايصليها.

وعن عكرمة قال: كان ابن عباس يصليها يوما، ويدعها عشرة أيام - يعنى صلاة الضحى - وعن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر: أنه كان لايصلى الضحى فإذا أتى مسجد قباء صلى، وكان يأتيه كل سبت.

وعن منصور قال: كانوا يكرهون أن يحافظوا عليها كالمكتوبة، ويصلون، ويدعون - يعنى صلاة الضحى -.

وعن سعيد بن جبير قال: إنى لأدع صلاة الضحى وأنا اشتهيها مخافة أن أراها حتما على، وقال مسروق: كنا نقرأ فنبقى بعد قيام ابن مسعود، ثم نقوم فنصلى الضحى، فبلغ ابن مسعود ذلك، فقال: لم تحملون عباد الله ما لم يحملهم الله، إن كنتم لابد فاعلين ففى بيوتكم.

فهذه الطائفة تعلقت بهذه الأحاديث وقالوا: لاينبغى المداومة عليها، والصواب أنه يستحب المواظبة عليها، فإن خوفهم توهم الفريضة قد ارتفع، لكن الأولى أن يصليها فى البيت.

وقالت عائشة: لو نشر لى أبواى ما تركتها، واختار أكثر العلماء أربع ركعات لصحة أحاديثها.

وقال ابن جرير: أحاديث صلاة الضحى يظهر فيها اختلاف، أما عند التأمل فيظهر التوافق والصحة، ويرتفع التضاد ويندفع التعارض، واختلاف العدد كان بحسب اختلاف الأيام، والأحوال، فحينا كان يصلى ركعتين، وحينا أربعا، وحينا ستا، وحينا ثمان ركعات، وحينا عشرا، وحينا اثنى عشرة.

فالشخص مخير فى أى عدد أراد، وحديث أبى ذر المتقدم يدل على هذا المعنى، وهو قوله ﷺ: «من صلى ركعتين لم يكتب من الغافلين، ومن صلى أربعا كتب من العابدين....» إلى آخر الحديث وقد تقدم.

فصل

صلاة النبى ﷺ فى شكر الله

كان من عادة حضرة سيدنا رسول الله ﷺ أنه إذا تجددت نعمة أو اندفعت نقمة سجد لله تعالى شكرا.

ثبت فى مسند الإمام أحمد عن أبى بكرة، أن النبى ﷺ: وكان إذا أتاه أمر يسره خرّ ساجدا شكرا لله تبارك وتعالى[1]. وعن أنس أن النبى ﷺ بُشّر بحاجة فخر ساجدا.

---

(١) رواه الخمسة إلا النسائى، أخرجه أبو داود فى كتاب الجهاد باب فى سجود الشكر حديث رقم (٢٧٧٤ - ج٣ ص ٨٩)، والترمذى فى كتاب السير باب ماجاء فى سجدة الشكر حديث رقم (١٥٧٨ - ج٤ ص ١٤١)، و[illegible] فى كتاب الصلاة، باب ماجاء فى الصلاة والسجدة عند الشكر حديث رقم (١٣٩٤ - ج١ ص ٤٤٦) [illegible] السلام (ج١ ص ٤٢٤ برقم ٣٢٨).

وروى البيهقى بإسناد صحيح أنه لما ورد كتاب أمير المؤمنين علىّ من اليمن يتضمن أن قبيلة همدان أسلمت، خرّ النبى ﷺ ساجدا[١] من ساعته، وقال: «السلام على همدان، السلام على همدان».

وروى عبد الرحمن بن عوف، أن النبى ﷺ: لما بشر بأن من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا، وأن من سلّم عليه مرة، سلّم الله عليه بها عشرا، سجد صلى الله عليه وسلم من ساعته شكرا[٢].

وفى سنن أبى داود أن النبى ﷺ رفع يديه داعيا، ثم بعد ذلك سجد شكرا لله، ثلاث مرات وقال: «شفعت فى أمتى فوهبنى الله ثلثها فسجدت شكرا لله، ولما رفعت رأسى شفعت ثانيا فوهبنى الله ثلثا آخر، فسجدت شكرا، ولما رفعت رأسى دعوت الله ثالثا فوهبنى الثلث الباقى، فسجدت شكرا».

وثبت فى مسند الإمام أحمد: أن النبى ﷺ رأى رجلا نغاشا ـ يعنى قصير الأرجل ـ حقيراً نزراً دميمًا فسجد شكرا[٣]، وكعب بن مالك لما أتاه البشير بقبول توبته سجد شكرا، وأبو بكر الصديق لما سمع قتل مسيلمة سجد شكرا، وأمير المؤمنين علىّ لما رأى ذا الثدية رئيس الخوارج بين القتلى سجد شكرا.

---

(١) رواه البيهقى وأصله فى البخارى، وأورده صاحب سبل السلام (ج١ ص ٤٢٦) عن البراء بن عازب.

(٢) رواه أحمد فى مسنده، والحاكم فى المستدرك وصححه، والبزار، وابن أبى عاصم فى فضل الصلاة عليه ﷺ. قال البيهقى. وفى الباب عن جابر وبن عمر وأنس وجرير وابن جحيفة وأورده الأمير الصنعانى فى سبل السلام (ج١ ص ٤٢٦).

(٣) لم نعثر عليهما.

فصل

سجدات القرآن ومحافظة النبى فى أدائها

لم يكن ﷺ يترك سجدات القرآن بل حيثما بلغ آية سجدة كبر وسجد وقال فى سجوده: «سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره بحوله وقوته» وربما قال: «اللهم احطط عنى بها وزرًا، واكتب لى بها أجرًا، واجعلها لى عندك ذخرا، وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود»[(١)].

ولم يثبت أنه لما رفع رأسه من هذه كبر، أو تشهد، أو سلم. وصح أنه سجد فى ﴿ألم تنزيل﴾ السجدة. وفى ص. وفى النجم. وفى ﴿إذا السماء انشقت﴾، وفى ﴿اقرأ باسم ربك﴾.

وقال عمرو بن العاص: اقرأنى رسول الله ﷺ خمس عشرة سجدة فى القرآن منها ثلاث سجدات فى المفصل، وسجدتان فى الحج.

وقال أبو الدرداء: سجدت مع النبى ﷺ فى أحد عشر موضعا ليس فيها شىء من المفصل بل فى الأعراف، والنحل، وبنى إسرائيل، ومريم، والحج، والفرقان، والنمل، وألم السجدة، وص، وسجدة الحواميم[(٢)].

وصح عن أبى هريرة: أنه سجد مع النبى ﷺ فى ﴿إقرأ باسم ربك﴾، وفى ﴿إذا السماء انشقت﴾، ولما كان إسلام أبى هريرة متأخرا فى سنة سبع من الهجرة، رجحوا حديثه، وقول ابن عباس: لم يسجد رسول الله ﷺ فى المفصل منذ تحول إلى المدينة، أسقطوه لضعف إسناده، وأبو هريرة مثبت وهو ناف.

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه برقم (١٠٦٩ ـ ج٢ ص ٥٥٣)، وأبو داود برقم (١٤٠٩ ـ ج٢ ص ٥٩)، والترمذى برقم (٥٧٧ ـ ج٢ ص ٦٩)، والنسائى (ج٢ ص ١٥٩).

(٢) رواه مالك فى الموطأ (ج١ ص ٢٠٥- ٢٠٦) فى كتاب القرآن باب (٥) ماجاء فى سجود القرآن حديث رقم (١٣).

فصل
فى فضل يوم الجمعة
وعبادات النبى ﷺ فيه

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، وكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فكذلك هم تبع لنا يوم القيامة ونحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة، المقضى لهم قبل الخلائق»(١)

وعن أوس بن أبى أوس رضى الله عنه يرفعه: «من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا على من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة على» قالوا: يارسول الله كيف تعرض صلاتنا عليكم وقد أرمت؟ ـ يعنى بليت ـ قال: «إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»(٢) رواه الإمام أحمد، وابن حبان، والحاكم.

وعن أبى هريرة يرفعه: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولاتقوم الساعة إلا فى يوم الجمعة»(٣).

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه (ج٢ ص ٥٨٦)، وأحمد المروزى فى الجمعة (٧٨)، والنسائى فى سننه (ج٣ ص ٨٧) وفى الجمعة (٢٣)، البيهقى فى الجامع لشعب الإيمان (ج٦ ص ٢٥٥) ورواه مع أطراف أخرى: أبو يعلى فى المسند (ج١١ ص ٧٩)، وابن ماجه فى سننه (ج١ ص ٣٤٤)، والبزار فى مسنده (١/ ٢٩٥).

(٢) أخرج أحمد ونحوه فى المسند (ج٢ ص ٥١٨، وج٢ ص ٨)، وأبو داود فى السنن (١/ ٢٧٥)، والنسائى فى السنن (٣/ ٩١)، وابن خزيمة فى صحيحه (٣/ ١١٨)، وابن حبان فى صحيحه (٢/ ١٣٢)، والحاكم فى المستدرك (١/ ٢٧٨) وقال صحيح على شرط البخارى ومسلم ولم يخرجاه، وأبو نعيم فى دلائل النبوة (٢/ ٥٦٦) وفى معرفة الصحابة (٢/ ٢٥٤)، والبيهقى فى السنن الكبرى (٣/ ٢٤٨) وفى الجامع لشعب الإيمان (٦/ ٢٨٣).

(٣) رواه أحمد فى المسند بنحوه (٤/ ٨)، وأبو داود فى سننه (١/ ٢٧٥)، وابن خزيمه فى صحيحه (٣/ ١١٨)

وفى صحيح الحاكم: «سيد الأيام يوم الجمعة»، وفى الموطأ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه أهبط، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة وهى مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تغرب الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس، وفيه ساعة لايصادفها عبد مسلم وهو يصلى ويسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه»[١].

قال كعب: ذلك فى كل سنة يوم؟ فقلت: بل فى كل جمعة فقرأ التوراة فقال: صدق رسول الله ﷺ. قال أبو هريرة: ثم لقيت عبدالله بن سلام فحدثته مع كعب فقال: قد علمت أية ساعة هى؟ قلت: فأخبرنى بها؟ قال: آخر ساعة فى يوم الجمعة. قلت: كيف؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لايصادفها عبد مسلم وهو يصلى» وتلك الساعة لايصلى فيها؟ قال ابن سلام: ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو فى صلاة حتى يصلى»[٢]. وعند الشافعى رحمه الله فى المسند: أتى جبريل النبى ﷺ بمرآة بيضاء فيها نكتة[٣]، فقال النبى ﷺ: «ماهذه؟» فقال: هى الجمعة، فضلت بها وأمتك، فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى، ولكم فيها خير، وفيها ساعة لايوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد.

فقال النبى ﷺ: «ياجبريل ومايوم المزيد؟» فقال: إن ربك اتخذ فى الفردوس واديا أفيح[٤] فيه كثيب من مسك، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله سبحانه ماشاء من ملائكته، وحوله منابر من نور، عليها مقاعد النبيين، وحف تلك المنابر، بمنابر من ذهب، مكللة بالياقوت والزبرجد، عليها الشهداء والصديقيون، فجلسوا من ورائهم على ذلك الكثيب[٥].

---

(١) رواه عبدالرزاق فى المصنف (٣/ ٢٦٤)، وأحمد فى المسند (٢/ ٢٧٢)، والطبرانى فى الدعاء (٢/ ٨٥٨).

(٢) رواه أحمد فى المسند (٥/ ٤٥١)، وابن ماجه فى السنن (١/ ٣٦٠)، أحمد المروزى فى الجمعة (٣٢)، ورواه مالك فى الموطأ (١/ ١٠٨)، وابن حبان فى الصحيح (٤/ ١٩١)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٦/ ٢٣٤).

(٣) أى أثر قليل.

(٤) كل موضع واسع يقال له أفيح.

(٥) فى مسند الإمام الشافعى: أعلى تلك الكثب.

فيقول الله عز وجل لهم: أنا ربكم قد صدقتكم وعدى فسلونى أعطكم، فيقولون: ربنا نسألك رضوانك. فيقول: قد رضيت عنكم ولكم علىّ ماتمنيتم ولدى مزيد، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخيرات، وهو اليوم الذى استوى فيه ربكم تبارك وتعالى على العرش[١]، وفيه خلق آدم، وفيه تقوم الساعة»[٢].

هذا الحديث رواه الإمام الشافعى فى مسنده. وجمع أبو بكر بن أبى الدنيا طرقه، ورواه بأسانيد متنوعة مختلفة.

وبالجملة فهو حديث عظيم صحيح، يشتمل على فوائد، وبشارات، وحقائق كثيرة.

وروى عن أبى هريرة: أنه سأل رسول الله ﷺ عن سبب تسميته بالجمعة؟ فقال: «لأن فيها طبعت طينة أبيك آدم، وفيها الصعقة، والبعثة، وفيها البطشة، وفى آخر ثلاث ساعات منها ساعة من دعا الله فيها استجيب له»[٣].

وفى كتاب (صفة الجنة) تصنيف (أبو بكر بن أبى الدنيا) بإسناد ثابت، من رواية حذيفة: أن النبى ﷺ قال: «أتانى جبريل وفى كفه مرآة كأحسن المرايا، وأضوئها، وإذا فى وسطها لمعة سوداء، فقلت: ماهذه اللمعة التى أرى فيها؟ قال: هذه الجمعة. قلت: وما الجمعة؟ قال: يوم من أيام ربك

---

(١) أقول إن كل ماجاء فى القرآن أو صح عن الرسول الحبيب الحليم من صفات الرب تبارك وتعالى مما يوهم التشبيه وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم والقبول وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل. وما أشكل من ذلك يجب إثباته لفظا وترك التعرض لمعناه ويرد علمه إلى قائله ويجعل عهدته على ناقلة اتباعا لطريق الراسخين فى العلم الذين أثنى الله عليهم فى كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بقوله جل جلاله وتنزهت صفاته وأسماؤه ﴿والراسخون فى العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا﴾. آل عمران: ٧.

(٢) رواه مالك فى الموطأ (١/ ١٠٨)، وابن حبان (٤/ ١٩١) والبيهقى فى شعب الإيمان (٦/ ٢٣٤).

(٣) رواه الترمذى فى السنن (٥/ ٤٠٦)، والطبرانى فى المعجم الأوسط (٢/ ٥٣)، والبغوى فى شرح السنة (٤/ ٢٠٤)، وأحمد فى المسند (٢/ ٥١٩)، والبيهقى فى السنن الكبرى (٣/ ١٧٠) وفى الجامع لشعب الإيمان (٦/ ٢٢٤).

عظيم، وسأخبرك بشرفه وفضله فى الدنيا، ومايرجى فيه لأهله، وبإسمه فى الآخرة. فأما شرفه وفضله فى الدنيا فإن الله جمع فيه أمر الخلق، وأما مايرجى فيه لأهله فإن فيه ساعة لايوافقها عبد مسلم - أو أمة مسلمة - يسأل الله فيه خيرا إلا أعطاه إياه[1].

وأما شرفه وفضله فى الآخرة واسمه فإن الله تبارك وتعالى إذا صير أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار الى النار، جرت عليهم هذه الأيام وهذه الليالى ليس فيها ليل ولانهار. فاعلم الله عز وجل مقدار ذلك وساعاته، فإذا كان يوم الجمعة حين يخرج أهل الجنة إلى جنتهم نادى أهل الجنة مناد: يا أهل الجنة اخرجوا إلى وادى المزيد، ووادى المزيد لايعلم سعته وطوله وعرضه إلا الله، فيه كثبان المسك رءوسها فى السماء.

قال: فيخرج غلمان الأنبياء بمنابر من نور، ويخرج غلمان المؤمنين بكراسى من ياقوت، فإذا وضعت لهم وأخذ القوم مجالسهم بعث الله تعالى إليهم ريحا تدعى المثيرة تنشر ذلك المسك. وتدخله من تحت ثيابهم وتخرجه فى وجوههم وأشعارهم، وتلك الرياح أعلم كيف يصنع بذلك المسك من امرأة أحدكم لو رفع إليها كل طيب على وجه الأرض.

قال: ثم يوحى الله تبارك وتعالى إلى حملة عرشه ضعوه بين أظهرهم، فيكون أقل مايسمعون منه: أن ياعبادى الذين أطاعونى بالغيب ولم يرونى وصدقوا برسلى واتبعوا أمرى سلوا فهذا يوم المزيد، فيجتمعون على كلمة واحدة (رضينا عنك، فارض عنا) فيرجع الله إليهم: أن يا أهل الجنة إنى لو لم أرض عنكم لم أسكنكم دارى، فسلونى فهذا يوم المزيد، فيجتمعون على كلمة واحدة، (ربنا أرنا وجهك ننظر إليه) فيكشف عن تلك الحجب، ويتجلى لهم عز وجل من نوره شىء، لولا أنه قضى أن لايحُرقوا لاحترقوا، لما يغشاهم من نوره، ثم يقال لهم: ارجعوا إلى منازلكم، فيرجعون إلى

---

(١) رواه أحمد فى المسند (٢/ ٤٩٨)، والبخارى (٨/ ١٥٣)، ومسلم (٢/ ٥٨٤)، وابن ماجه (١/ ٣٦٠)، وابن خزيمة فى الصحيح (٣/ ١٢١)، والبغوى فى مسند ابن الجعد (٢/ ١٠٩٢)، والطبرانى فى الدعاء (٢/ ٨٥١).

منازلهم، وقد أُعطى كل واحد منهم الضعف على ما كانوا فيه، فيرجعون إلى أزواجهم، وقد خفوا عليهم، وخفين عليهن بما غشيهم من نوره.

فإذا رجعوا تراد النور حتى يرجعوا إلى صورهم التى كانوا عليها، فتقول لهم أزواجهم: لقد خرجتم من عندنا على صورة، ورجعتم على غيرها، فيقولون: ذلك إن الله عز وجل تجلى لنا فنظرنا منه، قال:(١) إنه والله ما أحاطه خلق ولكنه قد أراهم الله عز وجل من عظمته وجلاله ماشاء أن يريهم. قال: فذلك قولهم: فنظرنا منه. قال: فهم يتقلبون فى مسك الجنة، ونعيمها فى كل سبعة أيام الضعف على ماكانوا فيه.

قال رسول الله ﷺ فذلك قوله تعالى: ﴿**فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كان يعملون**﴾(٢) وفى لفظ: فإذا كان يوم الجمعة من أيام الآخرة هبط الرب عز وجل من عرشه إلى كرسيه، ويحف الكرسى منابر من نور فيجلس عليها النبيون، وتحف المنابر بكراسى من ذهب فيجلس عليها الصديقون والشهداء، ويهبط أهل الغرف من غرفهم فيجلسون على كثبان المسك لايرون لأهل المنابر والكراسى فضلا فى المجلس، ثم يتبدى لهم ذو الجلال تبارك وتعالى.

فيقول: سلونى فيقولون بأجمعهم: نسألك الرضا يارب، فيشهد لهم على الرضا، ثم يقول: سلونى فيسألونه حتى تنتهى نهمة كل عبد منهم قال: ثم يغشى عليهم بما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ثم يرتفع الجبار عن كرسيه إلى عرشه، ويرتفع أهل الغرف إلى غرفهم وهى غرفة من لؤلؤة بيضاء أو ياقوتة حمراء أو زمردة خضراء ليس فيها فصم ولا وصم مطردة فيها أنهار متدلية فيها ثمارها فيها أزواجها وخدمها ومساكنها قال: فأهل الجنة يتباشرون فى الجنة بيوم الجمعة كما يتباشر أهل الدنيا فى الدنيا بالمطر(٣).

---

(١) الضمير فى قال: عائد على جبريل عليه السلام.

(٢) سورة السجدة الآية رقم ١٧.

(٣) رواه ابن خزيمه فى الصحيح بنحوه مختصرا (٣/ ١١٧). والبيهقى فى شعب الإيمان (٦/ ٢٩١).

فصل
تعظيم النبى محمد ﷺ ليوم الجمعة

كان من عوائده الكريمة ﷺ أن يعظم يوم الجمعة غاية التعظيم، ويخصه بأنواع التشريف والتكريم، ويحفه بأنواع العبادات، كما سنبينه فيما هو آت.

وللعلماء فى يوم الجمعة، ويوم عرفة قولان: قال بعضهم: يوم الجمعة أفضل، وقال بعضهم: يوم عرفة أفضل، وكان ﷺ يقرأ فى صلاة الصبح يوم الجمعة سورة السجدة، وهل أتى على الإنسان.

والمراد تذكير الأمة بما اشتملتا عليه مما كان، وما يكون، لما فيهما من خلق آدم عليه الصلاة والسلام، وذكر المعاد، وحشر الخلائق، وأحوالهم فى الجنة والنار، وليس المراد تخصيص هذا اليوم بالسجدة كما ظنوا. وقالوا: إن من لم يتهيأ له قراءتهما، فليقرأ بعض سورة تشتمل على سجدة، أو ليقرأ فى أولى بعض سورة السجدة، وفى الأخرى باقيها.

إنما نشأ لهم هذا من عدم اطلاعهم على سر ما قُرئتا له فى هذا اليوم، وقراءتهما فى صلاة الصبح، من خواص الجمعة.

الخاصية الثانية: أن يستحب الإكثار من الصلاة، على النبى ﷺ فى يوم الجمعة وليلتها، وفى الحديث الصحيح: «أكثروا من الصلاة علىّ يوم الجمعة وليلة الجمعة»(١).

الخاصية الثالثة: صلاة الجمعة، وهى من أعظم فروض الإسلام، ومن تهاون فى الإتيان بها ختم على قلبه، وقُرب بعض الأشخاص فى يوم المزيد، بحسب تقربهم إلى الله يوم الجمعة.

---

(١) رواه أحمد فى المسند (٤/٨)، وأبو داود فى السنن (١/ ٢٧٥)، والنسائى (٣/ ٩١) وفى الجمعة (٢٨)، ابن خزيمة فى الصحيح (٣/ ١١٨)، وابن حبان فى الصحيح (٢/ ١٣٢)، والحاكم فى المستدرك (١/ ٢٧٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (ج٤ ص ٥٦٠)، وأبو نعيم فى دلائل النبوة (٢/ ٥٦٦) وفى معرفة الصحابة (٢/ ٣٥٤)، والبيهقى فى السنن الكبرى (٣/ ٢٤٨) وفى الجامع لشعب الإيمان (٦/ ٢٨٣)، وابن أبى شيبة فى المصنف (١/ ٤٧٧)، والدارمى فى السنن (١/ ٣٠٧) وابن ماجه فى السنن (١/ ٣٤٥، ٥٢٤)، وأحمد المروزى فى الجمعة (٤٠)، والطبرانى فى المعجم الكبير (ج١ ص ٢١٦).

الخاصية الرابعة: استحباب الغسل فى ذلك اليوم، وعند جماعة يجب، ودليل وجوبه أقوى من دليل وجوب الوتر، ومن الوضوء من مس النساء، ومن القهقهة، ومن الرعاف، ومن الحجامة، ومن القىء، ومن وجوب الصلاة على النبى ﷺ فى التشهد.

الخاصية الخامسة: مس الطيب، وهو فى هذا اليوم أفضل منه فى سائر الأيام.

الخاصية السادسة: استعمال السواك فى هذا اليوم مفضل على سائر الأيام.

الخاصية السابعة: التكبير للصلاة.

الخاصية الثامنة: الاشتغال بالصلاة والذكر والقراءة إلى أن يصعد الإمام إلى الخطبة.

الخاصية التاسعة: الانصات للخطبة وهو واجب عند أكثر العلماء.

الخاصية العاشرة: قراءة سورة الكهف لقوله ﷺ: «من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء، يضىء إلى يوم القيامة وغفر له مابين الجمعتين»[1].

الخاصية الحادية عشرة: عدم كراهية صلاة النافلة فى وقت الزوال كما هى فى سائر الأيام مكروهة، وهذا مذهب أكثر العلماء، لما روى أبو قتادة أن النبى ﷺ كان يكره الصلاة نصف النهار، إلا يوم الجمعة، وقال: «إن جهنم تسجر إلا يوم الجمعة»[2].

---

(١) رواه البيهقى فى الجامع لشعب الإيمان (ج٦ ص ٢٨٩).

(٢) انظر سنن الدرامى (ج١ ص ٣٠٢)، وصحيح البخارى (٥/ ٢٦٤)، وصحيح مسلم (٢/ ٥٨٩)، وسنن ابن ماجه (١/ ٣٥٠)، وسنن أبى داود (١/ ٢٨٤)، وسنن النسائى (٣/ ١٠٠)، ومعجم الطبرانى الكبير (٧/ ٢١)، وسنن الدار قطنى (٢/ ١٨)، وشرح السنة للبغوى (٤/ ٢٣٩).

ورد فى الحديث الصحيح: استحباب الصلاة فى يوم الجمعة إلى وقت الخطبة، وروى الشافعى بأسانيد متنوعة: نهى ﷺ عن الصلاة نصف النهار حتى تزول الشمس إلا يوم الجمعة[1].

وللعلماء فى هذه المسألة ثلاثة أقوال:

أحدها: أن وقت الزوال ليس بوقت كرهة مطلقا فى حال من الأحوال ولا فى يوم من الأيام. وهذا مذهب الإمام مالك.

الثانى: أنه وقت كراهة فى الجمعة. وغيرها وهذا مذهب الإمام أبى حنيفة، وأحد قولى الإمام أحمد.

الثالث: أنه وقت كراهة فى جميع الأيام غير يوم الجمعة فإنه ليس بوقت كراهة. وهذا مذهب الإمام الشافعى، وجميع المحققين.

الخاصية الثانية عشرة: استحباب قراءة سورة الجمعة والمنافقين فى الصلاة أو سورة سبح والغاشية لمواظبة النبى ﷺ على ذلك، والاقتصار على بعض سورة الجمعة والمنافقين ليس بمستحب بل هو خلاف السنة، وجهابذة الأئمة يداومون على ذلك.

الخاصية الثالثة عشر: أنها عيد الأمة يكرر فى كل أسبوع، وروى ابن ماجه فى مسنده عن أبى لبابة يرفعه أن يوم الجمعة سيد الأيام، وأعظمها وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى، ويوم الفطر، فيه خمس خلال: خلق الله عز وجل آدم فيه، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفى آدم، وفيه ساعة لايسأل الله العبد فيها شيئا إلا أعطاه مالم يكن حراما، وفيه تقوم الساعة، مامن ملك مقرب، ولاسماء ولا أرض، ولارياح، ولا جبال، ولاشجر، إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة.

الخاصية الرابعة عشر: استحباب لبس أحسن ثوب تصل القدرة إليه وأجوده، ثبت فى مسند الإمام أحمد: «من اغتسل يوم الجمعة ومس من

---

(١) انظر مصنف ابن أبى شيبة (١/ ٤٤٥)، ومسند أحمد (٣/ ٣٣١)، وصحيح مسلم (٢/ ٥٨٨)، وأحمد المروزى فى الجمعة (٧٨)، ومسند أبى يعلى (٣/ ٤٣٤)، وابن المنذر فى الأوسط (٢/ ٣٥٠).

طيب إن كان له، ولبس من أحسن ثيابه، ثم خرج وعليه السكينة، حتى يأتى المسجد فيركع إن بدا له، ولم يؤذ أحدا، ثم أنصت إذا خرج إمامه، حتى يصلى. كانت كفارة لما بينهما»(١). وفى سنن أبى داود عن عبد الله بن سلام أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر فى يوم الجمعة: «ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبى مهنته»(٢).

الخاصية الخامسة عشر: استحباب تجمير المسجد بإحراق العود واستعمال الطيب، أمر أمير المؤمنين عمر رضى الله تعالى عنه بتجمير المسجد(٣) فى كل جمعة.

الخاصية السادسة عشر: تحريم إنشاء السفر فى يوم الجمعة بعد دخول الوقت على من لزمته الجمعة وهذا مذهب جماهير العلماء، وعند أبى حنيفة يجوز، لكن نقل السروجى فى شرح الهداية عن أبى حنيفة كراهة ذلك.

وأما مذهب الشافعى فيحرم من قبل الزوال أيضا لما روى الدار قطنى أن النبى ﷺ قال: «ومن سافر من دار إقامته يوم الجمعة دعت عليه الملائكة أن لايصحب فى سفره»(٤).

وقال حسان بن عطية: إذا سافر الرجل يوم الجمعة دعا عليه النهار أن لايعان على حاجة، ولايصاحب فى سفره.

---

(١) رواه أحمد فى المسند (٣/ ٨١)، وابن خزيمة فى الصحيح (٣/ ١٣٠)، والحاكم فى المستدرك (١/ ٢٨٣)، والبيهقى فى السنن الكبرى (٣/ ٢٤٣)، وفى الجامع لشعب الإيمان (٦/ ٢٤٦) والبغوى فى شرح السنة (٤/ ٢٣٠).

(٢) رواه البيهقى فى السنن الكبرى (٣/ ٢٤٣) وقال: والصحيح مارواه مالك عن ابن شهاب مرسلا، ورواه فى الجامع لشعب الإيمان (٦/ ٥١٢).

(٣) أى تبخيره ولم نر أحدا يبخر المساجد يوم الجمعة فى عصرنا هذا ولاممن يدعى التمسك بالسنة، والمسجد خاص بهم ولا أدرى ماجوابهم اللهم إلا تقليد لسكوت كبيرهم على ذلك.

(٤) أخرجه الدار قطنى فى الإفراد عن ابن عمر مرفوعا بنفس لفظ المصنف، وفى إسناده ابن لهيعة وهو مختلف فيه، وأخرج نحوه برواية ضعيفة الخطيب فى كتاب أسماء الرواة، انظر نيل الأوطار (ج٣ ص ٢٢٩).

الخاصية السابعة عشر: هى أن من مشى إلى صلاة الجمعة كتب له بكل خطوة ثواب صيام سنة، فى مسند الإمام أحمد، ومسند عبدالرازق: من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر[1] ودنا من الإمام وأنصت كان له بكل خطوة يخطوها، صيام سنة وقيامها وذلك على الله يسير.

الخاصية الثامنة عشر: هى أن هذا اليوم مكفر للسيئات، روى سلمان أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرى مايوم الجمعة، لايتطهر الرجل فيحسن طهوره، ثم يأتى الجمعة فينصت، حتى يقضى الإمام الصلاة، إلا كان كفارة لما بينه وبين الجمعة المقبلة»[2].

وورد فى هذا المعنى أحاديث كثيرة.

الخاصية التاسعة عشر: هى أن جهنم تضرم فى كل يوم، عند منتصف النهار، إلا فى يوم الجمعة، لأنه أفضل الأيام، والعبادات، والطاعات فيه أزيد من سائر الأيام،والمعاصى فيه أقل، وكثير من أهل الفجور المتغولين الأثام، يجتنبون المعاصى فى يوم الجمعة وليلتها بالكلية، وهذا معنى الحديث، الذى يشير إلى أن جهنم لاتضرم فى هذا اليوم.

الخاصية العشرون: هى أن فى هذا اليوم ساعة إجابة كل عبد سأل فيها حاجة قُبل، وثبت فى الصحيحين «أن فى الجمعة ساعة لايوافقها مسلم وهو قائم يسأل الله عز وجل شيئا إلا أعطاه إياه، وقال بيده يقللها»[3].

---

(١) فى الصحاح قالوا بكر: أسرع، وابتكر: أدرك الخطبة من أولها وهو من الباكورة.

(٢) رواه الطحاوى فى شرح معانى الأثار (٣٦٨/١)، البيهقى فى الجامع لشعب الإيمان (٢٤٣/٦)، وابن خزيمة فى الصحيح (١١٨/٣)، وأحمد المروزى فى الجمعة (٧٢، ٧٣)، والطبرانى فى المعجم الكبير (٢٣٧/٦)، والحاكم فى المستدرك (٢٧٧/١) وقال: صحيح الإسناد. ورواه بنحوه الإمام أحمد فى المسند (٤٣٩/٥، ٤٤٠)، والطبرانى فى المعجم الأوسط (٤٥٥/١).

(٣) رواه البخارى فى كتاب الجمعة باب (٣٧) الساعة التى فى يوم الجمعة حديث رقم (٩٣٥ ـ ج٢ ص ٤١٥)، وانظر حديث رقم (٥٢٩٤ و ٦٤٠٠)، ومسلم فى كتاب الجمعة، باب فى الساعة التى فى يوم الجمعة حديث رقم (٨٥٢ ـ ج٢ ص ٥٨٣ ـ ٥٨٤)، وابن ماجه فى كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب (٩٩) ماجاء فى الساعة التى ترجى فى الجمعة حديث رقم (١١٣٧ ـ ج١ ص ٣٦٠) والنسائى (ج٣ ص ١١٥) فى كتاب الجمعة، باب الساعة التى يستجاب فيها للدعاء يوم الجمعة.

وللعلماء فى هذه الساعة خلاف على قولين:

قال بعضهم: ليست بباقية بل ارتفعت فى زمان الرسول ﷺ.

القول الثانى: وهو الصحيح أنها باقية، وفى تعين وقتها خلاف هل هى فى وقت معين من يوم الجمعة، أم ليس لها وقت معين من يوم الجمعة؟ والذين قالوا بالتعيين اختلفوا فى بيانه على أحد عشر قولا.

القول الأول: مروى عن أبى هريرة: أنها بعد طلوع الفجر، إلى طلوع الشمس، وبعد صلاة العصر إلى المغرب.

القول الثانى: القول عند الزوال، وذا يروى عن الحسن البصرى، وأبى العالية.

القول الثالث: إذا شرع المؤذن فى أذان الجمعة، وذا مروى عن عائشة رضى الله عنها.

القول الرابع: هى ساعة جلوس الإمام على المنبر إلى أن يفرغ من خطبته.

القول الخامس: فى زمان صلاة الجمعة.

القول السادس: هى ما بين زوال الشمس إلى وقت صلاة الجمعة.

القول السابع: هى مابين صيرورة ظل الزوال شبرا، إلى أن يصير ذراعا.

القول الثامن: من وقت العصر، إلى غروب الشمس.

القول التاسع: أخر ساعة فى النهار. وذا قول أكثر الصحابة والتابعين.

القول العاشر: من حين خروج الإمام إلى أن يفرغ من الصلاة.

القول الحادى عشر: فى الساعة الثالثة من يوم الجمعة وأرجح الأقوال قولان:

القول الأول: من حين يجلس الإمام على المنبر إلى أن تتم الصلاة، ودليل هذا فى الحديث الصحيح «هى ما بين أن يجلس الإمام على المنبر، إلى أن تقضى الصلاة».

القول الثانى: أنها بعد العصر، وذا أرجح الأقوال ودليله الحديث الصحيح «أن فى الجمعة ساعة لايوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه»[١] وهى بعد العصر.

وفى سنن أبى داود، والنسائى، من رواية جابر أن النبى ﷺ قال: «يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة فيها ساعة لايوجد مسلم يسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه إياه فالتمسوها فى آخر ساعة بعد العصر»[٢].

وفى سنن سعيد بن منصور: أن جماعة من الصحابة اجتمعوا، وبحثوا فى هذه الساعة ثم قاموا، ولم يخالف منهم أحد، فى أنها آخر ساعة من يوم الجمعة.

وفى سنن ابن ماجه عن عبدالله بن سلام قال: قلت ـ ورسول الله ﷺ جالس ـ: إنا لنجد فى كتاب الله ساعة فى يوم الجمعة لايوافقها عبد مؤمن، يصلى، ويسأل الله فيها شيئا، إلا قضى له حاجته.

قال عبدالله: فأشار إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، «أو بعض ساعة» فقلت: صدقت يارسول الله، أو بعض ساعة. قلت: أية ساعة هى؟

قال: «آخر ساعة من ساعات النهار» قلت: أنها ليست ساعة صلاة، قال: «بل إن العبد المؤمن إذا صلى ثم جلس لايجلسه إلا الصلاة فهو فى الصلاة».

وفى مسند الإمام أحمد عن أبى هريرة قال: قيل للنبى ﷺ: لأى شىء سمى يوم الجمعة؟ قال: «لأن فيها طبعت[٣] طينة أبيك آدم، وفيها الصعقة

---

(١) ابن ماجه فى كتاب إقامة الصلاة والسنة باب (٩٩) ماجاء فى الساعة التى يرجى فى الجمعة حديث رقم (١١٣٩ ـ ج١ ص ٣٦٠ ـ ٣٦١) عن عبدالله بن سلام، وأبو داود فى كتاب الصلاة باب الإجابة أية هى فى يوم الجمعة حديث رقم (١٠٤٨ ـ ج١ ص ٢٧٥)، والنسائى (ج٣ ص ٩٩ ـ ١٠٠) فى كتاب الجمعة باب وقت الجمعة.

(٢) رواه النسائى فى سننه، وأبو داود، وأورده الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٣ ص ٢٤٦).

(٣) فيها طبعت أى جمعت.

والبعث، وفيها البطش، وفى آخر ثلاث ساعات منها ساعة من دعا الله فيها استجيب له»[١].

الخاصية الحادية والعشرون: هى أن للصدقة فى هذا اليوم مزية، على الصدقة فى سائر الأيام.

الخاصية الثانية والعشرون: هى أن صلاة الجمعة مقرونة بالخطبة، مشروطة بشرائط ليست لغيرها، مثل اشتراط الإقامة والاستيطان، والجهر بالقراءة وغير ذلك.

الخاصية الثالثة والعشرون: هى أن يوم الجمعة يستحب فيه التفرغ للعبادة، ومزيته على سائر الأيام كمزية شهر رمضان على سائر الشهور، وهو مخصوص بعبادات واجبة ومستحبة، وكما أن لأهل كل ملة يوما متخصصا للعبادة والتخلى عن الأشغال الدنيوية، كذلك تعين يوم الجمعة لهذه الأمة المعصومة، وساعة الإجابة فى هذا اليوم، كليلة القدر فى شهر رمضان.

ومن هذه الجهة قال العلماء: من حصل له فى يوم الجمعة السلامة من الآثام، سلم فى الأسبوع، ومن سلم فى شهر رمضان من الآثام، سلم فى بقية العام، ومن حصل له حج بيت الله الحرام وسلم من المخالفات، سلم فى جميع العمر.

فيوم الجمعة ميزان الأسبوع، وشهر رمضان ميزان السنة، وحج بيت الله ميزان العمر.

الخاصية الرابعة والعشرون: لما كان يوم الجمعة فى الأسبوع كيوم العيد فى السنة والعيد يشتمل على الصلاة والقربان، والجمعة تشتمل على الصلاة، جعل الحق جل شأنه التبكير إلى المسجد بدل القربان، وقائما مقامه.

---

(١) قال ابن حجر فى فتح البارى: قد اختلف فى تسمية اليوم بالجمعة مع الاتفاق على أنه كان يسمى فى الجاهلية العروبة بفتح العين وضم الراء وبالموحدة فقيل سمى بذلك لأن كمال الخلق جمع فيه وهو ضعيف وقيل غير ذلك. انظر نيل الأوطار (ج٣ ص٢٢٢ - ٢٢٣).

وفى الحديث الصحيح: «من راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح فى الساعة الثانى فكأنما قرب بقرة. ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة»[١].

وفى هذه الساعات اختلاف، حملها بعض العلماء على الساعات الفلكية، وقال باستحباب التبكير بعد طلوع الشمس، وذا مذهب الشافعى وأكثر العلماء.

وحملها البعض على الساعات العرفية، وهى أجزاء لطيفة من بعد الزوال، وذا مذهب الإمام مالك، وطائفة من أهل المدينة.

الخاصية الخامسة والعشرون: أنه يوم تجلى الحق جل شأنه على عبيده فى الجنة.

الخاصية السادسة والعشرون: هى أن الله أقسم بهذا اليوم من بين سائر الأيام، قال الله تعالى ﴿**وشاهد ومشهود**﴾[٢] قال ﷺ: «اليوم الموعود: يوم القيامة»[٣]، «واليوم المشهود: هو يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة، ماطلعت الشمس ولا غربت على أفضل من يوم الجمعة، فيه ساعة لايوافقها عبد مؤمن يدعو فيها بخير إلا استجاب له أو يستعيذه من شر إلا أعاذه منه»[٤].

الخاصية السابعة والعشرون: هى أن السموات والأرضين، والجبال، والبحار، والخلائق كلها، غير بنى آدم، والشياطين، يخافون من يوم الجمعة.

قال كعب الأحبار: ألا أحدثكم عن يوم الجمعة: إذا كان يوم الجمعة فزعت له السموات والأرض، والجبال، والبحور، والخلائق كلها، إلا ابن آدم والشياطين.

---

(١) متفق عليه رواه البخارى (ج٢ ص ٣٠٤)، ومسلم برقم (٨٥٠)، ورياض الصالحين (ص ٤٦٢).

(٢) سورة البروج آية رقم ٣.

(٣) إسناده لابأس به أخرجه البزار (ج٣ رقم ٢٢٨٣)، والهيثمى فى مجمع الزوائد (٧/ ١٣٦) ورجاله ثقات والحاكم (٢/ ٥١٩).

(٤) جزء كبير من هذا الحديث فى الصحيحين. انظر صحيح البخارى (ج٢ ص ٤١٥ حديث رقم ٥٢٩٤).

الخاصية الثامنة والعشرون: إنه يوم ادخره الحق سبحانه لهذه الأمة المرحومة فضلت عنه جميع الأمم: قال ﷺ: «يوم ادخره الله لنا»[١].

وقال: «وماطلعت الشمس، ولا غربت ، على يوم خير من يوم الجمعة، هدانا الله له وأضل الناس عنه، فالناس لنا فيه تبع»[٢] الحديث.

الخاصية التاسعة والعشرون: هى أن هذا اليوم خيرة الله من الأيام، كما اختار رمضان من الشهور، وليلة القدر من الليالى، ومكة من القرى.

قال كعب: إن الله عز وجل اختار الشهور، فاختار شهر رمضان، واختار الأيام فاختار يوم الجمعة، واختار الليالى فاختار ليلة القدر.

الخاصية الثلاثون: هى أن أرواح المؤمنين فى يوم الجمعة تقرب من قبورهم، ويعرفون من يزورهم فيه فضل معرفة على سائر الأيام.

الخاصية الحادية والثلاثون: كراهة صوم هذا اليوم على انفراده، عند أكثر العلماء، قال محمد بن عباد: سألت جابرا: أنهى رسول الله ﷺ عن صوم يوم الجمعة؟ قال: نعم ورب هذه البنية.

وفى الصحيحين قال ﷺ: «لايصومن أحدكم يوم الجمعة إلا يوم قبله أو يوما بعده»[٣] اللفظ للبخارى، ولمسلم: «لاتخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون فى صوم يصومه أحدكم»[٤].

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه (ج٢ ص ٥٨٦)، وأحمد المروزى فى الجمعة (٧٨)، والنسائى فى سننه (٣/ ٨٧)، والبيهقى فى الجامع لشعب الايمان (ج٦ ص ٢٥٥).

(٣) متفق عليه رواه البخارى فى كتاب الصوم باب صوم الجمعة حديث رقم (١٩٨٥ ـ ج٤ ص ٢٣٢)، ورواه مسلم فى كتاب الصيام باب كراهية صيام يوم الجمعة متفردا رقم (١١٤٤ ـ ج٢ ص ٣٢٠)، ورواه أبو داود فى كتاب الصوم باب النهى أن يخص يوم الجمعة بصوم حديث رقم (٢٤٢٠)، ورواه الترمذى فى كتاب الصوم باب ماجاء فى كراهية صوم يوم الجمعة وحده حديث رقم (٧٤٣ ـ ج٣ ص ١١٩).

(٤) رواه مسلم فى كتاب الصيام باب كراهية صيام يوم الجمعة منفردا حديث رقم (١١٤٤) حديث الباب رقم (١٤٨ ـ ج ٢ ص ٨٠١).

وعن جويرية بنت الحارث، أن النبى ﷺ دخل عليها يوم الجمعة، وهى صائمة فقال: «أصمت أمس؟» قالت لا. قال: «تريدين أن تصومى غدا؟» قالت: لا. قال: « فافطرى»[١].

وقال ﷺ: «لاتصوموا يوم الجمعة وحده» وقال: «يوم الجمعة يوم عيد، فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده»[٢].

الخاصية الثانية والثلاثون: اختصاص هذا اليوم باجتماع المؤمنين للموعظة والتذكير.

---

(١) أورده الأمير الصنعانى فى سبل السلام (ج٢ ص ٢٤٨) ويشهد له مافى الصحيحين انظر صحيح البخارى (ج٤ ص ٢٣٢) حديث رقم (١٩٨٥)، ومسلم (ج٢ ص ٨٠١) حديث رقم (١١٤٤)، وأورده بلفظه الإمام الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٤ ص ٢٤٩).

(٢) رواه أحمد فى مسنده، وأورده الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٤ ص ٢٤٩).

فصل
فى الخطبة النبوية فى يوم الجمعة

كان ﷺ إذا خطب رفع صوته إلى غاية تحمر فيها عيناه المباركتان، وكثيرا ماكان يقول فى خطبته: «بعثت أنا والساعة كهاتين وجمع بين السبابة والوسطى»[١] وبعد ذلك يقول: «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من ترك مالاً فلأهله، ومن ترك دينا أو ضياعا فإلىَّ وعلىَّ»[٢] رواه مسلم، وفى لفظ كانت خطبة النبى ﷺ: يحمد الله ويثنى عليه بما هو أهله ثم يقول: «من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وخير الحديث كتاب الله، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار»[٣].

وفى بعض الأخبار كان يقول: «الحمد لله نحمد الله، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيرا ونذيرا، بين يدى الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فإنه لايضر إلا نفسه، ولايضر الله شيئا».

وكثيرا ما كان يقرأ سورة (ق) على المنبر، قالت أم هشام بنت الحارث: ماحفظت سورة (ق) إلا من رسول الله ﷺ مما يخطب بها على المنبر[٤].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٠٤).

(٢) أورده البخارى فى صحيحه وانظر زاد المسير (ج٦ ص ٣٥٣)، والسيوطى فى الدر المنثور (ج٥ ص ١٨٢).

(٣) رواه أبو داود برقم (٤٦٠٧)، والترمذى (٢٦٧٨)، وأخرجه أحمد فى مسنده (ج٤ ص ١٢٦، ١٢٧)، وابن ماجه برقم (٤٢)، والدارمى (ج١ ص ٤٤، ٤٥) وإسناده صحيح، وصححه ابن حبان (١٠٢).

(٤) رواه أحمد فى المسند (٦/ ٤٣٥)، ومسلم فى صحيحه (٢/ ٥٩٥)، والطبرانى فى المعجم الكبير (٢٥/ ١٤٢)، والبيهقى فى السنن الكبرى (٣/ ٢١١).

وحفظ من خطبته ﷺ من رواية على بن جدعان وفيها ضعف «يا أيها الناس توبوا إلى الله عز وجل، قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة، وصلُوا الذين بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة فى السر والعلانيةِ، تؤجروا، وتحمدوا، وترزقوا».

واعلموا أن الله عز وجل قد فرض عليكم الجمعة، فريضة مكتوبة، فى مقامى هذا فى شهرى هذا فى عامى هذا، إلى يوم القيامة، من وجد إليها سبيلا، فمن تركها فى حياتى أو بعدى جحودا بها واستخفافا، وله إمام جائر أو عادل فلا جمع الله شمله، ولا بارك له فى أمره، ألا ولا صلاة له، ألا ولا زكاة له، ألا ولا صوم له، ألا ولا وضوء له، ألا ولاحج له، ألا ولا بر له حتى يتوب، فإن تاب تاب الله عليه، ألا ولا تؤمن امرأة رجلا، ألا ولا يؤمن أعرابى مهاجرا، ألا ولا يؤمن فاجرا مؤمنا، إلا أن يقهره سلطان يخاف سيفه وسوطه»[١].

وكان يقصر الخطبة ويطول الصلاة وقال: «إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه» وكان يبين فى الخطبة قواعد الإسلام، ويعلم مهمات الدين، وكان إذا عرضت له حاجة أو سأله سائل، قطع خطبته وقضى الحاجة، أو أجاب السائل، ثم أتمها، وكان إذا رأى فى الجماعة فقيرا أو ذا حاجة، أمر بالتصدق، وحرص على ذلك.

وكان إذا ذكر الله تعالى، أشار بالسبابة، وكان إذا اجتمعت الجماعة خرج للخطبة وحده ولم يكن بين يديه صاحب، ولاخادم، ولم يكن من عادته لبس الطرحة، ولا الطيلسان، ولا الثوب الأسود المعتاد.

وكان إذا دخل المسجد سلم على الحاضرين لديه، وإذا صعد المنبر، أدار وجهه إلى الجماعة وسلم ثانيا، ثم قعد، وإذ ذلك يشرع بلال فى الأذان، وعند فراغه، يقوم فيخطب قائما من غير فاصلة بين الأذان والخطبة.

---

(١) رواه ابن الباغندى فى مسند عمر بن عبدالعزيز برقم (٩٥).

ولم يكن يأخذ السيف والحربة بيده، بل كان يعتمد على القوس أو العصا، وهذا قبل اتخاذ المنبر، وأما بعد اتخاذ المنبر، فلم يحفظ أنه اعتمد على العصا، ولا على القوس ولا على غير ذلك، وكان يجلس بين الخطبتين لحظة، وإذا فرغ من الخطبة أقام بلال الصلاة.

وكان فى أثناء الخطبة يأمر الناس بالتقرب والإنصات، ويقول: «إن الرجل إذا قال لصاحبه أنصت فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له»[١] وكان يقول: «من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا، والذى يقول: أنصت ليس له جمعة».

وقال: «يحضر الجمعة ثلاثة نفر: رجل حضرها ويغلو فهو حظه منها، ورجل حضرها بدعاء فهو رجل دعا الله إن شاء أعطاه وإن شاء منعه، ورجل حضرها بانصات، وسكون، ولم يتخط رقبة مسلم، ولم يؤذ أحدا فهى له كفارة إلى الجمعة التى تليّها وزيادة ثلاثة أيام[٢]، وذلك أن الله عز وجل يقول: ﴿**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**[٣]﴾» ذكره أبو داود.

وكان إذا فرغ بلال من الأذان شرع ﷺ فى الخطبة، ولم يقم أحد لصلاة السنة، وبعض العلماء قالوا بسنة الجمعة بالقياس على الظهر، وإثبات السنة بالقياس غير جائز[٤]. والعلماء الذين صنفوا فى السنن، واعتنوا بضبط سنن الصلاة، لم يرووا فى سنة الجمعة قبل الصلاة شيئا. وأما بعد صلاة الجمعة، فكان إذا رجع إلى المنزل صلى أربعا وإن صلى فى المسجد صلى ركعتين وقال: من كان منكم مصليا بعد الجمعة فليصل بعدها أربعا».

---

(١) رواه أحمد فى المسند (١/ ٩٣)، وأبو داود فى السنن (١/ ٢٧٦)، والبيهقى الكبرى (٣/ ٢٢٠)

(٢) قال العراقى: إسناده جيد ذكره الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٣ ص ٢٧٢)، ورواه أحمد بإسناد لابأس به، وله شاهد فى الصحيحين انظر صحيح البخاوى (ج٢ ص ٤١٤) حديث رقم (٣٩٤)، ومسلم (ج٢ ص ٥٨٣)، برقم (٨٥١).

(٣) سورة الأنعام آية رقم ١٦٠.

(٤) ماذا يقول المتسبون إلى الفقه والدين فى هذا العصر من قولهم: هذا سنة، وهذا سنة، وليس لذلك أصل فى الدين وإنما هو سنة الفقهاء. فأوهموا الناس أنها سنن الهدى، وليس هذا من شأن العلماء ولا من الورع.

فصل
فى صلاة العيد

كان من عادة النبى ﷺ أن يصلى صلاة العيد فى المصلى وهو مكان فى ظاهر المدينة، وصلى العيد مرة فى المسجد، لسبب المطر، وكان يلبس فى يوم الجمعة أجمل ثيابه، وكان له حلة فاخرة برسم العيدين والجمعة.

وفى بعض الأحيان كان يلبس بردا مخططا، بخطوط خضر، أو بخطوط حمر، وكان يفطر فى يوم العيد، عيد الفطر قبل الخروج إلى المصلى على تميرات عددهن وتر، ولم يكن يأكل طعاما إلا بعد المراجعة، وكان يغتسل للعيد.

وورد فى هذا الباب حديثان وكلاهما ضعيف، لكن صح عن ابن عمر أنه كان يغتسل لكل عيد، وشدة مبالغته فى متابعة السنة تقتضى أن الحديث فى هذا الباب صحيح، وكان يسير إلى المصلى ماشيا، ويحمل بين يديه العنزة[1].

فإذا بلغ المصلى نصبت تجاهه، لأن المصلى لم يكن له إذ ذلك جدار ولا محراب، وكان يؤخر صلاة الفطر، ويعجل صلاة الأضحى.

وعبدالله بن عمر، الذى كان لايهمل متابعة السنة فى دقيقه، كان يسير من بيته إلى المصلى، بعد طلوع الشمس، وكان يكبر فى جميع طريق المصلى، وكان النبى ﷺ إذا بلغ المصلى شرع فى الصلاة من وقته، بلا أذان ولا إقامة، ولا الصلاة جامعة، والسنة أن لايكون شىء من هذا.

وكان يكبر فى الأولى سبع تكبيرات[2] متتابعات يفصل بين كل تكبيرتين بسكتة خفيفة. ولم يرد بين التكبيرتين ذكر ولاتسبيح معين، وكان يقرأ فى الأولى سورة ﴿ق والقرآن المجيد﴾، وفى الثانية ﴿اقتربت الساعة﴾[3].

---

(١) العنزة: عصا قدر نصف الرمح توضع أمام المصلى.

(٢) انظر سنن أبى داود (ج١ ص ٢٩٩) حديث رقم (١١٥١) (١١٥٢) باب التكبير فى العيدين.

(٣) انظر صحيح مسلم فى كتاب العيدين، باب مايقرأ به صلاة العيدين حديث (٨٩١) ج٢ ص ٦٠٧)، وأبى داود كتاب الصلاة، باب مايقرأ فى الأضحى والفطر حديث رقم (١١٥٤ ـ ج١ ص ٣٠٠)، والترمذى فى أبواب الصلاة، باب ماجاء فى القراءة فى العيدين حديث رقم (٥٣٤ ـ ج٢ ص ٤١٥).

وفى بعض الأحيان كان يقتصر على ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾، ﴿وهل أتاك حديث الغاشية﴾، ولم يصح غير هذا. وكان إذا رفع رأسه من السجود إلى الركعة الثانية شرع فى التكبير، فكبر خمسا، ثم شرع فى القراءة.

ويروى فى بعض الأحاديث، أنه والى بين القراءتين فكبر فى الأولى ثم قرأ وركع، فلما قام فى الثانية قرأ، وجعل التكبير بعد القراءة، لكن هذا الخبر غير صحيح، لأنه من رواية محمد بن معاوية وهو مجروح باتفاق أكابر علماء الحديث.

وعن عمر بن عوف: أن رسول الله ﷺ كبر فى العيدين فى الأولى سبعا قبل القراءة، وفى الأخرى خمسا قبل القراءة[1].

سأل الترمذى البخارى عن هذا الحديث؟ فقال: ليس فى الباب شىء أصح من هذا وبه أقول. وكان إذا فرغ من الصلاة قام وخطب قائما ولم يكن ثم منبر، لكن ورد فى الحديث الصحيح (فنزل نبى الله)، وهذا يدل على أنه كان يخطب على تل، أو صفة، أو مكان عال، يقوم مقام المنبر.

وروى فى بعض الأحاديث على راحلته، وفى الصحيحين عن جابر قال: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم العيد، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بلا أذان ولا إقامة ثم قام متوكئا على بلال، فأمر بتقوى الله وحث على طاعته، ووعظ الناس وذكرهم، ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن ولفظ «تصدقوا فأكثر من تصدق النساء بالقرط والخام والشىء»[2] فإن كان له حاجة، أو يريد أن يبعث بعثا يذكره لهم، وإلا انصرف، وكان يفتتح جميع الخطب بحمد الله، ولم يرد فى حديثه أنه كان يفتتح خطبة العيد بالتكبير.

---

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة، باب التكبير فى العيدين حديث رقم (١١٥١) ونقل الترمذى عن البخارى صحيحه.

(٢) رواه مسلم والنسائى وأورده الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٣ ص ٣٠٤).

وفى سنن ابن ماجه مروى عن سعد مؤذن النبى ﷺ: أن النبى ﷺ كان يكثر التكبير بين أضعاف الخطبة[١]، وفى لفظ يكثر التكبير فى خطبة العيدين وهذا لايدل على أن الافتتاح كان بالتكبير والله أعلم.

وكان يذهب إلى صلاة العيدين من طريق ويأتى من طريق آخرى وقالوا: السر فى ذلك أن يُسلم على أهل الطريقين، أو لتشمل بركته الطريقين، أو ليظهر شعار الإسلام فى الطريقين، أو ليغتم أهل النفاق بمشاهدة عزة الإسلام، ورفعة أعلامه، أو لتشهد بطاعته البقاع المختلفة، والمواضع المتفرقة، أو لمجموع ذلك، أو لأسرار آخر، تقصر عنها عقول أكثر الخلق.

---

(١) رواه ابن ماجه وذكره الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٣ ص ٣٠٥).

فصل

فى عباداته ﷺ فى حال الاستسقاء

ثبت فى ذلك ستة أوجه:

الوجه الأول: أنه كان يوم الجمعة فى أثناء الخطبة يستمطر ويقول: «اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا، اللهم اسقنا اللهم اسقنا، اللهم اسقنا»[(١)].

الوجه الثانى: أنه كان يعد الصحابة بالخروج فى يوم معين إلى المصلى، ويخرج فى ذلك اليوم، بعد طلوع الشمس بهيئة الخاشع المتواضع، مبتذلا، فإذا وصل إلى المصلى، صعد إلى المنبر، وقرأ الخطبة، والمحفوظ منها: «الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، لا إله إلا الله، يفعل مايريد، اللهم أنت الله الذى لا إله إلا أنت تفعل ما تريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغنى ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث واجعل ماأنزلت لنا قوتا وبلاغا إلى حين»[(٢)]، ثم رفع يديه وأخذ فى التضرع والابتهال والدعاء، وبالغ فى الرفع، حتى بدأ بياض إبطيه، ثم استقبل القبلة واستدبر الحاضرين، وقلب رداءه المبارك، حتى صار طرف اليمين، على الجانب الشمال، وطرف الشمال على الجانب اليمين[(٣)].

(١) متفق عليه رواه البخارى فى كتاب الاستسقاء باب (٦) الاستسقاء فى المسجد الجامع حديث رقم (١٠١٣- ج٢ ص ٥٠١)، ومسلم فى كتاب صلاة الاستسقاء باب (٢) الدعاء فى الاستسقاء حديث رقم (٨٩٧ ـ ج٢ ص٦١٢ ـ ٣٠٥) وأبو داود فى كتاب الصلاة، باب رفع اليدين فى الاستسقاء حديث رقم (١١٧٤ ـ ج١ ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥) والنسائى (ج٣ ص ١٥٤ ـ ١٥٥) فى الاستسقاء، باب حتى يستقى الإمام، ومالك فى كتاب الاستسقاء باب ماجاء فى الاستسقاء حديث (٣ ـ ج١ ص ١٩١).

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة باب رفع اليدين فى الاستسقاء حديث رقم (١١٢٣ ـ ج١ ص ٣٠٤) وقال غريب وإسناده جيد، وذكره الأمير الصنعانى فى سبل السلام (ج٢ ص ١٦٢).

(٣) رواه أحمد فى مسنده وابن ماجه، وذكره الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٤ ص٤) وذكره الدار قطنى فى كتاب الاستسقاء حديث رقم (٢) ج٢ ص ٦٦.

وما كان من الرداء داخلا صار خارجا، وما كان خارجا صار داخلا، وكان الرداء أسود اللون، وأخذ فى الدعاء كذلك، ثم نزل وشرع فى الصلاة، فصلى ركعتين، بغير أذان ولا إقامة، جهر فيهما بالقراءة، وقرأ فى الركعة الأولى بعد الفاتحة ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾. وفى الثانية ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾.

الوجه الثالث: أنه صعد منبر المدينة فى المسجد واستسقى فى غير يوم الجمعة، ولم يرد فى الاستسقاء صلاة بل مجرد خطبة ودعاء.

الوجه الرابع: أنه استسقى فى مسجد المدينة قاعدا من غير قيام، ولا صعود على المنبر، وحفظ من دعاء ذلك اليوم: «اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريعا طبقا عاجلا غير رائث نافعا غير ضار»(١).

الوجه الخامس: أنه استسقى مرة خارج المسجد النبوى، بالقرب من الزوراء، بمكان يعرف بأحجار الزيت، هو قريب من باب من أبواب المسجد،، يقال له: باب السلام وعطف على الجانب الأيمن، وسار نحوه رمية حجر، بلغ إلى المكان المعروف بأحجار الزيت.

الوجه السادس: كان فى بعض الغزوات قد سبق المشركون ونزلوا على الماء واستولى العطش على المسلمين. فعرضوا حالهم على الرسول ﷺ، وقال المنافقون: لو كان نبيا لاستسقى لقومه، كما استسقى موسى لقومه فبلغ هذا الخبر النبى ﷺ، فقال: هكذا قالوا، فلا تيأسوا فلعل الله جل ثناؤه أن يسقيكم، ثم رفع يديه ودعا الله. فظهرت سحابة، فى الوقت أظلمت الدنيا، ثم أمطرت إلى أن اختنقت الأودية العظيمة بالسيول، والمحفوظ من ذلك الدعاء فى الاستسقاء هذه الكلمات: «اللهم اسق عبادك وبهائمك وانشر

---

(١) تقدم تخريجه. وانظر صحيح مسلم (ج٢ ص ٦١٥) حديث رقم (٦١٥) وأبى داود (ج٤ ص ٣٢٦)

رحمتك وأحى بلدك الميت، اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا نافعا غير ضار عاجلا غير رائث»[١].

وفى كل وقت استسقى ﷺ أجيب، وجاء المطر، واستسقى مرة، فقام رجل من الصحابة يعرف بأبى لبابة وقال: يارسول الله التمر فى المربد، ونخشى أن يتلف فقال ﷺ: «اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عريانا فيسد ثعلب مربده[٢] بإزاره فأمطرت، فاجتمعوا إلى أبى لبابة فقالوا: إنها تقلع حتى تقوم عريانا فتسد ثعلب مربدك بإزارك كما قال رسول الله ﷺ ففعل فاستهلت السماء[٣].

وكانوا إذا كثر المطر وأفرط طلبوا الصحو من رسول الله ﷺ، وكان يقول فى الاستصحاء: «اللهم على الأكام، والجبال، والظراب، وبطون الأودية، ومنابت الشجر»[٤].

وكان عند ابتداء المطر يميط ثوبه عن بعض بدنه ليصيبه المطر ويقول: لأنه حديث عهد بربه، وكان إذا سال وادى العقيق وغيره يقول: «اخرجوا بنا إلى هذا الذى جعله الله طهوراً فنتطهر منه، ونحمد الله تعالى عليه».

وكان إذا رأى الريح، والسحاب، ظهرت الكراهية فى وجهه المبارك، وكان يتردد فإذا جاء المطر انبسط وزالت الكراهية.

---

(١) انظر صحيح البخارى (ج٢ ص ٥٠١)، ومسلم (ج٢ ص ٦١٢ ـ ٦١٤)، وسنن أبى داود (ج١ ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥).

(٢) المربد: موضع يجفف فيه التمر. وثعلبه: ثقبه الذى يسيل فيه المطر.

(٣) لم نجده فيما اطلعنا عليه من كتب الحديث.

(٤) متفق عليه رواه البخارى ومسلم وأورده الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٤ ص ١٣) وقد تقدم تخريجه. والإكام ـ بالكسر ـ جمع أكمة وهى الرابية. والظراب: هى الجبال الصغر.

وثبت أنه قال فى بعض أدعيته: «اللهم اسقنا غيثا مغيثا، هنيئا، مريعا غدقا، مجلالا، عاما، طبقا، سحا، دائما. اللهم اسقنا الغيب، ولاتجعلنا من القانطين، اللهم بالعباد، والبلاد، والبهائم، والخلق، من اللأواء، والجهد، والضنك، مالا نشكوه إلا إليك، اللهم أنبت لنا الزرع، وأدر لنا الضرع، واسقنا من بركات السماء وانبت لنا من بركات الأرض، الله ارفع عنا الجهد، والجوع، والعرى، واكشف عنا من البلاء مالا يكشفه غيرك، اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفارا، فأرسل السماء علينا مدرارا، وكان إذا دعا فى الاستسقاء رفع يديه نحو السماء»[١].

وقال ﷺ: «استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش، وإقامة الصلاة، ونزول الغيث»[٢].

وقال ﷺ: «تفتح أبواب السماء ويستجاب الدعاء فى أربعة مواطن: عند التقاء الصفوف، وعند نزول الغيث، وعند إقامة الصلاة»[٣]، وعند رؤية الكعبة».

---

(١) انظر صحيح البخارى (ج٢ ص ٥١٨)، ومسلم (ج٢ ص ٦١٥)، وأبى داود (ج٤ ص٣٢٦ ـ ٣٢٧)، والنسائى (٣/ ١٦٤).

(٢) أخرج نحوه أحمد فى مسنده، وأبو داود فى سننه، والترمذى، وأورده الشوكانى فى نيل الأوطار (٢/ ٥٥).

(٣) انظر: نيل الأوطار (ج٢ ص ٥٥) ومابعدها.

فصل
فى عبادات السفر

أسفار رسول الله ﷺ لم تكن تخلو من أحد أربعة أنواع: إما سفر الهجرة من مكة إلى المدينة، أو سفر عمرة، أو سفر حج، أو سفر جهاد، وهذا كان الغالب.

وكان إذا عزم على سفر ضرب القرعة بين أمهات المؤمنين[١] فمن ظهرت قرعتها سافر بها.

وأما فى سفر الحج فإنه سافر بالمجموع، وكان يسافر أول النهار، ويحب أن يسافر فى يوم الخميس[٢] وكان إذا جهز جيشا إلى الجهاد، أمرهم بالمسير فى أول النهار، وأمر جميع المسافرين، إذا كانوا ثلاثة أن يجعلوا أحدهم أميرا[٣]. ونهى عن الوحدة فى السفر، وقال: «الراكب شيطان، والراكبان شيطانان والثلاثة ركب»[٤].

ولم يرد سفرا إلا قال حين ينهض من جلوسه: «اللهم إليك توجهت وبك اعتصمت، اللهم كفنى ما أهمنى وما أهتم له، اللهم زودنى التقوى، واغفر لى ذنوبى، ووجهنى للخير أينما توجهت».

وكان إذا وضع رجله المباركة فى الركاب قال: «بسم الله»، وإذا استوى على ظهر المركب. قال: «﴿سبحان الذى سخر لنا هذا وماكنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾[٥]، الحمد لله، الحمد لله، الله أكبر، الله أكبر، سبحانك

---

(١) انظر طبقات ابن سعد (ج٣ ص ١٠٦)، وسيرة ابن هشام (ج٢ ص ٢٩٠)، وتاريخ ابن جرير (ج٢ ص ٦٠٦)، والفتح الربانى (ج٢١ ص ٧٠و ١٨ ص ٣٠٦).

(٢) متفق عليه البخارى (ج٦ ص ٨٠)، وأبو داود برقم (٢٦٠٥)، وأورده النووى فى رياض الصالحين (ص ٤٠٧).

(٣) حديث حسن أخرجه أبو داود فى سننه برقم (٢٦٠٧)، والترمذى برقم (١٦٧٤)، وهو فى الموطأ (ج٢ ص ٩٧٨) وسنده حسن.

(٤) رواه أبو داود والترمذى، والنسائى بأسانيد صحيحة، وقال الترمذى حديث حسن. انظر سنن أبى داود برقم (٢٦٠٧)، والترمذى برقم (١٦٧٤)، والموطأ (٢/٩٧٨).

(٥) سورة الزخرف آية ١٢، ١٤.

إنى ظلمت نفسى، فاغفر لى ذنوبى، إنه لايغفر الذنوب إلا أنت، اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ماترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، وأطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب[١]، وسوء المنظر فى الأهل والمال».

وإذا رجع قالهن، وزاد فيهن: «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون»[٢] «وكان ﷺ وهو وأصحابه إذا علو الثنايا كبروا، وإذا هبطوا سبحوا»[٣].

وكان ﷺ إذا أشرف على بلدة، أو قرية، يريد دخولها قال: «اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أظللن، ورب الرياح وماذرين، أسألك خير هذه القرية، وخير أهلها، وأعوذ بك من شرها، وشر أهلها، وشر مافيها».

وفى بعض الأحيان كان يقول: «اللهم إنى أسألك من خير هذه القرية، وخير ماجمعت فيها، وأعوذ بك من شرها، وشر ماجمعت فيها، اللهم أرزقنا جناها، وأعذنا من وباها، وحببنا إلى أهلها، وحبب صالحى أهلها إلينا»[٤].

وكان ﷺ يقصر الصلاة الرباعية، فى جميع أسفاره، ولم يثبت أنه أتمها فى وقت من الأوقات، والحديث المروى عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ: «كان يقصر فى السفر ويتم، ويفطر، ويصوم»[٥] لم يبلغ الصحة.

(١) وكآبة المنظر: أى وأن أنظر مايسوءنى فى الأهل والمال، أى كموت ومرض وتلف.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه برقم (١٣٤٢)، والترمذى برقم (٣٤٤٤)، وأبو داود برقم (٢٥٩٩).

(٣) رواه البخارى (ج٦ ص ٩٤).

(٤) لم نجده بلفظ المصنف ولكن أخرج أبو داود نحوه برقم (٢٦٠٣)، والإمام أحمد (٢/ ١٣٢) والحاكم فى المستدرك وصححه (ج٢ ص ١٠٠) ووافقه الذهبى وحسنه الحافظ فى أمالى الأذكار.

(٥) حديث عائشة رواه النسائى (ج٣ ص ١٢٢)، والترمذى (ج٢ ص ٤٣٠) تحقيق شاكر.

وكان من العادة النبوية، أن يقتصر فى السفر على صلاة الفرض، ولم يحفظ أنه فى السفر صلى شيئا من السنن، لا قبل الفرض ولابعده، إلا ركعتى الفجر والوتر، وكان يصلى صلاة التهجد على ظهر المركوب.

وعن ابن عمر قال: «كان رسول الله ﷺ يصلى فى السفر على راحلته حيث توجهت يومئ إيماء «يعنى صلاة الليل إلا الفرائض، ويوتر على راحلته»(١).

وثبت عن رسول الله ﷺ، فى حال قصر الصلاة أنه ماكان يدع صلاة الليل، لكن ثبت عن جماعة من الصحابة أنهم كانوا يصلون السنة، كان أصحاب رسول الله ﷺ، يسافرون فيتطوعون، قبل المكتوبة وبعدها.

وأما ابن عمر فكان لايصلى السنة، ولايترك صلاة الليل، كما كانت عادة النبى ﷺ، فلو صلاها أحد جازت صلاته، وكانت تطوعا مطلقا لاراتبة.

ونقل عن البراء بن عازب قال: سافرت مع النبى ﷺ ثمانية عشر سفرا فلم أره يترك ركعتين عند زيغ الشمس قبل الظهر(٢).

قال الترمذى: حديث غريب، وسألت عنه محمدا ـ يعنى البخارى ـ فلم يعرفه إلا من حديث الليث بن سعد، ورآه حسنا.

وكان من عادته ﷺ، إذا صلى السنة على راحلته، أن يتوجه حيثما توجهت، وإن توجهت لغير القبلة، وكان يومىء فى الركوع والسجود.

وثبت فى سنن أحمد وسنن أبى داود، «أنه كان يوجه راحلته إلى القبلة حال تكبيرة الافتتاح ثم يتمم إلى حيثما توجهت الراحلة»(٣).

---

(١) انظر نيل الأوطار (ج٣ ص ١٩٩).

(٢) لم نجده وقد أخرج مسلم نحوه فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب (١) صلاة المسافرين وقصرها حديث رقم (٦٩١ ـ ج١ ص ٤٨١)، وأبو داود فى كتاب تفريع أبواب صلاة المسافر باب صلاة المسافر حديث رقم (١٢٠١ ـ ج٢ ص٣).

(٣) أخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة، باب التطوع على الراحلة والوتر حديث رقم (١٢٢٥ ـ ٢/ ٩).

وروى الترمذى فى حديث مستقيم الإسناد أنه صلى الفرض مرة، على ظهر مركبه واقتدت به الصحابة ركبانا، ولفظه: «انتهى النبى ﷺ إلى مضيق هو وأصحابه، وهو على راحلته، والسماء من فوقهم والبلة من أسفلهم فحضرت الصلاة، فأمر المؤذن فأذن، وأقام ثم تقدم رسول الله ﷺ على راحلته فصلى بهم، يومىء فجعل السجود أخفض من الركوع»[(١)].

وكان من عادته ﷺ إذا وقع الرحيل قبل الزوال، أن يؤخر الظهر إلى وقت العصر، فإذا نزل جمع بين الظهر والعصر. وإن دخل وقت الظهر، قبل الرحيل صلى الظهر ثم ركب، وكذا فى المغرب والعشاء، وإن كان فى وقت المغرب والعشاء سائرا آخر الصلاة إلى وقت العشاء ليصلهما معا، وفى بعض الأوقات جمع بين الظهر والعصر، فى وقت الظهر، ثم ركب، وكذا فى المغزب والعشاء»[(٢)].

ولم يكن يعتاد الجمع فى السفر فيما علمت، لكن إذا كان السير حثيثا جمع، وأما الجمع فى حالة النزول، والقرار، فلم يرد ولم يعين للقصر والجمع مسافة، ولم يرد فى هذا الباب شىء صحيح بل رخص فى مطلق السفر، وكذا التيمم لم يرد فيه سفر محدود.

---

(١) روى الترمذى نحوه وصححه وأبو داود فى سننه، وذكره الشوكانى فى المنتقى (ج٢ ص ١٧٢) والبلة فى الحديث - بالكسر - النداوة.

(٢) انظر صحيح البخارى فى كتاب تقصير الصلاة، باب إذا ارتحل بعد مازاغت الشمس صلى الظهر ثم ركب، حديث رقم (١١١٢ - ج٢ ص ٥٨٢ - ٥٨٣) وباب (١٥) حديث (١١١١) فتح البارى (ج٢ ص ٥٨٢)، ومسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب (٥) جواز الجمع بين الصلاتين فى السفر حديث رقم (٧٠٤ - ج١ ص ٤٨٩)، وأبو داود فى سننه حديث رقم (١٢١٨ - ١٢١٩ ج٢ ص٧)، والنسائى (١/ ٢٨٤ - ٢٨٥)، فى كتاب مواقيت الصلاة، باب الوقت الذى يجمع فيه المسافر بين الظهر والعصر.

فصل

فى عادة الحضرة النبوية ﷺ حال قراءة القرآن واستماعه وكمال خضوعه وخشوعه وبكائه حال سماعه

كان له ﷺ فى اليوم وظيفة معينة، يتلوها لايتركها أبدا إلا لضرورة، وكان يقرأ مرتلا، مفسرا، مبينا، حرفا حرفا، ويقف عند آخر كل آية، ويتمم المد فى حروف المد، كالمد فى الرحمن الرحيم، فإنه كان يتمم المد فى كل.

وكان يقول فى أول القراءة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وفى بعض الأوقات يقول: «اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم، من همزه أو نفخه ونفثه» وكان يحب سماع القرآن من الغير»[١].

وأمر عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما أن يقرأ عليه القرآن فلما أخذ فى القراءة استمع له ﷺ وأخذ فى الخشوع والتضرع والبكاء حتى جرى ماء عينيه»[٢].

وكان يقرأ القرآن على كل حال قائما، وقاعدا، ونائما، متوضأ، وغير متوضأ، ولم يكن يمنعه شيء من القراءة غير الجنابة، وكان يتغنى بالقرآن فى بعض الأوقات، ويرجع فى ذلك كما يفعله من الحفاظ من كان حسن الصوت، وكذا قراءة سورة الفتح فى يوم فتح مكة.

وكان ﷺ يقول: «زينوا القرآن بالأصوات الحسنة» وقال: «من لم يتغن بالقرآن فليس منا»[٣] قيل لراوى الحديث: فإن كان شخص لايحسن ذلك؟ قال: يبذل طاقته فيما استطاع من تحسين القراءة.

---

(١) انظر صحيح البخارى (ج٩ ص ٨١)، ومسلم برقم (٧٩٣، ٢٣٦).

(٢) أخرجه البخارى (ج٩ ص ٨٥) ومسلم برقم (٨٠٠)، وأبو داود برقم (٣٦٦٨)، والترمذى برقم (٣٠٢٧).

(٣) رواه أبو داود بإسناد جيد، برقم (١٤٧١)، وهو فى صحيح البخارى (ج١٣ ص ٤٦٨) من حديث أبى هريرة بنحوه، ومعنى «يتغنى» يحسن صوته بالقرآن انظر رياض الصالحين (ص ٤٢٣).

وينبغى أن يعلم: أن التطريب، والتغنى على نوعين: نوع تقتضيه الطبيعة وتسمح به من غير تكلف، وهو لايحتاج إلى تمرين وتعليم، بل لو حلى شخص وطبعه لصدر منه ذلك التطريب والتلحين، وهذا النوع جائز بالاجماع، ولو أعانته الطبيعة على زيادة تحسين وتزيين، كما قال أبو موسى الأشعرى لسيدنا رسول الله ﷺ «لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا»[(١)] يعنى لو كنت أعلم أنك تستمع قراءتى، لأتممت التزيين والتحسين.

(النوع الثانى»: هو مايحصل من سماحة الطبع، بل يحتاج فيه إلى التعليم، والتمرين، والتكلف، كأصوات المطربين إذا عمدوا إلى الإيقاع بأنواع الألحان، وقرأوا بأصوات وايقاعات مخصوصة، وهذا النوع مكروه عند جماعات السلف وقد منعوا من القراءة به.

---

(١) أخرجه البخارى بنحوه (ج٩ ص ٨١) ومسلم برقم (٧٩٣) (٢٣٦) وهذه الزيادة أوردها أبو يعلى كما فى «المجمع» (ج٧ ص ١٧٠)، فقال أبو موسى: يارسول الله لو علمت لحبرته لك تحبير. وانظر «زاد المعاد فى خير هدى العباد» (ج١ ص ٤٨٤) طبع مؤسسة الرسالة.

فصل
فى العادات النبوية فى تفقد المريض

كان ﷺ يعود كل مريض من أصحابه، وكان إذا دخل على المريض قرب منه، وقعد عند رأسه، وسأله عن حاله، وقال: كيف تجدك.

وكثيرا ما كان يقول: ما الذى تريد، وما الذى تشتهيه طبيعتك، فإن اشتهى شيئا لم يضره، أمر له به، وكان يجعل يده اليمنى على المريض، ويقول: «اللهم رب الناس أذهب البأس أشف، أنت الشافى، ولاشفاء إلا شفاؤك، شفاء لايغادر سقما، امسح البأس رب الناس بيدك الشفاء ولاكاشف له إلا أنت»(١).

وكان يدعو للمريض ثلاث مرات، ولما عاد سعدا. قال: «اللهم اشف سعدا اللهم اشف سعدا اللهم اشف سعدا»(٢).

وكان إذا دخل على مريض يعوده، يقول لابأس طهور إن شاء الله، وفى بعض الأحيان يقول: كفارة، وطهور، وكان إذا اشتكى الإنسان الشىء منه، أو قرحة، أو جرح وضع النبى ﷺ السبابة على الأرض، ثم رفعها وقال: «بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا، يشفى سقيمنا بإذن ربنا»(٣).

وقالت عائشة رضى الله عنها: «كان رسول الله ﷺ، إذا أوى إلى فراشه جمع كفيه، ثم نفث فيهما: - يعنى جمع نفسه ونفخ - يقرأ قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما، ما

---

(١) متفق عليه رواه البخارى فى صحيحه (ج١٠ ص ١٧٦)، ومسلم برقم (٢١٩١).

(٢) رواه مسلم (ج٣ ص ١٢٥٣ برقم ٨)، وأخرجه البخارى (ج١٠ ص ١٠٣) وفيه: ثم وضع يده على جبهته، ثم مسح يده على وجهى وبطنى، ثم قال: «اللهم اشف سعدا، وأتمم له هجرته» فمازلت أجد برده على كبدى فيما إلى حتى الساعة. وانظر رياض الصالحين هامش (٥ ص ٣٨٨) تحقيق شعيب الأرنؤوط طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة، سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

(٣) متفق عليه أخرجه البخارى (ج١٠ ص ١٧٦، ١٧٧)، ومسلم برقم (٢١٩٤).

استطاع من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات»[١] قالت: فلما اشتكى، كان يأمرنى أن أفعل ذلك به، فكنت آخذ بيديه، وأمسح بهما لبركتهما.

وفى رواية أخرى: كان النبى ﷺ يقرأ، ويتنفث، وعائشة رضى الله عنها تأخذ بيديه، وتمسح بهما بدنه، كان غاية الضعف، والوجع، كان يمنع من تحريكهما، ولم يجعل للعبادة يوما معينا بل كان يعود فى جميع الأوقات من الليل والنهار، وقال: «عائد المريض فى مخرفة الجنة»[٢].

وفى رواية أخرى: «لم يزل فى خرفة الجنة، وما من مسلم يعود مسلما مريضا، غدوة، إلا صلى عليه سبعون ألف ملك، حتى يمسى، وإن عادة عشية صلى عليه سبعون ألف ملك، حتى يصبح، وكان له خريف فى الجنة»[٣].

وكان ﷺ يعود من رمد العين. وكان يخدمه ﷺ شاب من اليهود، فلما مرض[٤] عاده، ولما مرض عمه أبو طالب عاده، مع أنه كان مشركا، وكان عرض عليهما الإسلام فلم يقبل أبو طالب وأسلم اليهودى[٥].

---

(١) متفق عليه رواه البخارى (ج٥ ص ١٣٨)، ومسلم (ج٧ ص ١٣١)، وانظر فقه السير (ص ٣٥٥) د.محمد سعيد رمضان البوطى، دار الفكر ط٦، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه بمثله برقم (٢٥٦٨) (٤١) والمخرفة فى الحديث بستان من بساتين الجنة.

(٣) رواه الترمذى برقم (٩٦٩) وقال: حديث حسن. وأبو داود فى سننه برقم (٣٠٩٨، ٣٠٩٩) وابن ماجه (١٤٤٢) وهو حديث صحيح انظر رياض الصالحين ص ٣٨٧.

(٤) أخرج البخارى عن أنس، رضى الله عنه، قال: كان غلام يهودى يخدم النبى ﷺ فمرض. فأتاه النبى ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: «أسلم» فنظر إلى أبيه وهو عنده؟ فقال: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبى ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذى أنقذه من النار» رواه البخارى فى صحيحه (ج٣ ص ١٧٦)، وأخرجه أبو داود فى سننه برقم (٣- ٩٥).

(٥) انظر: طبقات ابن سعد (ج١ ص ١٩٤) ومابعدها، وتاريخ الطبرى (ج٢ ص ٣٤٤).

فصل

فى العادة النبوية فى أحوال الميت وأداء حقوقه

كانت عادته ﷺ مشتملة على الإحسان العظمى إلى الميت، ومعاملته بأمور تنفعه فى القبر، وفى القيامة، وعلى الإحسان لأقاربه وأهل بيته، وعلى تعليم الأحياء، مايؤدون به حق العبودية، فى معاملة الميت.

وأول الإحسان إلى الميت أنه كان يأمر بتجهيزه نحو آخرته، على أحسن الأحوال، وأفضل الصفات. ثم يقف ﷺ وجميع أصحابه صفا، يستغفرون للميت، ويطلبون له الرحمة، من حضرة ذى العزة، ثم يسيرون معه إلى مدفنه، ويقوم هو وأصحابه على قبره يدعون له، ويسألون له التثبيت والرحمة، عند أشد مايكون محتاجا إليها، ثم لايزال يتعهد قبره، ويخصه بالدعاء، الذى يستوجب الروح، والراحة، والمغفرة، والرحمة.

وكان يعوده قبل موته، ويذكره بالآخرة، ويأمره بالتوبة، والوصية، ويأمر من حضر مريضا مشرفا أن يلقنه الشهادة، ليكون آخر كلامه كلمة التوحيد.

وكان يمنع من عادات أمم الذين لايؤمنون بالبعث والنشر بحال، وينهى عن لطم الخدود، وشق الجيوب، وحلق الرأس، وأمثال ذلك، ويردع عليه ردعا بليغا، ويأمر بالحمد، والاسترجاع والرضا، ولاينهى عن جرى الدمع، وحزن القلب.

ومع أنه كان أرضى الخلق لقضاء الحق، وأشكرهم، وأصبرهم، أجرى الدمع، وبكى لما توفى ولده ابراهيم، وعمره سنتان وقال: «تدمع العين، ويحزن القلب، ولانقول إلا مايرضى الرب، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[1].

---

(١) متفق عليه رواه البخارى (ج٣ ص ١٣٩، ١٤٠)، ومسلم برقم (٢٣١٥)، وأخرجه أبو داود برقم (٣١٢٦).

وكان من كمال عاداته النبوية أن يأمر بتجهيز الميت، وتطهيره، وتنظيفه، ودفنه بسرعة، وأن يكفن فى ثياب بيض.

وكانت الصحابة مدة إذا احتضر شخص، وأشرف على الموت، دعوا حضرة الرسول فحضر ﷺ هناك إلى أن يتوفى، ويجهزه ويصلى عليه، ويشيعه إلى القبر، فلما رأت الصحابة مافى ذلك من المشقة، اقتصروا على أن يعلموه بعد وفاة الشخص، ليحضر التجهيز والصلاة والدفن، ثم رأوا أن هذا لايخلو من مشقة، فكانوا يجهزون الميت، ويحملونه إليه ﷺ ليصلى عليه حينا بالمسجد، وحينا خارجه، وكلاهما يجوز.

وفى الحديث المروى عن أبى هريرة: «أن النبى ﷺ قال: من صلى على جنازة فى المسجد فلا شيء له[١]» غلط، وصوابه مارواه الخطيب البغدادى. وقال: هو فى الأصل فى شيء عليه[٢].

وقال بعض أئمة الحديث: هذا الحديث ضعيف لأنه من إفراد صالح مولى التوءمة، وقد صلى على أبى بكر، وعمر فى المسجد، بحضرة جميع المهاجرين والأنصار، ولم يصدر من أحد إنكار.

وكان يأمر أن يغسل الميت ثلاثا، أو خمسا، أو أكثر، على حسب مايقتضيه رأى الغاسل، وأن يجعل فى الغسلة الآخرة شيئا من الكافور، وكانوا لايغسلون الشهيد، وينزعوا عنه السلاح، والملبوس، ويستعملون شيئا من الطيب، وإذا قصر الكفن غطوا رأسه، وجعلوا عل رجليه شيئا من الأب[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه عن أبى هريرة، وابن ماجة فى سننه، وذكره الشوكانى فى نيل الأوطار (٤/ ٦٨).

(٢) وتصويب المصنف للحديث صحيح، لما فى الصحيحين من تأييد لما ذهب إليه فقد روى مسلم عن عائشة أنها قالت: لما توفى سعد بن أبى وقاص ادخلوا به المسجد حتى أصلى عليه فانكروا ذلك عليها فقالت والله ما صلى رسول الله ﷺ على سهيل بن البيضاء إلا فى جوف المسجد. رواه الجماعة إلا البخارى، وانظر: نيل الأوطار (ج٤ ص ٦٨)، وانظر صحيح مسلم برقم (٩٧٣ - ج٢ ص ٦٦٨)، وسنن أبى داود برقم (٣١٨٩، ٣١٩٠ - ج٣ ص ٢٠٧)، والترمذى (٣/ ٣٥١).

(٣) الأب: هو المرعى المهيأ للرعى. وقيل: هو من المرعى للدواب كالفاكهة للإنسان.

وكان من العادات إذا أحضروا ميتا، سأل ﷺ هل عليه دين[(١)]؟ فإن لم يكن عليه دين صلى عليه، وإلا أمر أصحابه فصلوا عليه، ولما كثرت الفتوحات وظهرت الغنائم صلى ﷺ على المديون، وقضى دينه، وكان إذا شرع فى الصلاة، قرأ الفاتحة بعد التكبيرة الأولى.

والمحفوظ من الدعاء، الذى كان يقرأ فى الصلاة على الميت. هذا: «اللهم اغفر له، وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا، كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارا خيرا من داره، وأهلا خيرا من أهله، وزوجا خيرا من زوجه، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر، ومن عذاب النار»[(٢)].

وحينا كان يقول: «اللهم اغفر لحينا، وميتنا، وصغيرنا، وكبيرنا، وذكرنا، وأنثانا، وشاهدنا، وغائبنا، اللهم من أحييت منا، فأحيه على الإسلام والسنة، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان، اللهم لاتحرمنا أجره، ولاتفتنا بعده»[(٣)].

وفى بعض الأوقات. كان يقول: «اللهم إن فلان ابن فلان فى ذمتك، وحبله جوارك، فقه من فتنة القبر، وعذاب النار، وأنت أهل الوفاء، والحق، فاغفر له، وارحمه إنك أنت الغفور الرحيم»[(٤)].

وحينا كان يقول: «اللهم أنت ربها، وأنت خلقتها، وأنت رزقتها، وأنت هديتها للإسلام، وأنت قبضت روحها، تعلم سرها، وعلانيتها، جئنا شفعاء فاغفر لها»[(٥)].

---

(١) وقال ﷺ: «نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه» رواه الترمذى برقم (١٠٧٨ و١٠٧٩)، وأخرجه أحمد (٢/ ٤٤٠ و٤٧٥ و٥٠٨)، والدرامى (٢/ ٢٦٢) وسنده حسن.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه برقم (٩٦٣) وأخرجه أحمد فى مسنده (ج٦ ص ٢٣ و٢٨)، وذكره النووى فى رياض الصالحين (ص ٣٩٩).

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه برقم (١٠٢٤)، وأبو داود برقم (٣٢٠١)، وابن ماجه برقم (١٤٩٨)، وصححه ابن حبان (٧٥٧)، والحاكم فى المستدرك (ج١ ص ٣٥٨)، ووافقه الذهبى، وهو كما قالوا.

(٤) أخرجه أبو داود فى سننه برقم (٣٢٠٢)، وابن ماجه (١٤٩٩)، وأحمد (ج٣ ص ٤٩١)، وصححه ابن حبان برقم (٧٥٨).

(٥) أخرجه أبو داود برقم (٣٢٠٠) وفى سنده على بن شماخ لم يوثقه غير ابن حبان على عادته فى توثيق [illegible]، وأورده النووى فى رياض الصالحين بمثله (ص [illegible])

وكان يكبر فى بعض الأحيان أربعا، وفى بعضها خمسا، وفى بعضها ستا، والذين يمنعون من الزيادة على أربع. يقولون: ثبت أن آخر صلاة صلاها الرسول ﷺ كان أربعا.

وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: أن الملائكة لما صلوا على آدم كبروا أربعا. وقالوا: هذه سنتكم يابنى آدم؟ وكان يخرج من الصلاة بتسليمتين، وقد يقتصر على واحدة.

وكان يرفع يديه فى كل تكبيرة، وحيثما فاتته صلاة الجنازة على شخص صلى على قبره فصلى مرة على قبر، بعد يوم وليلة، وأخرى بعد ثلاثة أيام، وأخرى بعد شهر، وحديث الصلاة على القبر صح من طرق ستة.

وكان يصلى على الطفل الميت، ويقول: «صلوا على أطفالكم فإنهم من أفراطكم»[١]، وكان لايصلى على من أهلك نفسه، ولا على من كان يخون فى الغنائم، ويصلى على من قتل بحد شرعى. وثبت أنه صلى على الجهنية التى رجمها فقال عمر: تصلى على من زنى؟ فقال: «لقد تابت توبة لو قسمت على سبعين من أهل المدينة لكفتهم»[٢].

وأى توبة أفضل، من توبة من وضع نفسه فى طريق الحق؟ وكان إذا صلى على الميت، سار معه إلى المدفن ماشيا وقال «عجلوا فى الذهاب»[٣].

وكان لايجلس حتى توضع الجنازة عن رقاب الرجال، وقال: «إذا اتبعتم الجنازة فلاتجلسوا حتى توضع». وكان لايصلى على كل غائب، لكن صح أنه

---

(١) روى أحمد نحوه والنسائى والترمذى وصححه وأورده الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٤ ص ٤٥).

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى صحيحه برقم (١٦٩٦)، وأبو داود برقم (٤٤٤٠)، والترمذى برقم (١٤٣٥)، والنسائى (ج٤ ص ٥١)، وأحمد فى مسنده (ج٤ ص ٤٣ و٤٣٥ و٤٣٧ و ٤٤٠).

(٣) روى الجماعة نحوه كما فى المنتقى (ج٤ ص ٧٠).

صلى على النجاشي وقد توفى بالحبشة، وأمر الصحابة بذلك. وقال: «توفى أخ لكم فصلوا عليه»[١] وصلى على معاوية الليثى، صلاة الغائب.

واختلف الفقهاء في هذا. فقال الشافعي وأحمد: الصلاة على الغائب سنة مطلقا، وأبو حنيفة ومالك يمنعان مطلقا، وبعض المحققين يقول: إن كان قد مات في بلد لم يصل عليه صلينا، وإن صلى عليه فقد سقط الفرض فلا حاجة، وكانت العادة أن لايدفن الميت وقت طلوع الشمس، ولاوقت غروبها، ولاوقت استوائها، وكانوا لايرفعون القبر، ولايبنون عليه بآجر، ولانورة، ولاحجر، ولا لبن، ولاغير ذلك.

وكانوا لايجعلون على هذا القبر، عمارة ولا قبة، وهذا كله بدعة، ومكروه، ومخالف للطريقة النبوية، وبعث رسول الله ﷺ، على بن أبى طالب أن لايدع تمثالا إلا طمسه، ولاقبرا مشرفا إلا سواه، ونهى أن يتخذ على القبر مسجد أو يشعل عليه سراج، ولعن فاعل ذلك، ونهى عن الصلاة عند المقابر، وعن الصلاة على القبر[٢]، ونهى عن إهانة القبور، وعن أن تداس أو يتكأ عليها، أو يجلس عليها[٣].

ومن العادات النبوية زيارة القبور، والدعاء، والاستغفار، ومثل هذه الزيارة تستحب، وقال: «إذا رأيتم المقابر فقولوا: السلام عليكم أهل الديار

---

(١) متفق عليه رواه البخارى فى كتاب الجنائز باب (٤) الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه حديث رقم (١٢٤٥ - ج٣ ص ١١٦) وباب الصفوف على الجنازة حديث رقم (٩٥١ - ج٢ ص ٦٥٦، ٦٥٧)، وأبو داود فى كتاب الجنائز باب فى الصلاة على المسلم يموت فى بلاد الشرك حديث رقم (٣٣٠٤ ج ٣/ ٢١٢)، والترمذى برقم ١٠٢٢١ج ٣/ ٣٤٢)، والنسائى (٤/ ٧٢)، ومالك فى الموطأ حديث رقم (١٤ - ج١ ص ٢٢٦، ٢٢٧).

(٢) انظر صحيح مسلم فى كتاب الجنائز حديث رقم (٩٧٠ - ج٢ ص ٦٦٧)، وأبى داود برقم (٣٢٥، ٣٢٦ ج ٣/ ٢١٦)، والترمذى برقم (١٠٥٢ - ج٣ ص ٣٦٨)، والنسائى (ج٤ ص ٨٦).

(٣) رواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الجنائز . باب مايقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها حديث رقم (٩٧٥ ج٢ ص ٦٦١)، والنسائى (٤/ ٩٤) فى الجنائز، باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين.

من المؤمنين، والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية»[١].

وكان يقرأ وقت الزيارة من نوع الدعاء، الذى كان يقرؤه فى صلاة الميت، وقد ذكرناه فيما تقدم، وكانت العادة أن يعزى أهل الميت ويأمرهم بالصبر، ولم تكن العادة أن يجتمعوا للميت، ويقرأ له القرآن ويختموه عند قبره، ولا فى مكان آخر، وهذا المجموع بدعة ومكروه، ولم يكن من عادة أهل الميت، أن يرسلوا للناس طعاما، بل كان يأمر الناس أن يرسلوا لأهل الميت طعاما لأنهم من المصيبة، فى شغل كاف.

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الجنائز، باب مايقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها حديث رقم (٩٧٥ ج٢ ص ٦٧١)، والنسائى (٤/ ٩٤) فى الجنائز، باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين.

فصل

الصلاة أثناء معارك الرسول ﷺ

كان إذا دخل وقت الصلاة فى حال القتال، والعدو إلى جانب القبلة، تقدم ﷺ واصطفت الأصحاب عقبه، وشرعوا فى الصلاة، وركعوا بجملتهم، ورفعوا الرؤوس من الركوع بجملتهم، ثم أخذوا فى السجود بعد هذا، سجد معه أهل الصف الأول، واستقام أهل الصف الثانى، تجاه العدو، حتى إذا فرغ النبى ﷺ وأهل الصف الأول، من الركعة الأولى، وقاموا إلى الركعة الثانية، هناك يسجد أهل الصف الثانى، ثم يقومون، ويتقدمون إلى مكان أهل الصف الثانى، سجدتا الركعة الثانية، ليحصل لكلتا الطائفتين فضيلة الصف الأول، وليحصل لأهل الصف الثانى مع النبى ﷺ ـ كما حصل لأهل الصف الأول[1]ـ سجدتا الركعة الأولى، فيتساويان فى الفضيلة، وذا غاية العدل، فإذا جلس فى التشهد، سجد أهل الصف المؤخر، ثم لحقوه فى التشهد وسلم المجموع بالاتفاق.

وأما إذا لم يكن العدو فى جهة القبلة، جعل الناس طائفتين: طائفة تجاه العدو، وطائفة معه، وصلوا مع النبى ﷺ، ثم صاروا إلى مكان تلك الطائفة فأدركوا الركعة الثانية مع الرسول ﷺ، ثم سلم هو وقضى كل من الطائفتين ركعة بعد سلام الرسول ﷺ.

وفى بعض الأحيان كان يصلى بالطائفة الأولى ركعتين، فإذا تشهد خرج المأمومون من الصلاة وتوقف الرسول ﷺ فى التشهد، إلى أن تأتى الطائفة

---

(١) انظر صحيح البخارى فى كتاب المغازى، باب غزوة ذى الرقاع حديث رقم (٤١٢٩ ج٧ ص ٤٢١)، وصحيح مسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب (٥٧) صلاة الخوف حديث رقم (٨٤١ ج١ ص ٥٧٥)، وسنن أبى داود فى كتاب الصلاة، باب صلاة الخوف حديث رقم (١٢٣٧ ج٢ ص١٢ ـ ١٣)، والترمذى فى أبواب الصلاة، باب من ... يقوم صف مع الإمام.. حديث رقم (٥٦٥ ج٢ ص ٤٥٥)، والنسائى (٣/ ١٧٠ ـ ١٧١) فى صلاة خوف، ومالك فى كتاب صلاة الخوف (١) صلاة الخوف حديث رقم (٢ ج١ ص ١٨٣ ـ ١٨٤).

الأخرى، فيصلى بهم ركعتين، ويسلموا جميعا، فيكون قد صلى ﷺ أربعا، وهم ركعتين، وحينا كان يصلى بكل طائفة ركعتين مستقبلا ويسلم، وحينا كان يصلى بكل طائفة ركعة.

والطائفة الأولى يخرجون من الصلاة بعد تمام ركعة، وتأتى الطائفة الأخرى، فيصلون مع الرسول ﷺ، ويخرجون معه من الصلاة، فتكون طائفة قد صلت ركعة، وصلى الرسول ﷺ ركعتين[١].

وهذه الوجوه كلها جائزة، وبعض علماء الحديث روى هذه الصلاة على خمسة عشر وجها، لكن أصح الوجوه هذا الذى بيناه، وبالله التوفيق.

---

(١) متفق عليه. رواه البخارى فى كتاب صلاة الخوف، باب صلاة الخوف حديث رقم (٩٤٢ ج٢ ص ٤٢٩)، ومسلم فى كتاب صلاة المسافرين باب (٥٧) حديث رقم (٨٣٩ ج١ ص ٥٧٤)، وأبو داود فى كتاب الصلاة، باب من قال يصلى بكل طائفة ركعة.. حديث رقم (١٢٤٣ ج٢ ص ١٥ ـ ١٦)، والترمذى فى أبواب الصلاة، باب ماجاء فى صلاة الخوف حديث رقم (٥٦٤ ج٢ ص ٤٥٣ ـ ٤٥٤). والنسائى (٣/ ١٧١ ـ ١٧٣) فى صلاة الخوف، ومالك فى صلاة الخوف، باب صلاة الخوف حديث رقم (٣ ج١ ص ١٨٤).

فصل

مراعاة النبى ﷺ لأحوال الفقراء فى الزكاة

كان من العادة النبوية فى الزكاة مراعاة الفقراء، مع مراعاة أصحاب الأموال والنظر فى مصلحة الجانبين، بأقصى الغاية، وأوجب الزكاة فى أصناف أربعة من المال، دورانها بين الخلق أكثر، واحتياج الناس إليها أوفر.

الصنف الأول: الزروع والثمار.

الصنف الثانى: بهيمة الأنعام من الإبل، والبقر، والغنم[1].

الصنف الثالث: الذهب والفضة اللذان بهما قوام معاش العالم.

الصنف الرابع: أموال التجارة من أى صنف، وأمر أن تؤدى فى السنة مرة، وفى الزرع والثمار يوم حصاده على الفور، وذا غاية العدل، وبحسب سعى الشخص فى تحصيل المال، وسهولته، ومشقته تفاوت الواجب، فيما بين صلى الله عليه وآله وسلم.

لاجرم أوجب الخمس، فى مال يحصل من غير مشقة، وتكلف، كما إذا وجد كنز، ولم يعتبر السنة فى ذلك، بل حال مايجده عليه اخراج الخمس، ومالابد فى تحصيله من مشقة وكلفة ما أوجب فيه نصف ذلك. كالزروع، والثمار الحاصل من ماء المطر، وأوجب نصف ذلك فيما يحتاج فى تحصيله إلى زيادة تكلف من دولاب أو بئر، أو شراء ماء.

وأوجب نصف ذلك فيما يحتاج إلى عمل، وتعب دائم، كارتكاب مشقة الأسفار، وركوب البحار، والترقب، والانتظار، وما أشبه ذلك.

وأيضا عين فى كل نوع من المال نصبا بحسب مصلحة الحال. ففى الفضة مائتا درهم، وفى الذهب عشرون مثقالا، وفى الغلات والثمار ثمانمائة مد

---

(١) انظر صحيح البخارى فى كتاب الزكاة، باب (٣٨) زكاة الغنم حديث رقم (١٤٥٤) فتح البارى (ج٣ ص ٣١٧ ـ ٣١٨)، وسنن أبى داود فى كتاب الزكاة، باب فى زكاة السائمة (ج٢ ص ٩٦، ٩٧)، والنسائى (٥/ ١٨ ـ ٢٣) فى الزكاة، باب زكاة الإبل.

شرعى، وذلك وقر خمس من الإبل العراب، وفى الغنم أربعون، وفى البقر ثلاثون، وفى الإبل خمس.

ولما لم يحتمل هذا النصاب المواساة من جنسه عين شاة، فى كل خمس من الإبل، أما إذا بلغ خمسا وعشرين احتمل أن يؤدى من جنسه، لاجرم يكون مخيرا بين خمس شياه وبعير، ومن علم أنه من أهل الزكاة أعطاه منها، وإن طلب شخص من الزكاة شيئا، ولم يعلم حاله أعطاه.

إما إذا علم غناه، أخبره أن لاحظ فيها لغنى، ولا لقوى مكتسب. وكانت العادة أنهم إذا أخذوا الزكاة من مدينة، أو قرية، صرفوها على فقراء ذلك المكان، فإن فضل شىء، أتوا به إلى حضرة الرسول ﷺ، فيصرفه لفقراء المدينة.

ولم يكن من العادة النبوية، أخذ الزكاة من الخيل، والرقيق، والبغال، والحمير، والبقول، والبطيخ، والخيار، والعسل، والفواكه، التى لاتدخل المكيال، ولاتصح للادخار، إلا الرطب، والعنب، فإنه كان يأخذ الزكاة منهما، لايفرق بين الرطب واليابس، ومن أتى بزكاته، إلى حضرة سيدنا، رسول الله ﷺ دعا له وقال: «اللهم بارك فيه وفى إبله»[1].

وكان ينهى المتصدق، أن يشترى صدقته، وكان يدوغ إبل الصدقة، بيده المباركة، وفى الغالب كان يدوغ على الأذن، وربما اقترض لمصالح الإسلام، وأحال على مال الصدقة، وفى أوقات الضرورة، كان يطلب زكاة سنتين تقدمة.

---

(١) أصله فى الصحيحين، أخرجه البخارى فى كتاب البخارى، باب (٦٤) صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة حديث (١٤٩٧ ج٣ ص ٣٦١)، وانظر حديث رقم (٤١٦٦ ـ ٦٣٣٢)، ومسلم فى كتاب الزكاة، باب الدعاء لمن أتى بصدقته حديث رقم (١٠٧٨ ج٢ ص ٧٥٦ ـ ٤٥٧)، وأبو داود فى كتاب الزكاة، باب دعاء المصدق لأهل الصدقة حديث رقم (١٥٩٠ ج٢ ص ١٠٦)، والنسائى (٥/ ٣١) فى كتاب الزكاة، باب صلاة الإمام على صاحب الصدقة، وابن ماجه فى كتاب الزكاة باب (٨) برقم (١٧٩٦ ج ١/ ٥٧٢).

فصل
فى زكاة الفطر

كان ﷺ يرسل مناديا، ينادى فى الأسواق، والمحلات، والأزقة من مكة: «ألا إن صدقة الفطر واجبة على كل مسلم ومسلمة ذكر أو أنثى حر أو عبد صغير أو كبير»[١] مدان من قمح، أو سواه صاعا من طعام».

وثبت فى سنن النسائى: أنه لما أفضت نوبة الخلافة إلى أمير المؤمنين، على رضى الله عنه. قال: أما إذا وسع الله عليكم فأوسعوا، اجعلوا صاعا من بر وغيره. وفى لفظ أبى داود: فلما قدم على رضى الله عنه، رأى رخص السعر. فقال: قد أوسع الله عليكم فلو جعلتموه صاعا من كل شىء.

ومن العادة النبوية، أن تؤدى زكاة الفطر، قبل صلاة العيد وكان يقول: «من أداها قبل صلاة الفطر فهى صدقة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات»[٢]، وفى الصحيحين عن ابن عمر، أنه قال: «وأمر رسول الله ﷺ بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة[٣].

وظاهر هذه الأحاديث، أنها بعد الصلاة لاتجزى، وكان يخص المساكين بهذه الصدقة، ولايقسمها على الأصناف الثمانية، ولم يرد بذلك أمر نصا، وبه قال بعض العلماء ويجوز الصرف للأصناف الثمانية.

---

(١) أخرجه الشيخان رواه البخارى فى كتاب الزكاة باب (٧٠) فرض صدقة الفطر حديث رقم (١٥٠٣ ج٣ ص ٣٦٧)، ومسلم فى كتاب الزكاة، باب زكاة الفطر على المسلمين من التمر والشعير حديث رقم (٩٨٤ ج٢ ص ٦٧٧)، وأبو داود فى سننه برقم (١٦١١، ١٦١٢ ج٢ ص ١١٢)، والترمذى برقم (٦٧٦ ج٣ ص ٦١)، والنسائى (٥/ ٤٧)، ومالك فى الموطأ حديث رقم (٥٢ ج١ ص ٢٨٤)، وابن ماجه برقم (١٨٢٥، ١٨٢٦ ج ١ ص ٥٨٤).

(٢) أخرجه الشيخان وغيرهما انظر صحيح البخارى (ج٣ ص ٣٦٧). ومسلم (ج٢ ص ٦٧٧) وأبى داود (ج٢ ص ١١٢).

(٣) رواه الجماعة وانظر صحيح البخارى (٣/ ٣٦٧)، ومسلم (ج٢ ص ٦٧٧) وسنن أبى داود (ج٢ ص ١١٢)، والترمذى (ج٣ ص ٦١) والنسائى (٥/ ٤٧) وابن ماجه (ج١ ص ٥٨٤، ٥٨٥).

وأما صدقة التطوع فإنه كان يحبها حبا شديدا، وكان يسر بأدائها، أشد من سرور الفقير بأخذها، وكان لايستكثر مايصرفه فى طريق الحق، بل يحسبه قليلا وما سأله أحد شيئا حاضرا إلا أجابه، ولم يعده كثيرا قل أو جل.

وكان يعطى عطاء من لايخاف الفقر، ولا يبالى بالعدم، وإذا رأى محتاجا أثره بطعامه وشرابه، وكان يتنوع فى العطاء والصدقة، فحينا يهب وحينا يتصدق، وحينا يهدى، وحينا يشترى شيئا، ويدفع ثمنه، ثم يهبه لبائعه، وحينا كان يقترض، ويؤدى أكثر من المبلغ، وحينا كان يشترى شيئا، ويؤدى أكثر من الثمن، وحينا كان يقبل الهدية وينعم بأضعافها، وكان الغرض من إيصال أنواع الإحسان إلى الخلق، مهما أمكن، وكان يأمر الناس بالصدقة، ويحرص عليها، وكان يدعو إلى السماحة والسخاوة بحاله ومقاله، بحيث أن البخيل الشحيح، إذا رآه أثر فيه وتخلق بالكرم، والبذل، وكل من خالطه وصاحبه، لم يكد يملك نفسه، حتى يغلبه الإحسان، والبذل، ولهذا لم يزل منشرح القلب، طيب النفس، منبسط الخاطر ﷺ.

فصل

فى أسباب انشراح صدر حضرة سيدنا رسول الله ﷺ الذى أنزلت فيه سورة (ألم نشرح لك صدرك) للإمتنان بتلك النعمة

ينبغى أن يعلم أن أجل أسباب انشراح الصدر هو: التوحيد. وبحسب كماله وتمامه، وقوته، وزيادته، يزيد انشراح الصدر. قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾[1] وقال الله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾[2] فلا جرم أن يكون التوحيد، والهداية، من أعظم أسباب انشراح الصدر، والشرك والضلالة من أعظم أسباب ضيق الصدر والقلب.

ومن جملة أسباب انشراح الصدر، نور يجعله البارى تعالى، فى قلب العبد، ضياء وذلك نور الإيمان، فمتى ماوقع فى قلب العبد، دخله الفرح، والسرور، والانشراح وسعة القلب، وظهر فيه.

وإذا فقد ذلك النور وقع فى ضيق القلب، وابتلى بالشدة، والمشقة، وقال ﷺ: «إذا دخلى النور القلب انفسح وانشرح» قالوا: وماعلامة ذلك

---

(١) سورة الزمر آية ٢٢. وروى أن هذه الآية نزلت فى على وحمزة رضى الله عنهما وأبى لهب وابنه وهما اللذان كانا من القاسية قلوبهم. وفى الكلام محذوف يدل عليه الظاهر. تقديره: كالقاسى القلب والمعرض عن أمر الله. «وشرح الله صدره» استعارة لتحصيله للنظر الجيد، والإيمان بالله. و«النور» هداية الله، وهى أشبه شىء بالضوء. قال ابن مسعود رضى الله عنه: قلنا يارسول الله كيف انشراح الصدر؟ قال: «إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح» قلنا: وماعلامة ذلك؟ قال: «الإنابة إلى دار الخلود، والتجافى عن دار الغرور، والتأهب للموت» أخرجه ابن مردويه عن ابن مسعود رضى الله عنه، وأخرجه الحكيم الترمذى فى «نوادر الأصول» عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رجلا قال: يانبى الله أى المؤمنين أكيس؟ قال «أكثرهم ذكرا للموت». ثم أخرج عن أبى جعفر عبدالله بن المسور، عن رسول الله ﷺ نحوه. وزاد فيه «أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه» الدر المنثور.

(٢) سورة الأنعام الآية رقم ١٢٥.

يارسول الله؟ قال: «الإنابة إلى دار الخلود، والتجافى عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله»[1].

وينبغى أن يعلم أن نصيب الشخص، من انشراح الصدر، وسعة القلب، بحسب نصيبه من كثرة النور، ومن هذه الجهة للنور المحسوس أيضا من فرح الخاطر، وشرح الصدر، حظ وافر، والظلمة المحسوسة بعكس ذلك.

ومن جملة أسباب ذلك أيضا العلم، فإن العلم يجعل كل زاوية من زوايا القلب، أوسع، وأشرح من السماء والأرض، وكلما زاد علم الشخص، زاد انشراح صدره، وليس المراد من هذا كل علم، بل العلم الموِرث من الأنبياء. فإن الأنبياء لم يورثوا دينارا، ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر، أشار إلى ذلك العلم.

وأهل ذلك أوسع قلبا، وأطيب عيشا، وأحسن خلقا، من سائر الخلق ومن هذا العلم تتولد الإنابة، ومحبة الحق، وللمحبة فى شرح الصدر مدخل عظيم، وكلما نمت المحبة، وقويت، زاد شرح الصدر، وكمل، وأعظم أسباب ضيق الصدر وأقوى موجباته الإعراض عن الحق، وتعلق القلب بغير ذلك الجناب، والغفلة عن ذكر الحق، ومحبة غيره.

ومن أحب غير الحق عذب به، وحبس معه، ولم يك فى العالم أسوأ حظا منه، ولا أمر عيشة ولا أكثرهما، لأن المحبة محبتان:

إحداهما: سرور النفس، ولذة القلب، ونعيم الروح، ودواء الهموم، وهى محبة الحق سبحانه وتعالى بكل قلب.

---

(١) أخرجه الطبرانى فى تفسيره (ج١٢ ص ١٠٠، ١٠١) من طريقين عن عبدالله بن مسعود، وكلاهما ضعيف، وأورده ابن الجوزى فى تفسيره (ج٣ ص ١١٩ ـ ١٢٠)، وابن كثير (ج٣ ص ١٧٤)، بعد أن ذكره من طريق مرسل عن أبى جعفر الهاشمى، وقال: فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضا. وانظر تعليق الأستاذ محمود شاكر على الحديث فى تفسير الطبرى (ج١٢ ص ٩٩، ١٠٠).

والأخرى: عذاب الروح، وهم النفس، وحبس القلب، وضيق الصدر، ومادة كل بلاء وهى محبة غير الحق، وأيضا جملة أسباب شرح الصدر: دوام ذكر الحق فى حال، وأيضا الإحسان إلى خلق الله، مهما أمكن من جار، ومال، وغير ذلك، وأيضا الشجاعة، وأيضا تطهير القلب، من الصفات المذمومة.

والرسول ﷺ كان صاحب الكمال، فى مجموع هذه الخصال، ومن جعل اتباعه قصده، يكون أكمل الخلق، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

باب
صيام النبى صلى الله عليه وسلم

فصل

صيام النبى ﷺ

كان أجود الناس وأجود مايكون فى رمضان، وكان يستغرق أوقاته بالذكر والصلاة والاعتكاف، والتلاوة، ويخص هذا الشهر العظيم بأنواع العبادات. وكان يواصل فى بعض لياليه، وينهى غيره عن الوصال، فقالوا: أتواصل وتنهانا يارسول الله؟ قال: «لست كهيئتكم، إنى أبيت عند ربى» وفى لفظ: «أظل عند ربى يطعمنى ويسقينى»(١).

وللعلماء فى ذا الطعام أقوال:

أحدها: أنه طعام وشراب محسوس، فإن هذا حقيقة اللفظ، وليس فى الظاهر مايوجب العدول عن الحقيقة فتعين الحمل على الحقيقة.

الثانى: أن المراد غذاء روحانى، يحصل من المعارف، ولذة المناجاة، وفيضان اللطائف الإلهية الواردة على قلبه الكريم وتوابعها من نعيم الأرواح، ومسرة النفس، والروح والقلب، ونور البصر، ويحصل بذلك من القوة، والمسرة، مايستغنى به عن الغذاء الجسمانى.

لهـا أحـاديث مـن ذكـراك تـشغلها ... عـن الشـراب وتلهها عـن الزاد
لهـا بـوجـهـك نــور تـستضـئ بـه ... ومن حديثك فى أعقابها حادى
إذا اشتكى من كلال السير واعدهـا ... روح القـدوم فتحيـا ضد ميعـاد

وهذا القول الثانى هو المختار، لأنه يتصور الوصال لو حمل على حقيقة الطعام والشراب بل يبطل الصيام.

(١) متفق عليه رواه البخارى فى كتاب الصوم، باب التنكيل لمن أكثر الوصال حديث رقم (١٩٦٥ ج٤ ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦)، ومسلم فى كتاب الصيام، باب النهى عن الوصال فى الصوم، حديث رقم (١١٠٣ ج٢ ص ٧٤١ ـ ٧٧٥)، والموطأ فى كتاب الصيام، باب النهى عن الوصال فى الصيام حديث رقم (٣١ ج١ ص ٣٠١).

وكان من العادة أن لايشرع فى صيام رمضان إلا بعد رؤية الهلال على التحقيق، أو بشهادة الواحد العدل كما صام مرة بشهادة ابن عمر، ومرة بشهادة أعرابى، واكتفى بمجرد اختبارهما، ولم يكلفهما لفظ الشهادة، فإن لم ير ولم يشهد به أتم شعبان ثلاثين يوما[1]، ثم صام وأمر الناس أن يصوموا بشهادة شخص واحد، ويفطروا بشهادة شخصين، وكان يعجل الفطر[2] ويواظب على السحور ويؤخره، وأمرالأمة بالسحور وتأخيره، وأمر أن يفطر الصائم بثلاث رطبات، فإن لم يجد فثلاث تمرات، فإن لم يجد فالماء.

وهذا غاية الشفقة على الأمة، لأن الطبيعة أوآن خلو المعدة، تقبل على الطعام أتم إقبال، فإذا كان الحلو أول واصل إلى المعدة ينتفع البدن بقبوله، غاية الانتفاع، على الخصوص القوة الباصرة، فإن انتفاعها بالحلو يكون أزيد من انتفاع سائر القوى، ولما كان التمر حلو الحجاز، وطبائعهم قد نشأت عليه، كان انتفاعهم به أزيد من انتفاعهم بغيره من أنواع الحلواء من جهة الطب.

وأما وجهة الشرع، وأسرار ذلك، فالحق جل شأنه جعل تمر المدينة ترياقا، ودواءً لكل الهموم، ببركة سيد العالم، صلوات الله عليه وسلامه، ومن ثم قال: «إن فى عجوة العالية شفاء من كل داء وأنها ترياق أول البكرة»[3] وقال فى موضع آخر «من تصبح بسبع تمرات مما بين لابتيها لن يضره ذلك اليوم ولاسحر»[4].

---

(١) انظر صحيح البخارى فى كتاب الصيام باب (١١) حديث رقم (١٩٠٩ ج٤ ص ١١٩).

(٢) متفق عليه صحيح البخارى فى كتاب الصوم باب (٤٥) تعجيل الإفطار حديث رقم (١٩٥٧ ج٤ ص ١٩٨)، ومسلم فى كتاب الصيام باب فضل السحور وتأكيد استحبابه حديث رقم (١٠٦٨ ج٢ ص ٧٧١)، والترمذى برقم (٦٩٩ ج٣ ص ٨٢)، ومالك فى كتاب الصيام، باب ماجاء فى تعجيل الفطر حديث رقم (٦ ج١ ص ٢٨٨).

(٣) انظر صحيح ابن خزيمة وابن حبان ومستدرك الحاكم، وسبل السلام (ج٢ ص ٣١٦).

(٤) انظر المصادر المتقدمة.

وليس يظهر للأطباء الرسميين فى هذا المقام غير التحير، ودوران الرأس، وسر ذلك يعلمه أطباء القلوب، وفى وقت الإفطار، كان يقول هذا الدعاء: «اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبل منا إنك أنت السميع العليم»(١)، وفى إسناده مقال.

وثبت فى سنن أبى داود أنه كان يقول: «اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت»(٢) وجاء فى بعض الروايات أنه كان يقول: «ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر»(٣).

وكان ينهى الصائم عن الرفث، وعن الجهل، وقال: «إن قاتله أحد أو شاتمه فليقل إنى صائم»(٤) وللعلماء فى هذه المسألة ثلاثة أقوال:

قال بعضهم: السنة أن يقول فى جوابه هذا اللفظ بلسانه وذا أظهر الأقوال.

قال بعضهم: يقول بقلبه ويذكر نفسه أنه صائم لئلا يشتغل بالجواب.

قال بعضهم: إن كان صومه فرضا يقول بلسانه وإن كان سنة يقول بقلبه ليكون أبعد عن الرياء.

---

(١) إسناده ضعيف كما ذكر المصنف انظر نيل الأوطار (ج٤ ص ٣٢١).

(٢) رواه أبو داود فى سننه. وأورده الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٤ ص ٣٢٠).

(٣) رواه الطبرانى فى معجمه الكبير. والدار قطنى من حديث ابن عباس بسند ضعيف، ورواه أبو داود والنسائى والحاكم وغيرهم عن ابن عمر، وأورده الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٤ ص ٢٢١).

(٤) متفق عليه رواه البخارى (ج٤ ص ٨٨، ٨٩، ١٠١)، ومسلم برقم (١١٥١)، وأخرجه مالك فى الموطأ (ج١ ص ٣١٠)، وأبو داود برقم (٢٣٦٣)، والنسائى (ج٤ ص ١٦٣) وذكره النووى فى رياض الصالحين (ص ٤٨٦).

فصل

إفطار الرسول ﷺ خلال رمضان

كان ﷺ إذا سافر فى رمضان أفطر فى بعض الأحيان وصام فى بعضهما، وخيّر الناس فى الصوم والإفطار، وكان إذا اقترب من العدو أمر بالإفطار، وإن وقع مثل هذا فى الحضر، وإن كان فى إفطار العسكر تقوية على العدو حل الإفطار، وكان من العادة النبوية فى ليالى رمضان، أنه إن احتاج إلى الغسل، اغتسل فى الليل، وفى بعض الليالى كان يؤخر ويغتسل بعد الصبح، وكان يقبّل أمهات المؤمنين فى أيام رمضان.

والحديث الذى رواه ابن ماجه سئل النبى ﷺ عن رجل قبل امرأته وهما صائمان؟ فقال: «قد أفطر»[1] إسناده ليس بثابت، ولم يبلغ درجة الصحة.

ومن أكل الطعام أو شرب ناسيا لم يأمره بالقضاء، وكان يقول: «إن الله هو الذى أطعمه وسقاه» وكان يعد هذا الأكل والشرب منزلة أكل النائم وشربه، وكان يحتجم فى رمضان ويستاك، وكان لايبالغ فى المضمضة والاستنشاق، ولم يصح فى النهى عن السواك والاكتحال حديث، وورد فى هذا الباب حديثان: «اكتحل رسول الله ﷺ وهو صائم[2]»، والآخر قال فى الكحل: «ليتقه الصائم»[3] وهذان الحديثان ضعيفان، لايصلحان للاحتجاج.

---

(١) ورد فى الصحيحين مايخالف هذا الحديث الضعيف الذى لم تصح نسبته لرسول الله ﷺ، انظر: صحيح البخارى فى كتاب الصوم باب (٢٤) القبلة للصائم حديث رقم (١٩٢٨ ج٤ ص ١٥٢)، ومسلم فى كتاب الصيام باب (١٢) بيان أن القبلة فى الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته حديث رقم (١١٠٦ ج٢ ص ٧٧٦، ٧٧٧)، وابن داود برقم (٢٣٨٢ ـ ٢٣٨٣ ج٢ ص ١١٣)، والترمذى (ج٣ ص ١٠٦)، والموطأ برقم (١٤ ج١ ص ٢٩٢).

(٢) رواه ابن ماجه باسناد ضعيف فى كتاب الصيام باب (١٧) ماجاء فى السواك والكحل للصائم حديث رقم (١٦٧٨ ج١ ص ٣٦)، وقال الترمذى: لايصح فى هذا الباب شىء.

(٣) أخرجه أبو داود عنه ﷺ قال فى الأثمد: «ليتقه الصائم» فقال أبو داود: قال لى يحيى بن معين: هو منكر، وذكره الأمير الصنعانى فى سبل السلام (ج٢ ص ٣٢٦).

فصل
فى صيام النافلة

كان رسول الله ﷺ يصوم نافلة، حتى يظنوا أنه لايفطر، ويفطر حتى يظنوا أنه لايصوم نافلة بعدها، وكان لايدع شهرا خاليا من الصيام، ومايفعله العوام من صيام الأشهر الثلاثة لم يرد فيه شئ.

ونهى عن صيام رجب، وقال فى سنة شوال: «ومن صام رمضان واتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر»[١]، وكان يصوم عاشوراء البتة. ولصيام عاشوراء ثلاث مراتب:

أفضلها وأكملها أن يصوم ثلاثة أيام، العاشر، ويوم قبله، ويوم بعده.

المرتبة الثانية: أن يصوم التاسع، والعاشر.

المرتبة الثالثة: أن يصوم العاشر على انفراده، وأما صوم التاسع على انفراده، فإنه لايجزى عن السنة، وأما يوم عرفة، فإن كان فى الحج أفطر، ليتقوى على الدعاء والاجتهاد، ولأن الافطار فى السفر أفضل.

وأيضا فإنه كان يوم الجمعة، وإفراد صوم الجمعة مكروه، وأيضا فإن يوم عرفة لأهل الموقف عيد، فانهم كانوا يجتمعون فيه، كما يجتمع غيرهم من مواطن الأعياد.

وورد فى الحديث النبوى «ويوم عرفة، ويوم النحر، وأيام منى عيدنا أهل[٢] الإسلام» وكان فى بعض الأوقات يصوم يوم السبت والأحد، وغرضه مخالفة اليهود والنصارى.

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الصيام باب استحباب صوم ستة أيام من شوال اتباعا لرمضان حديث رقم (١١٦٤ ج٢ ص ٨٢٢)، وأبو داود فى كتاب الصوم، باب فى صوم ستة أيام من شوال، حديث رقم (٢٤٣٣ ج٢ ص ٣٢٤)، والترمذى فى كتاب الصوم، باب ماجاء فى صيام ستة أيام من شوال حديث رقم (٧٥٩ ج٣ ص ١٣٢).

(٢) أخرج الشيخان مثله، رواه البخارى فى كتاب الصوم باب صوم يوم النحر حديث رقم (١٩٩٥ ج٤/ ٢٤٠، ٢٤١)، ومسلم فى كتاب الصيام باب النهى عن صوم يوم الفطر ويوم الأضحى حديث رقم (٨٢٧، ١٤٠ ج٢ ص ٧٩٩).

وفى حديث أم سلمة حيث قالوا: أى الأيام كان رسول الله ﷺ أكثرنا صياما؟ قالت: يوم السبت والأحد. ويقول: «إنهما عيد للمشركين، فأنا أحب أن أخالفهم»(١) ولم يكن من العادة النبوية، دوام الصيام بل نهى عن صوم الدهر، قال فى حق الصائم: «ولاصام ولا أفطر»(٢).

كان فى غالب الأيام، إذا دخل بيته، سأل: «هل عندكم مايؤكل؟» فإن قالوا: لا، قال: «فإنى صائم»، ونوى الصيام، وكان فى بعض الأوقات ينوى صوم التطوع ولايتم الصيام، بل يفطر، وقال: «من نزل على قوم، فلايصومن تطوعا إلا بإذنهم» لكن طعنوا فى إسناد هذا الحديث، وكان يكره تخصيص يوم الجمعة بصوم، ويقول: «إنه يوم عيد فلا تصوموه إلاَّ أن يتقدمه يوم أو يعقبه يوم»(٣) فلا يكره إذا وقد بين سر هذا فى باب الجمعة.

فصل

اعتكاف النبى ﷺ

لما كان الاعتكاف سبب جمعية الخاطر والانقطاع عن الغير إلى الحق، والإقبال على العبادات، وموجب البعد عن الخلق، وواسطة لزوال التفرقة، والهموم المغايرة، وهذه المقاصدة فى حالة الصيام أكمل وأفضل.

لاجرم أنه ﷺ بين للأنام، تشريع الاعتكاف، فى أفضل أيام الصيام، وهى العشر الأواخر، من شهر رمضان، ولم يرد أنه اعتكف بغير صيام أبدا،

(١) أخرجه النسائى وصححه ابن خزيمة، وهذا لفظه، وأورده الأمير الصنعانى فى سبل السلام (ج٢ ص ٣٥٠).

(٢) أخرجه الشيخان بلفظ: «لاصام من صام الأبد» انظر صحيح البخارى فى كتاب الصوم باب حق الأهل فى الصوم حديث رقم (١٩٧٧ ج٤ ص ٢٢١)، ومسلم فى كتاب الصيام باب النبى عن صوم الدهر حديث رقم (١١٥٩) حديث الباب (١٨٦ ج٢ ص ٨١٤، ٨١٥).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخارى فى كتاب الصوم باب صوم يوم الجمعة حديث رقم (١٩٨٥ ج٤ ص ٢٣٢)، ومسلم فى كتاب الصوم باب كراهية صيام يوم الجمعة منفردا حديث رقم (١١٤٤ ج٢ ص ٨٠١)، وأبو داود فى كتاب الصوم باب النهى أن يخص يوم الجمعة بصوم حديث رقم (٢٤٢٠ ج٢ ص ٣٢٠)، والترمذى برقم (٧٤٣ ج٣ ص ٣٢٠).

وكانت عائشة رضى الله عنها تقول: لا اعتكاف إلا بصوم، واعتكف فى جميع الرمضانات فى العشر الأواخر[١]، ولم يفته إلا رمضان واحد قضى اعتكافه فى شوال، واعتكف مرة فى العشر الأول، ومرة فى العشر الأوسط، ومرة فى العشر الأخير.

ولما علم أن ليلة القدر فى ذا العشر، واظب اعتكافه، إلى آخر الحال، وكان إذا قصد الاعتكاف، صلى الصبح ودخل معتكفه، وهو خيمة كانت تنصب له فى المسجد ليختلى فيها، وكان لايأتى إلا لقضاء الحاجة[٢]. وكان فى بعض الأحيان يخرج رأسه من المسجد إلى حجرة عائشة رضى الله عنها لترجل له رأسه[٣] وتغسله.

ومن أراد من أمهات المؤمنين زيارته ﷺ فى حال الاعتكاف جاءت إليه وعند قيامها للرجوع كان يقوم معها، ويعانقها ويقبلها. وهذا المجموع كان فى الليل، وكان لايباشر فى مدة الاعتكاف، وكان إذا أراد الاعتكاف يوضع له سرير فى معتكفه. ويفرش له عليه.

وكان إذا دخل منزله لقضاء الحاجة، لايشتغل بأحد، وكان يمر فى بعض الأحيان على المريض من أهل بيته، فلا يقف عنده ولايسأل عن حاله، وكان يعتكف فى كل عام عشر أيام، وفى العام الأخير اعتكف عشرين يوما[٤]. وكان يعرض القرآن على جبريل فى كل عام مرة، وفى العام الأخير عرضه مرتين. وبالله تعالى التوفيق.

---

(١) متفق عليه رواه البخارى فى كتاب الاعتكاف باب الاعتكاف فى العشر الأواخر حديث رقم (٢٠٢٦ - ج ٤ ص ٢٧١)، ومسلم فى كتاب الاعتكاف باب اعتكاف العشر الاواخر من رمضان حديث رقم (١١٧٢) حديث الباب رقم (٥ - ج ٢ ص ٨٣١)، وأبو داود برقم (٢٤٦٢ - ج ٢ ص ٣٣١)، والترمذى (١٥٧/٣)، والنسائى (٢٦ ص ٤٤).

(٢) متفق عليه انظر صحيح البخارى (ص ٢٧٣ حديث رقم (٢٠٢٩)، ومسلم (ج١ ص ٢٤٤) برقم (٧٩٧).

(٣) متفق عليه انظر نفس المصدرين السابقين.

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه (ج٤ ص ٢٤٥).

باب
حج النبي صلى الله عليه وسلم

فصل

حج النبى ﷺ

أجمعت جماهير العلماء على أنه حج بعد الهجرة حجة، وتلك حجة الوداع، ولا خلاف أنها كانت فى السنة العاشرة من الهجرة، وأما قبل الهجرة، فثبت فى جامع الترمذى: أنه حج حجتين، ونقل صاحب المحلى أنه زاد على ثلاث وأربع، لكن لم يحفظ العدد.

ولما فرض الحج فى العام التاسع، اشتغل بتجهيز أسباب السفر فى الفور، وأما قوله تعالى: ﴿وأتموا الحج والعمرة﴾[1] الآية فإنها نزلت فى اليوم السادس، وهذا لايدل على فريضة الحج والعمرة بل هو أمر باتمام الحج والعمرة بعد الشروع فيه.

فصل

فى سياق حج الرسول ﷺ

لما عزم ﷺ على الحج أعلم أصحابه بذلك، فاستعدوا للسفر بأجمعهم، ووصل الخبر إلى القرى، والضياع القريبة من المدينة، فتجهز المسلمون بأجمعهم نحو المدينة، وفى حال المسير إلى مكة تلاحق الناس من كل الأطراف، حتى تجاوزوا الحصر والعد، وسافر فى يوم الخميس أو السبت، الرابع والعشرين من ذى القعدة بعد أن صلى الظهر فى مسجد المدينة.

وكان خطب قبل ذلك وعلّم الناس شرائط الحج وأركانه وآدابه، وكان ذلك فى يوم الجمعة، وذا يؤيد أن السفر كان يوم السبت. لكن ورد فى الحديث الصحيح: «أنه كان يحب إنشاء السفر فى يوم الخميس». وثبت فى

(١) سورة البقرة آية ١٩٦.

صحيح البخارى: «ماكان رسول الله ﷺ يخرج فى سفر إذا خرج إلا فى يوم الخميس»[(١)].

وبعد أن صلى الظهر رجّل رأسه ودهنه، وشد إزاره، وسار بين الصلاتين حتى نزل بذى الخليفة. وقصر صلاة العصر هناك. وبات بها. وصلى المغرب والعشاء والصبح والظهر. فتم بها خمس صلوات، واستصحب معه أمهات المؤمنين كلهن، وطاف عليهم فى تلك الليلة، واغتسل لصلاة الصبح، ثم اغتسل بعد الظهر أيضا للاحرام، واستعمل الخطمى[(٢)] والأشنان[(٣)]. وقدمت إليه عائشة رضى الله عنها، طيبا مركبا من أجزاء طيبة الرائحة، وفيه مسلك فطيب منه بدنه، ورأسه، حتى كان يرى وبيض المسك فى مفرقه المبارك ولحيته الشريفة بعد الإحرام[(٤)].

ثم بعد ذلك لبس رداء إحرامه، وصلى الظهر قصرا، وأحرم فى المكان الذى صلى فيه، ولم ينقل أنه صلى قبل الإحرام صلاة خاصة لأجل الإحرام، غير صلاة فرض الظهر وقبل الإحرام قلد البدنة بنعلين، وشق سنامها من الجانب الأيمن، ومسح الدم.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخارى (ج٦ ص ٨٠)، وأبو داود برقم (٢٦٠٥) وذكره النووى فى رياض الصالحين (ص ٤٠٧)، واختلف الرواة فى اسم اليوم الذى خرج فيه ﷺ فقد ذكر ابن حزم أنه كان يوم الخميس، ونقل آخرون أنه كان يوم الجمعة، والصحيح مارواه ابن سعد فى طبقاته أن ذلك كان يوم السبت وهو ماجزم به ابن حجر فى فتح البارى (ج٨ ص ٧٤).

(٢) جاء فى لسان العرب: الخطمى ـ بكسر الخاء ـ والخطمى ـ بفتح الخاء ـ: ضرب من النبات يغسل به وفى الصحاح يغسل به الرأس. قال الأزهرى: هو بفتح الخاء. ومن قال: خطمى بكسر الخاء فقد لحن. وفى الحديث: أنه كان يغسل رأسه بالخطمى وهو جنب يجتزىء بذلك، ولايصب عليه الماء أى أنه كان يكتفى بالماء الذى يغسل به الخطمى وينوى به غسل الجنابة. ولايستعمل بعده ماء آخر يخص به الغسل. لسان العرب (ج١ ص ٨٦٢).

(٣) الشن: والشفة: والخلق من كل آنية صنعت من جلد. وجمعها: شنان. وحكى اللحيانى: قربة أشنان كأنهم جعلوا كل جزء منها شنا. ثم جمعوا على هذا. ابن منظور لسان العرب (ج٢ ص ٣٧١).

(٤) متفق عليه أخرجه البخارى فى كتاب الحج باب الطيب عند الإحرام حديث رقم (١٥٣٩ ج٣ ص ٣٩٦)، ومسلم فى كتاب الحج باب الطيب للمحرم عند الإحرام رقم (١١٨٩ ج٢ ص ٨٤٦)، وأبو داود برقم (١٧٤٥ ج٢ ص ١٤٤)، والترمذى برقم (٩١٧ ج٣ ص ٢٥٩) والموطأ برقم (٨٠٧ ج١ ص ٣٢٨)، والنسائى (٥/١٣٧).

واختلف فى إحرامه وكيفية تلبيته، فأكثر الأحاديث الصحيحة مصرحة: بأنه أحرم بحج وعمرة، وقال: «أتانى آت من ربى عز وجل، فقال: صل فى هذا الوادى المبارك، وقل عمرة فى حجة»[(١)] والأحاديث الصريحة فى هذا المعنى تزيد على عشرين.

وأيضا وردت أحاديث كثيرة، شهدت بأن إحرامه كان بإفراد الحج، وفى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ أهل بحج مفردا، وثبت فى الصحيحين: «خرجنا مع رسول الله ﷺ لانذكر إلا الحج»[(٢)].

وعند مسلم عن ابن عمر: «أهللنا مع رسول الله ﷺ بالحج مفردا»[(٣)] وورد فى التمتع أحاديث صحيحة، وطريق التوفيق بين تلك الأحاديث، هو أن الإحرام كان بالحج أولا، ثم أدخل العمرة فى الحج فصار قارنا، وقال دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة[(٤)].

والذى قال بالتمتع اللغوى: وهو الانتفاع، والالتذاذ، ولاشك أن الانتفاع، والالتذاذ حاصل فى القرآن، لأنه يكتفى عن نسكين بنسك واحد، ولايحتاج إلى إفراد عمل لكل واحد من الحج والعمرة.

وأما أصحابه رضى الله عنهم فقد كانوا على ثلاثة أقسام:

قسم أحرموا بالحج والعمرة أو بمجرد الحج، ومعهم هدى، وبقوا على إحرامهم.

وقسم ثان لم يكن معهم هدى، وأحرموا بالحج، فأمر الرسول ﷺ بأن يجعلوا الحج عمرة، يعنى يقلبون الإحرام بالحج، إلى الإحرام بالعمرة. ويتممون أفعال العمرة، قبل يوم عرفة. ثم يحرمون بالحج من مكة ويمضون إلى عرفة.

وقسم ثالث هم جماعة لم يكن معهم هدى وأحرموا بالحج، فأمرهم الرسول ﷺ أن يقلبوا الإحرام إلى العمرة، وهذا هو فسخ الحج والعمرة.

(١) متفق عليه أخرجه البخارى برقم (٩١٧ ج٣ ص ٤١٩)، ومسلم برقم (١٢١١ ج٢ ص ٨٧٠، ٨٧١).

(٢) انظر صحيح مسلم فى كتاب حجة النبى ﷺ حديث رقم (١٢١٨ ج٢ ص ٨٨٦ - ٨٩٢)، وأبى داود برقم (١٩٠٥ ج٢ ص ١٨٢)، والنسائى (ج٥ ص ١٤٣ - ١٤٤)، وابن ماجه برقم (٣٠٧٤ ج٢ ص ١٠٢٣).

(٣) انظر حديث حجة رسول الله ﷺ من روايه جابر فى صحيح مسلم: (٣٧/٤).

(٤) انظر صحيح البخارى حديث رقم (٣١٩ ج١ ص ٤١٩)، ومسلم حديث رقم (١٢١١ ج٢ ص ٨٧١).

فصل

صفة حج الرسول ﷺ

وقع السهو لخمس من الطوائف فى صفة حج رسول الله ﷺ:

الطائفة الأولى: هم القائلون بأنه حج مفردا، ولم يعتمر إذ ذاك[١].

الطائفة الثانية: هم القائلون بأنه تمتع بالعمرة، ثم أحل ثم أحرم بالحج.

الطائفة الثالثة: هم القائلون بأنه تمتع ولم يحل من احرامه لأنه ساق الهدى.

الطائفة الرابعة: هم القائلون بأنه كان قارنا قرانا جمع فيه بين طوافين وسعيين.

الطائفة الخامسة: هم القائلون بأنه كان مفردا، ثم بعد ذلك أحرم بالعمرة من التنعيم.

وأما إحرام الرسول ﷺ فوقف فى سهو، لخمس طوائف أيضا:

الطائفة الأولى: هم القائلون بأنه لبى بعمرة مجردة واستمر على ذلك.

الطائفة الثانية: هم القائلون بأنه لبى بالحج مفردا واستمر عليه.

الطائفة الثالثة: هم القائلون بأنه لبى بعمرة ثم أدخل عليها الحج.

الطائفة الرابعة: هم القائلون بأنه لبى بالحج مفردا ثم بعد ذلك أدخل عليه العمرة وهذا من خصائصه.

الطائفة الخامسة: هم القائلون بأن إحرامه كان مطلقا، ولم يعين نسكا ثم بعد ذلك جاء الوحى بالتعيين. ولما صلى الظهر أحرم، ولبى، ثم ركب ناقته، ولما انبعثت ناقته[٢] لبى أيضا ثم لما صعد على طرق البيداء لبى أيضا، وكان حينا يقول لبيك بحجة وعمرة، وحينا يقول لبيك بحجة.

---

(١) انظر صحيح البخارى رقم (٣١٩ ج١ ص ٤١٩)، ومسلم برقم (١٢١١ ج٢ ص ٨٧٠، ٨٧١).

(٢) انظر صحيح مسلم (ج٤ ص ٣٧) حديث حجة رسول الله ﷺ.

وكان يقول: «لبيك اللهم لبيك، لبيك، لاشريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لاشريك لك، وكان يرفع صوته ليسمع جميع الصحابة ويقول: ارفعوا أصواتكم»[١].

وكان راكبا على بعير، عليه رجل وليس عليه شقدف، ولامحارة، ولامحمل، ولا هودج، ولامحفة، وداوم يلبى على هذه القاعدة، والصحابة يزيدون، وينقصون فى التلبية، ولم ينكر عليهم الرسول ﷺ، وجمع شعر رأسه ﷺ فى مدة الإحرام، ولبده بالخطمى، والغسل - بكسر الغين المعجمة - وهو عبارة عن دواء يجتمع به الشعر[٢].

ولما وصل إلى منزل الروحاء رأى حمار وحش مجروحا فقال «دعوة فسيأتى الذى جرحه عن قريب، فأتى على الفور وقال: يارسول الله إفعلوا بصيدى ماشئتم، فأمر أبا بكر فقسمه على الرفاق، ثم وصل الى منزل اثابة - وهو منزل بين الروية والعرج - رأى ظبيا نائما فى ظل شجرة فأمر شخصا أن يكون بالقرب منه، لئلا يتعرض له أحد من المحرمين، ولما بلغ العرج تخلف غلام لأبى بكر معه جمل، هو زاملة الرسول وأبى بكر، فانتظروه زمانا، ولما وصل لم يروا الجمل معه، فقال أبو بكر: أين البعير؟ قال: فقدته، فقام اليه أبو بكر وضربه على سبيل التأديب، وهو يقول: جعلناك على بعير واحد فضيعته، والرسول ﷺ يبتسم ويقول: أنظر إلى هذا المحرم مايصنع. ولم يزد

(١) رواه مسلم فى كتاب الحج باب حجة النبى ﷺ حديث رقم (١٢١٨ ج٢ ص ٨٨٦ - ٨٩٢)، وأبو داود فى كتاب المناسك باب صفة حج النبى ﷺ حديث رقم (١٩٠٥ /٢ /١٨٢) والنسائى (ج٥ ص ١٤٣ - ١٤٤) وابن ماجه فى كتاب المناسك باب حجة رسول الله ﷺ برقم (٣٠٧٤ /٢ /١٠٢٢).

(٢) جاء فى لسان العرب: الغسل - بكسر الغين - والغسله - بكسر الغين: مايغسل به الرأس من خطمى، وطين، وأشنان. ونحوه.

والغسلة: أيضا: مما تجعله المرأة من شعرها من الطيب عند الامتشاط.

والغسلة: الطيب. يقال: غسلة مطراة. ابن منظور لسان العرب (ج٢ ص ٩٨٨).

على هذا، ولما بلغ الأبواء جاء إليه صعب بن جثامة بحمار وحش هدية، فلم يقبله منه[1].

ولما رأى الكراهية فى وجهه قال: لم نرد هديتك، لكنا محرمون، ولما بلغ وادى عفان قال: يا أبا بكر أتعلم أى وادى هذا؟ فقال: وادى عفان، قال: لقد مر بهذا الوادى هود، وصالح، عليهما السلام. على جملين أحمرين خطامهما من ليف، وعليهما أزاران من صوف، ورداءان من صوف هما عباءتان، وهما يلبيان بالحج.

ولما بلغ «سرف» حاضت عائشة فحزنت وبكت فقال: لما تبكين؟ لعلك حضت. قالت: نعم. قال: لاتهتمين هذا شىء كتبه الله على بنات آدم، وليس حجك نقص، اعملى كل مايعمله الحاج لكن لاتطوفى بالبيت، وكانت عائشة قد أحرمت بالعمرة فقط، فقال رسول الله ﷺ: اغتسلى وأحرمى بالحج ففعلت. ولما رأت الطهر طافت وسعت.

فقال رسول الله ﷺ: قد أحللت من الحج والعمرة؟ فقالت: إنى لأجد فى نفسى دغدغة، لأنى ماطفت العمرة إلا بعد الوقوف، فأمر أخاها عبدالرحمن أن يمضى بها لتحرم من التنعيم وتأتى بعمرة[2].

وللعلماء فى هذه العمرة أقوال:

قال بعضهم: هى عمرة زيادة أمر بها لتطييب خاطر عائشة رضى الله عنها، وجبر قلبها، وإلا فطوافها وسعيها كاف عن حجها وعمرتها، وهى كانت متمتعة، وأدخلت الحج على العمرة. فصارت قارنة، وذا أصح الأقوال، والأحاديث لاتدل على غيره.

---

(١) متفق عليه رواه البخارى فى كتاب جزاء الصيد باب إذا أهدى للمحرم حمارا وحشيا حيا لم يقبل، حديث رقم (١٨٢٥ ٤/٣١)، ورواه فى كتابه الحج باب تحريم الصيد للمحرم حديث رقم (١١٩٣ ج٢/ ٨٥٠)، ورواه الترمذى برقم (٨٤٩ ج ٣/٢٠٦)، ومالك فى الموطأ برقم (٨٣ ج ١/٣٥٣)، والنسائى (ج٥ ص ١٨٣، ١٨٤).

(٢) متفق عليه وأورده الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٤ ص ٢٩٨).

وقال بعض العلماء: لما حاضت أمرها برفض العمرة الأولى، التى كانت أحرمت بها وهذا قول الإمام أبى حنيفة وأصحابه، ولما وصل الرسول ﷺ «سرف»[1] قال: من لم يسق الهدى، وأراد أن يجعل نسكه عمرة، فليفعل، ومن ساق الهدى فليمض على نسكه، ولما وصل مكة قال على طريق الجزم والوجوب: «من لم يسق الهدى فليجعل نسكه عمرة وليحل من إحرامه ومن ساق الهدى فليقم على إحرامه، وقال: لولا أنى سقت الهدى لأحللت.

ولما وصل إلى ذى طوى قبل دخوله مكة، نزل ثم بات ليلة الأحد الخامس[2] من ذى الحجة، وصلى الصبح هناك، واغتسل، ودخل مكة بعد طلوع الشمس بهنيئة من طريق الحجوان[3]، ولما وصل إلى باب بنى شيبة، وشاهد الكعبة أخذ يدعو بهذا الدعاء «اللهم زد بيتك هذا تشريفا، وتكريما، ومهابة».

وفى بعض الروايات: أنه لما نظر إلى الكعبة، ورفع يديه، وقال: اللهم أنت السلام ومنك السلام، حينا ربنا بالسلام، الله زد هذا البيت تشريفا، وتعظيما، وتكريما، ومهابة، وزد من حجه، واعتمره تكريما، وتشريفا، وتعظيما، وبرا.

ولما دخل المسجد قصد نحو الكعبة، ولم يصل تحية المسجد، ولما حاذى الحجر الأسود استلمه، ولم يرفع يديه، ولم يكبر كما يفعله الجهال، ثم أخذ فى الطواف وجعل الكعبة، على جانبه الأيسر ولم يرد شىء من الأدعية فى مكان بعينه، باسناد صحيح، إلا الدعاء بين الركن اليمانى، والحجر الأسود، فإنه قال هناك: «ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»[4] ورمل فى ثلاثة أشواط.

---

(١) مكان. يقال له: سرف.

(٢) لعله الرابع فقد صح أنه دخل لأربع خلون من ذى الحجة، وأن الوقوف كان يوم الجمعة انظر صحيح مسلم (ج١ ص ٣٥٥)

(٣) هو جبل مشرف بمكة، وقيل موضع بمكة.

(٤) سورة البقرة أية ٢٠١

والرمل أن يسرع فى مشيته ويقارب بين خطواته، كما يفعله المصارعون، وأخرج رداءه من تحت إبطه الأيمن وجعله على كتفه الأيسر، وسار فى بقية الطواف على هيئة، وكلما حاذى الحجر الأسود أشار إليه بمحجن كان فى يده، ثم قبل رأس ذلك المحجن.

والمحجن عصا قصيرة فى رأسها اعوجاج، وكان إذا حاذى الركن اليمانى، أشار إليه بالاستلام، ولم يثبت أنه إذ ذاك قبل يده أو قبل المحجن.

وأما الحجر الأسود فإنه قبله، ووضع وجهه المبارك عليه، وفى بعض الأحيان كان يضع يده عليه ثم يقبلها، وكان يقول فى حال الاستلام: «بسم الله والله أكبر» وكلما حاذى الحجر الأسود قال: «الله أكبر وكان فى بعض الأحيان يضع جبهته عليه ساجدا، ثم يقبله، كل هذا ثابت فى الصحيح[1] وكان إذا فرغ من الطواف قام خلف المقام وتلا قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[2] ثم صلى ركعتى الطواف، والمقام إذ ذاك كان موضوعا قريبا من الكعبة، وقرأ فى الركعة الأولى: الفاتحة. وقل يا أيها الكافرون. وفى الثانية الفاتحة، وقل هو الله أحد.

ثم بعد الصلاة توجه إلى الحجر الأسود، وجاء فاستلمه، ثم خرج من أوسط أبواب الصفا، وهى خمسة، ثم قصد الصعود، ولما قرب منه تلا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾[3] ثم قال: «ابدأ بما بدأ الله به».

وفى رواية النسائى «ابدئوا» على صيغة الأمر، ثم صعد على الصفا، قدر ما يتمكن معه من مشاهدة الكعبة، ثم استقبلها وكبر الله أكبر، وقال «لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير، لا إله إلا الله، وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده».

---

(١) انظر صحيح البخارى فى كتاب الحج حديث رقم (١٥٧٧ ج٣ ص ٤٣٧)، ومسلم فى كتاب الحج، حديث رقم (١٢٥٨ ج٢ ص ٩١٨)، وأبو داود فى كتاب المناسك برقم (١٨٦٨ ج٢ ص ١٧٤)، والترمذى برقم (٨٥٣ ج٣ ص ٢٠٩).

(٢) سورة البقرة آية ١٢٥.

(٣) سورة البقرة آية ١٥٨.

ثم دعا وقال: «اللهم أنا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل برد، والسلامة من كل اثم، لاتدع لى ذنبا إلا غفرته، ولاهما إلا فرجته، ولا كربا إلا كشفته، ولاحاجة إلا قضيتها» ثم هلل ثلاثا ثم دعا بما أحب ثم هبط[1].

وروت صفية بنت شيبة: أنه كان يقول بين الصفا والمروة: «رب اغفر وارحم إنك أنت الأعز الأكرم»[2]، وكان يسعى ماشيا يسير من الصفا إلى المروة، ومن المروة إلى الصفا. فلما اشتد الزحام ركب ناقته وتمم سعيه، راكبا، وأما طواف القدوم، فإنه كان فيه ماشيا ـ كما ذكرنا ـ لما روى جابر أنه رمل فى الأشواط الثلاثة، الأول، وذا لايتصور للراكب، وأما طواف الركن فإنه أتى به راكبا لعذر، وكان يختم السعى بالمروة.

وكلما وصل إليها، قرأ الأذكار، والدعوات، التى قرأها على الصفا، ولما تمم السعى، قال للصحابة: «ألا من لم يسق الهدى فليجعلها عمرة» وفرض عليهم التحلل التام من وطء، وطيب، ولبس مخيط، ثم أفاءوا على ذلك إلى يوم التروية وهو الثامن من ذى الحجة وقال ﷺ: «لولا أنى سقت الهدى لاحللت»[3].

وأما ما ورد فى بعض الروايات من أنه ﷺ أحل، فإنه لم يثبت بل هو غلط، وهنا دعا فقال: «اللهم ارحم المحلقين» ثلاث مرات، «والمقصرين» قالها مرة[4]، وسأل سراقة بن مالك رسول الله ﷺ عن الفسخ، والإحلال، أخاص هو فى هذا العام، أم حكم دائم؟ فقال: «بل حكم دائم إلى الأبد»[5]،

---

(١) رواه مسلم مطولا فى كتاب الحج باب حجة النبى ﷺ، حديث رقم (١٢١٨ ٢/ ٨٨٦ ـ ٨٩٢)، وأبو داود فى كتاب المناسك باب صفة حج النبى ﷺ حديث رقم (١٩٠٥ ٢/ ١٨٢)، والنسائى فى كتاب الحج (ج٥ ص ١٤٣ ـ ١٤٤)، وابن ماجه، حديث رقم (٣٠٧٤ ج٢ ص ١٠٢٢).

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده وانظر منتقى الأخيار (ج٥ ص ٥٠ ـ ٥١).

(٣) انظر صحيح مسلم (ج٢ ص ٨٨٦ ـ ٨٩٢).

(٤) متفق عليه أخرجه البخارى فى كتاب الحج، باب الحلق والتقصير حديث رقم (٩١١٣ ج٣ ص ٢٥٦)، وأخرجه مالك فى الموطأ فى كتاب الحج، باب الحلق حديث رقم (١٨٤ ج١ ص ٣٩٥).

(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب الحج، وأبو داود فى سننه، فى كتاب المناسك، ولمسلم معناه. وانظر منتقى الأخبار (ج٤ ص ٣٢٤).

وأبو بكر، وعمر،وعلى، وطلحة، والزبير، لم يحلوا من إحرامهم لما ساقوه من الهدى، وأمهام المؤمنين أحللن، وكذا فاطمة رضى الله عنها فإنها لم يكن معها هدى، وفى هذه المدة حيث أقام قصر الصلاة، بمنزله ظاهر مكة، ولما مضت أربعة أيام: الأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء. وتضحى النهار من يوم الخميس، توجه بجميع الناس إلى منى، وأحرم إذ ذاك بالحج، من كان قد أحرم كل واحد من منزله.

ولما وصل ﷺ إلى منى نزل وصلى الظهر، والعصر، وبات بمنى، وكانت ليلة الجمعة.

ولما ارتفعت الشمس، سار من منى على طريق ضب إلى عرفة، وكان بعض الصحابة يكبر، وبعضهم يلبى، ولم ينكر ﷺ على أحد ولما بلغ إلى نمرة ـ وهو موضع قريب من عرفات ـ وجد قبته قد ضربت هناك، فنزل، وأقام، حتى زالت الشمس، ثم أمرهم بشد رحل ناقته، وركبها، وخطب خطبة بين فيها قواعد الإسلام بأسرها اقتلع أساس الشرك والجاهلية بالكلية»[١].

وذكر ما كان محرما فى جميع الملل، وجعل أوضاع الجاهلية بأسرها، وكل ربا كان فيها تحت قدمه، ووصى أمته، بملاطفة النساء، وأمرهم بالتمسك بكتاب الله، وأخبرهم أنهم لن يضلوا ماداموا به متمسكين.

ثم سألهم ماذا تقولون، وبماذا تشهدون؟ قالوا نشهد أنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، فرفع ﷺ أصبعه نحو السماء. وقال: «اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد»[٢].

ثم قال: «ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب» ثم نزل وأمر بلال بالأذان والإقامة، وصلى الظهر والعصر جمعا وقصرا، وصلى معه أهل مكة كما صلى.

---

(١) أخرجه مسلم مطولا (ج٢ ص ٨٨٦ ـ ٨٩٢) برقم (١٢١٨)، وأبو داود حديث رقم (١٩٠٥ ج٢ ص ١٨٢)، والنسائى (ج٥ ص ١٤٣ ـ ١١٤)، وابن ماجه برقم (٣٠٧٤ ج٢ ص ١٠٢٢ ـ ١٠٢٧).

(٢) الرواية فى صحيح مسلم (ج٤ ص ٣٨ ـ ٤٣) من حديث جابر، وانظر بعض الخطبة فى صحيح البخارى وفتح البارى (ج٨ ص ١٠٨)، وانظر الفتح الربانى (ص ٢٧٩ ـ ٢٨١)، والبداية والنهاية لابن كثير (ج٥ ص٢٠٩).

ثم بعد ذلك ركب وسار الى عرفات، ولما قرب من الصخرات الكبار استقبل القبلة ووقف على راحلته وأخذ فى الدعاء، والتضرع، والابتهال إلى أن غربت الشمس، ثم سار وقال: «عرفات كلها موقف لايخص مكان دون مكان»، وكان فى حالة الدعاء قد رفع يديه، نحو صدره كالسائل المسكين.

ومن جملة ماحفظ عنه من دعوات ذلك الموقف «اللهم لك الحمد الذى نقول، وخير مما نقول، اللهم لك صلاتى، ونسكى، ومحياى، ومماتى، وإليك مآبى، ولك رب تراثى، اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر، ووسوسة الصدر، وشتات الأمر، اللهم إنى أعوذ بك من شر ماتجىء به الريح، اللهم إنك تسمع كلامى، وتعلم سرى، وعلانيتى ولايخفى عليك شىء من أمرى، أنا البائس الفقير، المستغيث، المستجير، الوجل، المشفق المقر، المعترف بذنوبى. أسألك مسألة المسكين، وابتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، من خضعت لك رقبته، وفاضت لك عيناه، وذل جسده ورغم أنفه لك، اللهم لاتجعلنى بدعائك رب شقيا، وكن بى رؤوفا، رحيما، ياخير المسئولين، ويانصير المعطين» هذا الدعاء ثابت فى معجم الطبرانى(١).

وروى الامام أحمد فى مسنده، أن أكثر دعاء النبى ﷺ فى يوم عرفة: «لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شىء قدير»(٢).

وفى سنن البيهقى أن النبى ﷺ قال: «أكثر دعائى، ودعاء الأنبياء فى يوم عرفة: لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شىء قدير. اللهم اجعل فى قلبى نورا، وفى سمعى نورا، وفى بصرى نورا، اللهم اشرح لى صدرى، ويسر لى أمرى، أعوذ بك من وسواس الصدر،

(١) لم نعثر عليه وذكر صاحب منتقى الأخيار نحوه (ج٣ ص ٦١).

(٢) رواه أحمد والترمذى وذكره صاحب الأخيار (ج٥ ص ٦٠، ٦١).

وشتات الأمر، وفتنة القبر، اللهم إنى أعوذ بك من شر مايلج فى الليل، وشر ما يلج فى النهار، وشر ماتهب به الرياح. ومن شر بوائق الدهر»[١].

ونزل فى الآيات فى عرفات ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[٢]، وفى ذلك اليوم سقط رجل عن راحلته بعرفات، فأمر النبى ﷺ أن يغسل بالماء والسدر، وأن يدرج فى ثوبى إحرامه، وأن لايطيب، ولايغطى رأسه، ولاوجهه وقال: «إنه يبعث ملبيا»[٣].

ولما أفاض بعد تمام الغروب، كان أسامة بن زيد رديفه وكان ﷺ يجذب زمام الراحلة، بحيث أنه كان رأسها يحك الرجل وكان يقول: «أيها الناس اتئدوا مهلا مهلا، ليس الخير فى السوق، ولا التقوى فى العجلة».

وكان يرجع فى طريق المأزمين، يقصد ما قصده فى الخروج، إلى مصلى العيد من طريق، والرجوع من أخرى.

وفى أثناء ذلك ربما أرخى زمام راحلته، ليكون السير بين السريع والبطىء. وإذا وصل إلى مكان وسيع حركها بسرعة، وإذا بلغ نشرا من الأرض أرخى لها لتسير الهوينا.

وكان يلبى فى طريقه، وما إلى بعض الشعاب، ونقض وضوءه، ثم توضأ، وضوءا خفيفا، فقال أسامة: الصلاة يارسول الله. فقال ﷺ أمامك ثم ركب حتى أتى «المزدلفة» فتوضأ وضوءا كاملا، ثم أمر بالأذان، والإقامة، وصلى المغرب قبل أن تحل الرحال، بل قبل أن تناخ الجمال، ولم حلوا رحالهم، أقيمت الصلاة، وصلى العشاء بغير أذان، لم يصل بين هذين الفرضين، صلاة أصلا ثم بات بالمزدلفة إلى أن تنفس الصبح»[٤].

---

(١) أخرجه الطبرانى فى المناسك، وفى إسناده قيس بن الربيع، والبيهقى وفى إسناده ابن عبيدة الربذى وهو ضعيف، وتفرد به عن أخيه عبدالله عن علىّ رضى الله عنه، قال البيهقى: ولم يدرك عبدالله علىّ، وانظر منتقى الأخبار (ج٥ ص ٦١).

(٢) صحيح البخارى بشرح فتح البارى (ج٨ ص ١٠٨) والآية رقم ٣ من سورة المائدة.

(٣) انظر صحيح مسلم (٤/٣٨- ٤٣) وصحيح البخارى (فتح البارى ٨/١٠٧)، وصحيح مسلم (١/٨٢).

(٤) رواه مسلم فى كتاب الحج باب حجة النبى ﷺ حديث رقم (١٢١٨ ج٢ ص ٨٨٦- ٨٩٢)، وأبو داود برقم (١٩٠٥ج ٢/١٨٢) والنسائى (٥/١٤٣-١٤٤) وابن ماجه برقم (٣٠٧٤ج ٢/١٠٢٢-١٠٢٧).

ولم يحيى تلك الليلة، ولم يصح شيء من الأحاديث فى إحياء ليلة العيد، ورخص لضعفاء قومه، أن يتقدموا إلى منى قبل طلوع الفجر، ولا يرمون إلا بعد الطلوع.

وأما قول عائشة: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أرسل أم سلمة فى ليلة النحر، فرمت الجمار قبل الفجر، ثم مضت فطافت طواف الركن، ثم رجعت إلى منى. ففى إسناده مقالات وأنكره الأساطين من المحدثين.

وأرسل جمعا من النساء فرموا الجمر فى الليل، لخوف الزحام[1]، وللناس فى هذه المسألة ثلاثة أقاويل: يجوز عند الشافعى وأحمد، رمى جمرة العقبة بعد نصف الليل لكل.

وأبو حنيفة يقول: لايجوز إلا بعد طلوع الفجر، وقال جماعة: لايجوز للقادر إلا بعد طلوع الشمس بخلاف المعذور فإنه يجوز له ذلك.

ولما طلع الفجر صلى الصبح لأول وقتها لا قبل الوقت، كما يظنه البعض، ثم ركب وجاء إلى المشعر الحرام، وهو تل فى وسط المزدلفة، عليه عمارة محدثة.

وأما قول بعض مشايخ الحديث والفقهاء: هو جبل صغير على يسار الحاج، وهذا المقام المشهور ليس بالمشعر، فسهوا منهم.

والصحيح أن المشعر الحرام هذا المعروف المعمور، ثم وقف ﷺ فى المشعر الحرام، واستقبل القبلة، واشتغل بالدعاء، والتضرع، والابتهال والتكبير، والتهليل، إلى قريب طلوع الشمس، ثم دفع وقد أردف الفضل بن العباس، وأسامة يمشى بين قريش.

---

(١) أخرج الشيخان نحوه قالت عائشة رضى الله عنها: استأذنت سودة رسول الله ﷺ ليلة المزدلفة: أن تدفع قبله، وكانت ثبطة ـ تعنى ثقيلة ـ فأذن لها. انظر صحيح البخارى فى كتاب الحج، باب من قدم ضعفة أهله بليل حديث رقم (١٦٨٠ ج ٣/ ٥٢٦)، ومسلم فى كتاب الحج باب استحباب تقديم الضعفة من النساء وغيرهم حديث رقم (١٢٩٠ ج ٢/ ٩٣٩)، والنسائى (٥/ ٢٦٢).

وفى هذا الطريق أمر الفضل بن العباس، أن يلقط له حصى الجمار، فالتقط سبعا، أخذها ﷺ، على كفه المبارك، وجلا[١] عنها الغبار. وقال: «أمثال هؤلاء فارموا[٢] وإياكم والغلو فى الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين».

وفى هذه الطريق اعترضته امرأة جميلة من هثعم، وقالت: إن أبى شيخ كبير، لايستمسك على البعير، فأمرها بالحج عنه، فلاحظها رديفه الفضل بن العباس، فجعل رسول الله ﷺ يده وقاية، لئلا يتلاحظا.

واعترضته أيضا امرأة وأخبرت أن أمها فى غاية العجز، وأنها إن ربطت على البعير فربما هلكت، فقال رسول الله ﷺ: «لو كان على أمك دين كنت تقضيه عنها أم لا؟» فقالت: نعم كنت أقضيه. قال: «فدين الله أولى بالقضاء» ولما بلغ بطن محسر - وهو واد فى أول منى - ساق راحلته سوقا شديدا وأسرع الخروج منه[٣]. وهكذا جرت العادة النبوية، فى جميع المواطن، التى أنزل الله فيها البلاء، على أعدائه، وفى بطن محسر جرى على أصحاب الفيل، ماهو فى القرآن.

وسمى محسرا لأن الفيل حسر فيه عن الحركة، وعجز عن السير نحو مكة، وبطن محسر برزخ بين منى والمزدلفة، وليس منهما كما أن عرنة ونمرة، برزخ بين عرفة والمشعر الحرام.

وكذلك لم يزل يحرك رحلته، فى الطريق الوسطى، إلى أن هبط فى الوادى الذى تجاه جمرة العقبة، فقام - والكعبة على يساره، ومنى على يمينه، ورمى الجمار سبعا - وهو راكب، واحدة بعد واحدة، فى مجل الجمرات،

---

(١) يقال: جلا القوم عن أوطانهم. يجلون، وأجلوا: إذا خرجوا من بلد إلى بلد، وفى حديث الحوض: يرد على رهط من أصحابى فيجلون عن الحوض. هكذا روى فى بعض الطرق أى ينفون ويطردون ويقول ابن الأعرابى: جلاه عن وطنه فجلا. أى طرده فهرب. ابن منظور لسان العرب (ج١ ص ٤٩١، ٤٩٢).

(٢) جاء فى لسان العرب «يقال أفرمت الحوض، وأفعمته، وأفأمته: إذا ملأته. قال الجوهرى: أفرمت الإناء: ملأته. ابن منظور لسان العرب (ج٢ ص ١٠٨٩).

(٣) انظر صحيح مسلم (ج٢ ص ٨٨٦ - ٨٩٢)، وأبى داود (ج٢ ص ١٨٢)، والنسائى (ج٥ ص ١٤٣ - ١٤٤).

يكبر مع كل واحدة، وبعد رمى الجمار، قطع التلبية، وفى ركابه أسامة بن زيد، وبلال، أحدهما أخذ بزمام الراحلة، والآخر يظله بمظلة، ليقيه حر الشمس.

ثم رجع إلى منزله، بالقرب من مسجد الخيف، وخطب خطبة بليغة، بلغ صوته إلى جميع أهل الخيام فى خيامهم، وهذا من جملة المعجزات النبوية، أعلم فيها بحرمة يوم النحر، وفضله عند الله سبحانه وتعالى، وأمرهم بتعلم مناسك الحج، وقال لعلىّ: «لا أحج بعد عامى هذا» وأمر بالسمع والطاعة، للأمراء الداعين إلى كتاب الله، وأنزل الأنصار والمهاجرين منازلهم، وقال: «اعبدوا ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم» وودع الناس وقال: «ليبلغ الشاهد منكم الغائب»[1].

ثم سار الى المنحر - وهو موضع مشهور فى وسط سوق منى - ونحر ثلاثا وستين بدنة بيده، وهن قيام معقولات، وهذا عدد سنى عمره المبارك، وأمر أمير المؤمنين عليا بنحر تمام المائة، فنحر سبعا وثلاثين، وأمره أن يتصدق بجلالها[2] وجلودها وأن لا يعطى أجرة الجزار منها، بل من ماله ﷺ.

وأما حديث أنس «أنه نحر سبعا» فتوهم بعضهم أنه معارض لهذا الحديث، وجوابه أن إنسانا شاهد سبعا، ثم غاب، وجابر شاهد تمام ثلاث وستين، وقال بعضهم: نحر سبعا بيده المباركة، إلى تمام ثلاث وستين، كان طرف الحربة بيد النبى ﷺ وطرفها الآخر بيد علىّ، وبعد ثلاث وستين، نحر

(١) أخرجه الشيخان، صحيح البخارى (فتح البارى ج٨ ص ١٠٧)، وصحيح مسلم (ج١ ص ٨٢).

(٢) قيل: جل الدابة وجلها. الذى تلبسه لتصان به. والجمع: جلال . وإجلال. قال كثير:

ونرى البرق عارضا مستطيرا سرح البلق جلن فى الإجلال

وجمع الجلال: أجلة. وجلال كل شىء غطاؤه نحو الحجلة وما أشبهها. وتجليل الفرس: أن تلبسه الجل وتجلله آى علاه. وفى الحديث: «أنه جلل فرسا له سبق بردا عدنيا أى جعل البرد له جلا. وفى حديث ابن عمر: أنه كان يجلل بدنه القباطى. وفى حديث علىّ: اللهم جلل قتلة عثمان خزيا. أى غطهم به، وألبسهم إياه كما يتجلل الرجال بالثوب. ابن منظور لسان العرب (ج١ ص ٤٨٨).

أمير المؤمنين سبعا وثلاثين على انفراده، ولما فرغ من النحر أعلم أن منى كلها منحر[١]، وأن فجاج مكة كلها سبل.

وأن المنحر، والنحر، لايختص ببعض الأماكن، وأمر بطلب الحلاق فحلق رأسه، ولما وقف الحلاق ـ وهو معمر بن عبدالله بن نضلة على رأس رسول الله ﷺ وأخذ الموسى بيده ـ قال له: «يامعمر أمكنك رسول الله ﷺ من شحمة أذنيه، وفى يدك الموسى؟» فقال معمر: نعم وإن ذلك لمن نعم الله على ومنه. قال: أجل.

ثم أشار إلى الحلاق أن يبدأ بالجانب الأيمن، فلما فرغ منه قسم الشعر على من حضر فى ذلك الجانب.

ثم أشار إلى أن يحلق الجانب الأيسر، فأعطى جميع ذلك لأبى طلحة، وكان قد أخذ نصيبا من الجانب الأيمن قبل كل أحد، ولما فرغ من الحلق[٢] ـ وكان قد أصاب كل أحد شعرة أو شعرتين ـ قلم أظافره، وقسم ذلك أيضا على الناس، وحلق أكثر الصحابة وقصر أقلهم.

ثم بعد ذلك سار إلى مكة قبل الزوال، فطاف. وهذا الطواف يسمى طواف الإفاضة وطواف الزيارة، وطواف الصدر[٣].

وماورد فى بعض الأحاديث، من أنه ﷺ أخر طواف الزيارة إلى الليل، فمشايخ الحديث، يقولون: هو غلط، ولما فرغ من الطواف جاء إلى بئر زمزم فوجدهم ينزعون الماء، فقال: «لولا أنى أخشى أنكم تغلبون لنزعت معكم، وأعنتكم على السقاية» فعرضوا عليه دلوا، فتناولها منهم، وشرب قائما، وشربه قائما إما لبيان جواز ذلك، وإما للضرورة والحاجة.

---

(١) انظر صحيح مسلم برقم (١٢١٨) حديث الباب (١٤٩ ج٢ ص ٨٩٣)، وسنن أبى داود برقم (١٩٣٦، ٩٣٧ ج٢ ص ١٩٣، ١٩٤)، وابن ماجه برقم (٣٠٤٨ ج٢ ص ١٠١٣).

(٢) انظر صحيح البخارى فى كتاب الحج، باب الحلق والتقصير عند الإحلال برقم (١٧٢٧ ج ٣/ ٥٦١) وصحيح مسلم (ج٢ ص ٩٤٥)، وسنن أبى داود (ج٢ ص ٢٠٢)، والترمذى (٣/ ٢٥٦)، وموطأ مالك باب الحلق (ج١ ص ٣٩٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٢١٨ ج٢ ص ٨٩٢)، وأبو داود برقم (١٩٠٥ ج٢ ص ١٨٢). والنسائى (ج٥ ص ١٤٣، ١٤٤)، وابن ماجه برقم (٣٠٧٤ ج٢ ص ١٠٢٢).

وقد كان نبى الله فى هذا الطواف راكبا راحلته، وسبب الركوب قال بعضهم: كثرة الازدحام، أو ليكون مشرفا على الناس ليراه الحاضرون، فيتعلموا الطواف وآدابه.

وقال بعضهم: كان فى رجله المباركة عارض يؤذيه، فركب ضرورة، ورجع من حينه إلى منى، وصلى الظهر بها كذا فى الصحيحين.

وفى صحيح مسلم أنه صلى الظهر بمكة، وأكثر العلماء يرجحون أنه صلى الظهر بمكة، لأن هذا الحديث رواه صحابيان جابر وعائشة، وذاك رواه ابن عمر.

الثانى: أن عائشة أخص وأعلم بأحواله، وبعضهم يرجح حديث ابن عمر لأنه متفق عليه، وليس فيه اضطراب، ورجال إسناده أعظم وأجل.

ولما رجع إلى منى بات بها، وأقام فى اليوم الثانى إلى أن زالت الشمس، فسار على قدميه، قبل أداء صلاة الظهر نحو الجمرة الأولى، وهى التى تلى مسجد الخيف، ورمى سبعا يكبر مع كل، ولما فرغ من الرمى، تقدم قليلا إلى السهل، واستقبل القبلة، ودعا قدر سورة البقرة.

ولما فرغ من الدعاء أتى الجمرة الوسطى، ورمى كما فعل الأولى، وأخذ على الطريق اليسرى، ومشى خطوات، نحو وسط الوادى، ودعا قدر مادعا فى الأولى، وسار نحو جمرة العقبة واستقبلها، وجعل الكعبة على يساره، ومنى على يمينه، ورمى ورجع من حينه، ولم يشتغل بالدعاء، ولهذا وجهان:

إحداهما: أنه كان زحام عظيم ولم يتيسر الوقوف.

الثانى: أن دعاء هذه العبادة، كان قد أتى به فى صلب العبادات، والدعاء فى صلب العبادة، أفضل منه فى غير العبادة، وكذا دعاء الصلاة غالبا كان فى آخر التشهد قبل السلام، ولم يتعجل فى النفر بل أقام ثلاثا، وبعد الرابع السبت، والأحد، والاثنين، وبعد الزوال من يوم الثلاثاء رمى، وسار إلى المحصب ـ وهو موضع خارج مكة يقال له الأبطح أيضا ـ فنزل به،

حيث كان أبو رافع المقدم على أحماله قد نزل ثمة، وضرب الخيمة بحسب الاتفاق لا عن أمر، فنزل ﷺ وصلى الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء هناك، ونام قليلا.

فلما استيقظ ركب وسار إلى مكة وطاف للوداع[١]. ولم يرمل، وفى هذه الليلة رغبت عائشة فى العمرة فأجازها ليلا، وأرسل معها عبدالرحمن إلى التنعيم ـ وهو خارج عن الحرم ـ فأحرمت وجاءت إلى مكة، وتممت عمرتها قبل مضى الليل، ورجعت إلى المحصب، فقال رسول الله ﷺ: فرغتم؟ فقالوا: نعم: فأمر بالرحيل، فرحلوا بأجمعهم.

وطاف رسول الله ﷺ طواف الوداع[٢]، ثم توجه الى المدينة، واختلف العلماء فى التحصيب[٣].

قال بعضهم: أمر اتفاقى، ولم يكن من السنن، ولا من الآداب.

قال بعضهم: هو من سنن الحج، وتمام المناسك، لأن النبى ﷺ قال: «إنا نازلون غدا بخيف بنى كنانة، حيث تقاسموا على الكفر» والمراد بخيف بنى كنانة المحصب، لأن قريشا وبنى كنانة، تعاهدوا، وتحالفوا، هناك على أن لايخالطوا بنى هاشم ولايناكحوهم ولا يواصلوهم، حتى يسلموا لهم رسول الله ﷺ، فقصد ﷺ أن يظهر شعائر الإسلام حيث أظهروا شعائر الكفر، والله أعلم.

---

(١) انظر صحيح البخارى فى كتاب الحج (ج٣ ص ٤٧٣)، ومسلم برقم (١٢٦٩ ج٢ ص ٩٢٥)، والترمذى فى كتاب الحج برقم (٨٥٨ ج٣ ص ٢١٣)، وأحمد فى المسند (ج١ ص ٢٣٢ و٣٧٢).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر صحيح البخارى فى كتاب الحج حديث رقم (١٧٦٤ ج٢ ص ٥٩٠).

فصل

فى دخول الكعبة والوقوف بالملتزم فى طواف الوداع

قال جماعة من العلماء والفقهاء: لما حج رسول الله ﷺ دخل الكعبة ودخول الكعبة من سنن الحج، والأحاديث، والآثار، دالة على أن دخول الكعبة لم يكن فى هذه السنة بل فى عام فتح مكة.

وفى الصحيحين قال ابن عمر: دخل رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، على ناقة لأسامة، حتى أناخ بفناء الكعبة، فدعا عثمان بن طلحة بالمفتاح فجاء ودخل النبى ﷺ وأسامة وبلال وعثمان بن طلحة فأجافوا عليه الباب مليا ثم فتحوه فبادرت[١] الناس..

قال ابن عمر: فوجدت بلالا على الباب، فقلت: أين صلى رسول الله ﷺ؟ قال: بين العمودين المقدمين قال: ونسيت أن أسأله كم صلى؟

وهذا الحديث صريح، فى أن دخول البيت كان عام فتح مكة، وقال: «إنى دخلت البيت، وددت أنى لم أكن دخلت، إنى أخاف أن أكون قد أتعبت أمتى من بعدى» وسألت عائشة دخول البيت فقال ﷺ: «صلى فى الحجر ركعتين، فكأنما صليت فى الكعبة».

وأما الوقوف فى الملتزم، ففى سنن أبى داود، عن عبدالله بن عمر، أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ قائما بين الركن والباب[٢]. واضعا صدره على جدار الكعبة، باسطا ذراعيه، وكفيه، وهذا يحتمل أن يكون عام الفتح، ويحتمل أن يكون عام الحج.

وكأنه كان فى العامين، لأن مجاهدا، والإمام الشافعى، وجماعة من العلماء قالوا: بأنه يستحب بعد طواف الوداع، أن يقف بالملتزم، ويدعو لأنه ماوقف به أحد، ودعا إلا استجيب له.

---

(١) متفق عليه، انظر صحيح البخارى (ج٨ ص ١٣٥)، ومسلم (ج٦ ص ٤١٦).

(٢) راجع السيرة النبوية لابن كثير (ج٣ ص ٦٠٢، ٦٠٣) وسيرة ابن هشام (ج٢ ص ٤١٦).

ولما صلى رسول الله ﷺ الصبح، تجاه الكعبة قرأ فى الصلاة سورة (ق والطور)، ثم توجه إلى المدينة، ولما وصل إلى منزل الروحاء، ليلة الجمعة، رأى جمعا، فسلم عليهم، وسألهم عن شأنهم. فقالوا: نحن مسلمون. فمن أنت؟ قال: أنا رسول الله، فجاءت امرأة وقدمت طفلا، وقالت: أيصح حج هذا الطفل؟ قال: «نعم وتثابين أيضا»[١].

ولما بلغ إلى ذى الحليفة نزل بها، وبات فلما أصبح سار، ولما شاهد المدينة، كبر ثلاثا، ثم قال: «لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير، آيبون، تائبون، عابدون، ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده» ثم دخل المدينة[٢].

فصل

بيان الرسول ﷺ للذبائح

اعلم أن الذبائح التى تحصل بها القربة، ثلاثة أنواع: **أحدها:** الهدى، **الثانى:** الأضحية، **الثالث:** العقيقة، والنبى ﷺ كان يرسل الهدى: الغنم، والإبل.

وكان يهدى عن أمهات المؤمنين البقر، ولما حج ساق الهدى معه، ولما اعتمر أيضا ساق معه الهدى، وكان إذا قام فى بعض الأعوام أرسل الهدى مع من يذهب إلى مكة.

ولم يكن فى حالة إرسال الهدى يحرم عليه شىء. وكان من عادته إذا أهدى غنما أن يقلدها، وإذا أهدى إبلا قلدها وأشعرها، وقد تقدم بيان ذلك، كان إذا أرسل الهدى على يد أحد، أمره إذا أشرف شىء على الهلاك

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه برقم (١٣٣٦).

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه برقم (١٣٤٥) وذكره النووى فى رياض الصالحين (ص ٤١٨).

أن يذبحه، ويصبغ نعله بدمه، ويضرب به صفحته، ولا يأكل منه هو، ولامن فى تلك الصحفة، وإن حضر أجانب قسم المذبوح بينهم(١).

وكان يهدى البدنة، والبقرة، عن سبعة. وكان يبيح ركوب الهدى، وقت الحاجة ما لم يجد غيره، وينحر الإبل قائمة معقولة اليسار، ويقول عند النحر «بسم الله والله أكبر».

وكان إذا ذبح الغنم جعل قدمه المباركة على صفحتها، وأباح لأمته أن يأكلوا من هديهم(٢) ويتزودوا، وكان يقسم الهدى حينا، وحينا يقول: «من له حاجة فليقطع لنفسه»، واستدل بعضهم بهذا على جواز الانتهاب فى النثار، وماساق من الهدى فى العمرة، نحره عند المروة إليه.

وما ساق فى الحج نحره فى منى، ولم ينحر أبدا إلا بعد صلاة العيد، ولم ينحر قبل يوم العيد أبدا، وهذه الأمور مرتبة هكذا فى يوم العيد رمى جمرة العقبة، ثم النحر، ثم الحلق، ثم الطواف(٣).

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده، ومسلم فى صحيحه، وأبو داود فى سننه، والنسائى فى سننه، وانظر منتقى الأخبار (جـ٥ ص ٩٨).

(٢) رواه مسلم فى صحيحه، وأخرج نحوه أحمد والترمذى وصححه، وانظر منتقى الأخبار (جـ٥ ص ١٢٧).

(٣) وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ وقف فى حجة الوداع، فجعلوا يسألونه، فقال رجل: لم أشعر، فحلقت قبل أن أذبح، قال: «اذبح ولاحرج» وجاء آخر، فقال: لم أشعر، فنحرت قبل أن أرمى. قال: «ارم ولاحرج» فما سئل يومئذ عن شىء قدم ولا أخر إلا قال: «افعل ولاحرج» متفق عليه، أخرجه البخارى فى كتاب الحج باب الفتيا على الدالة حديث رقم (١٧٣٦) (جـ٣ ص ٥٦٩)، ومسلم برقم (١٣٠٦ جـ٢ ص ٩٤٨)، وأبو داود فى سننه برقم (٢٠١٤ جـ٢ ص ٢١١)، والترمذى برقم (٩١٦ جـ٣ ص ٢٥٨) وغيرهم.

فصل

فى قربان رسول الله ﷺ

لم يترك الأضحية قط، ضحى بكبشين من الضأن ذبحهما بعد صلاة العيد وقال: من ذبح قبل صلاة العيد، فليعد، فإنها ليست بقربة، وإنما هى شاة لحم، حصلها لأهله، وقال: يجزى من الضأن ماكان لسنة ومن غيره ماكان لسنتين فصاعدا، ومجموع يوم العيد، وثلاثة أيام التشريق، أيام ذبح.

ومن السنة النبوية، أن من قصد الأضحية فى يوم العيد، أن لا يأخذ من شعره.

إذا هل هلال ذى الحجة، ولامن ظفره، وأن يكون كالحرم، وأن يختار لأضحيته السمين، السالم من العيوب، لا العوراء، ولا العمياء، ولا المعضوبة الأذن، ولا مقطوعتها.

وكان من العادة النبوية، أن لايذبح الضحايا فى المصلى. قال جابر: حضرت رسول الله ﷺ لما فرغ من الصلاة خطب، ولما فرغ من الخطبة، ونزل عن المنبر، جاءوا بكبش فذبحه ﷺ بيده وقال: «بسم الله، والله أكبر هذا عنى، وعمن لم يضح من أمتى»[1].

وثبت فى سنن أبى داود: أنهُ ضحى بكبشين، أقرنين، أملحين، موجوءين[2] فلما وجهها قال: «وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض

---

(١) أخرج مثله البخارى فى صحيحه فى كتاب الحج باب من نحر هديه بيده حديث رقم (١٧١٢ ج٣ ص ٥٥٣)، ومسلم فى كتاب الأضاحى باب استحباب الضحية وذبحها مباشرة بلا توكيل والتسمية والتكبير حديث رقم (١٩٦٦ ج٣ ص ١٥٥٦)، وأبو داود فى سننه (ج٣ ص ٩٤، ٩٥ برقم ٢٧٩٣ ـ ٢٧٩٤)، والترمذى فى كتاب الأضاحى، باب ماجاء فى الأضحية بكبشين حديث رقم (١٤٩٤ ج٤ ص ٨٤)، والنسائى (ج٧ ص ٢١٩، ٢٢٠)، وابن ماجه برقم (٣١٢٠ ج٢ ص١٠٤٣)، وأحمد فى مسنده (١/١٠١، وص ١١٥ ـ ١٣٠ ـ ١٧٨ ـ ١٨٩ ـ ٢١١ ـ ٢١٤ ـ ٢٢٢ ـ ٢٥٥ ـ ٢٥٨ ـ ٢٦٨ ـ ٢٧٢ ـ ٢٧٩ ـ ٢٨١).

(٢) موجوءين: أى خصيين. ابن منظور لسان العرب (ج٣ ص ٨٧٨).

حنيفا مسلما، وما أنا من المشركين إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم منك، ولك عن محمد وأمته بسم الله والله أكبر» ثم ذبح[١].

وأمر الناس بالإحسان فى الذبح وقال: «إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»[٢] ومن الإحسان أن لايذبح بحضور البعض وأن لايشرع فى السلخ إلا بعد كمال الموت.

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده ومسلم فى صحيحه، وأبو داود فى سننه. وذكره الشوكانى فى منتقى الأخيار (ج٥ ص ١٢١).

(٢) رواه مسلم فى كتاب الصيد باب الأمر باحسان الذبح والقتل حيث رقم (١٩٥٥) ١٥٤٨/٣ وأبو داود فى كتاب الأضاحى حديث رقم (٢٨١٥ج ٣/ ١٠٠) والترمذى رقم (١٤٠٩ج ٤/ ٢٣)، والنسائى (ج٧ ص ٢٢٧) فى الضحايا، باب الأمر بإحداد الشفرة.

فصل
فى السنة النبوية فى العقيقة

العقيقة اسم أول شعر نبت على رأس الطفل، لأنه يعق اللحم والجلد، أى يشقهما ويخرج، وكان الرسول ﷺ يكره هذا الاسم، سئل عن العقيقة قال: «لا أحب العقوق» فقالوا: نجعل نسكا عن الولد؟ فقال: «من أحب أن يؤدى نسكا عن الولد، فعن الغلام شاتان وعن الجارية شاة»[١].

وورد فى الحديث الصحيح: «أن الغلام رهينة بعقيقة تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه ويسمى»[٢] قال الامام أحمد: معنى الحديث: أن الولد محبوس عن أن يشفع لوالديه مالم يؤديا عنه العقيقة.

وقال بعضهم: هو ممنوع، ومحبوس عن الخيرات، والزيادات، مالم يؤدوا عنه العقيقة، ووقع فى بعض الروايات بدل - ويسمى - ويدمى.

وقال قتادة: تفسيره إن للشاة إذا ذبحت أخذ قليل من صوفها، وجعل فى الدم السائل من المذبوح، ثم وضع على رأس الطفل ليسيل من الدم على رأسه، مثل الخيط، ثم يغسل، ويحلق رأسه.

والصواب أن هذا تحريف من بعض الرواة، لأن النبى ﷺ عق عن الحسن والحسين، بشاتين ولم يفعل ذلك، وهذا الفعل بعوائد الجاهلية أشبه والله أعلم.

وصح أنه ﷺ عق عن الحسن[٣] بشاة وعن الحسين بشاة، وأمر فاطمة بحلق رأسه، وأن تتصدق بوزن شعره فضة، ولما وزن كان قدر درهم. ولكن

---

(١) أخرجه الترمذى وصححه فى كتاب الأضاحى باب ماجاء فى العقيقة حديث رقم (١٥١٣ ج ٩٦/٤ - ٩٧)، وابن ماجه (١٠٥٦/٢ برقم ٣١٦٣) فى كتاب الذبائح باب العقيقة.

(٢) أخرجه أحمد والأربعة، وصححه الترمذى، انظر سنن أبى داود فى كتاب الأضاحى باب فى العقيقة حديث رقم (٢٨٣٨ ج ١٠٦/٣)، والنسائى فى كتاب العقيقة باب متى يعق (ج٧ ص ١٦٦).

(٣) رواه أبو داود فى كتاب الأضاحى باب فى العقيقة حديث رقم (٢٨٤١ ج ١٠٧/٣)، والنسائى فى كتاب العقيقة باب كم يعق عن الجارية (١٦٦/٧)، وصححه ابن خزيمة وابن الجارود وعبد الحق، لكن رجح أبو حاتم إرساله. انظر سبل السلام (ج٤ ص ١٨٩).

حديث: «عن الغلام شاتان» أقوى وأصح، لأنه يرويه جماعة من أكابر الصحابة، وأيضا الفعل يدل على الجواز، والقول أقوى من الفعل وأتم، لأن الفعل يحتمل الاختصاص، وأيضا الفعل يدل على الجواز، والقول على الاستحباب.

وأيضا قصة ذبح العقيقة عن الحسن والحسين، متقدمة على حديث أم ذر، لأنها عام أحد، والعام الذى بعده، وحديث أم ذر عام الحديبية.

وأيضا الحق جل شأنه فضل الذكر عن الأنثى فى الميراث، وفى جميع الأمور. وذا يقتضى الفرق فى هذا الباب أيضا.

وفى حديث أنس، أن رسول الله ﷺ ذبح العقيقة عن نفسه بعد النبوة، ولكن فى إسناده ضعف، وقال أبو رافع: رأيت النبى ﷺ أذن فى أذن الحسن ابن على، حين ولدته فاطمة بالصلاة.

وأما تسمية المولود، فالسنة أن يكون فى اليوم السابع، وأما الختان، فابن عباس رضى الله عنهما يقول: كانت الصحابة يختنون أولادهم بعد البلوغ، وقال مكحول: ختن ابراهيم ﷺ ابنه اسحاق عليه السلام فى اليوم السابع، وإسماعيل عليه السلام فى السنة الثالثة عشر، فبقيت السنة فى ولد إسماعيل، أن يختتنوا فى الثالثة عشر.

وكان من العادة النبوية: أن يسمى الولد باسم حسن، وقال: «إن أحب أسمائكم إلى الله عبدالله، وعبدالرحمن وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرة»[1].

وقال: «إن اخنع اسم عند الله رجل يسمى ملك الأملاك» وقال: «لاتسمين غلامك يسارا، ولارباحا، ولانجيحا، ولا أفلح، فإنك تقول: أثم

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه، فى كتاب الأدب، باب: فى تغيير الأسماء برقم (٤٩٤٨)، وأحمد فى المسند (ج٥ ص ١٩٤). وانظر ضعيف الجامع حيث ضعفه الألبانى، وأورده الإمام ابن قيم الجوزية فى تحفة المولود بأحكام المولود (ص ٨١ حديث رقم ١١٥) تحقيق على أبو العباس. مكتبة القرآن دون تاريخ.

هو؟ فلايكون، فيقول: لا أما هن أربع فلا تزيدن عليها»[١] وكان إذا سمع اسما مستكرها، غيره باسم حسن، غيّر اسم عاصية وقال: «إنما أنت جميلة، وبرة سماها جويرية»[٢].

وقال لشخص ما اسمك؟ فقال: أصرم. فقال: «بلى أنت زرعة»[٣] وقال آخر: حزن قال «أنت سهل»[٤] وسمى حربا: سلما، «وسمى المضطجع: المنبعث[٥].

وبنو الرتبة: بنو الرشدة، وشعب الضلال سماه: شعب الهدى، وغير أسماء كثيرة غير ماذكرنا.

وأمر الأمة بتحسين الأسماء[٦]. وفى هذا تنبيه على أن الأفعال ينبغى أن تكون مناسبة للأسماء، لأن الأسماء قوالب الأفعال ودالة عليها.

لاجرم اقتضت الحكمة الربانية أن يكون بينهما ارتباط وتناسب، وأن لايكون أحدهما أجنبيا من الآخر، بحيث أن لايكون بينهما تعلق بوجه من الوجوه، لأن الحكمة تأبى ذلك، والواقع المشاهد غير ذلك، وتأثير الأسماء فى المسميات، والمسميات فى الأسماء ظاهر وبائن، وإلى هذا المعنى أشار القائل:

وقل إن أبصرت عيناك ذا لقب ... إلا ومعناه إن فكرت فى لقبه

---

(١) وهذه الجملة الآخيرة ليست من كلام رسول الله ﷺ، وإنما هى من كلام الراوى، والحديث أخرجه مسلم فى كتاب الأدب، باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة ونافع ونحوه بألفاظ أخرى (١٠، ١١) وأبو داود فى الأدب، باب: فى تغيير الاسم القبيح (٤٩٥٨، ٤٩٥٩).

(٢) أخرجه مسلم فى الآداب، باب: استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن. . حديث رقم (١٤، ١٥) عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ غيّر اسم عاصية وقال: «أنت جميلة» وأبو داود فى الأدب، باب: فى تغيير الاسم القبيح حديث رقم (٢٩٥٤).

(٣) أخرجه أبو داود فى الأدب، باب: فى تغيير الاسم القبيح، حديث رقم (٢٩٥٤).

(٤) انظر سنن أبى داود فى كتاب الأدب.

(٥) انظر: تحفة المودود بأحكام المولود (ص ٤٣).

(٦) انظر: صحيح البخارى فى الأدب، باب: تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه (ج٤ ص ٨٠)، ومسلم فى الآداب (١٧، ١٨، ١٩) وابن ماجة فى الأدب، باب تغيير الأسماء (٣٧٣٢).

وكان ﷺ يأخذ تعبير الرؤيا، من معانى الأسماء، كما فعل مرة فى منام رآه قال: «أرأيت فى منامى كأنى فى دار عقبة بن رافع وأتينا برطب ابن طاب، فأولت الرفعة لنا فى الدنيا، والعاقبة لنا فى الآخرة، وأن ديننا قد طاب يعنى أن الذى اختاره الله لهم، قد أرطب وطاب»(١).

ومرة أخرى أشار أن تحلب شاة، فقام شخص ليحلبها، قال: «ما اسمك؟» قال: مرة. قال: «اقعد» فقام آخر. فقال: «ما اسمك؟» قال: حرب. قال: «اقعد». فقام آخر فقال: «ما اسمك؟» قال: حرب . قال: «اقعد». فقام آخر فقال: «ما اسمك؟» فقال: يعيش. قال: «احلب»(٢) وكذا الطرق، والمنازل، المكروهة الأسماء، كان يتجنب عبورها والنزول بها، لسبب ارتباط بين الأسماء ومسمياتها.

وكان إياس بن معاوية إذا رأى شخصا. قال: ينبغى أن يكون اسمه كذا، وقلما يخطىء فى ذلك، ولما كانت الأنبياء صلوات الله عليهم أشرف الخلق وأكملهم، وأخلاقهم وأعمالهم أشرف الأخلاق والأعمال، وأسماؤهم أشرف الأسماء، فلهذا الوجه أمر ﷺ بالتسمى بأسمائهم. وفى سنن النسائى: «تسموا بأسماء الأنبياء»(٣).

وأما الكنية، ففيها نوع إكرام، وقد كنى رسول الله ﷺ، صهيبا: أبا يحيى وأمير المؤمنين، وعليا: أبا تراب، مع كنيته الأولى أبو الحسن، وكانت أحب كناه إليه، وكنى صنو أنس الطفل: أبا عميرة، ولم يثبت فى المنع عن التكنى شىء إلا حديث «وتسموا باسمى ولاتكنوا بكنيتى»(٤) وللعلماء فى هذه المسألة أقوال:

بعضهم يقول: يجوز أن يتكنى أحد بأبى القاسم مطلقا. سواء كان اسمه

---

(١) لم نعثر عليه وانظر تحفة المودود بأحكام المولود (ص ٤٢) ومابعدها.

(٢) أخرجه مالك فى الموطأ فى كتاب الاستئذان، باب: مايكره من الأسماء، حديث رقم (٢٤) وهو حديث مرسل أو معضل، وصله ابن عبد البر من طريق أبى وهب عن ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد عن عبدالرحمن بن جبير عن يعيش الغفارى.

(٣) رواه السيوطى فى جمع الجوامع (ج٢ ص ٤٣٤) وانظر تحفة المودود (ص ٨٦).

(٤) تقدم تخريجه فى الحديث قبله.

محمدا أو غير محمد، وهذا القول منقول عن الشافعي.

القول الثاني: أنه لايجوز الجمع بين اسمه ﷺ وكنيته، كما ورد في حديث الترمذي «ومن تسمى باسمي، فلايتكنى بكنيتي، ومن تكنى بكنيتي فلا يتسمى باسمي»[١] وهذا الحديث مقيد ومفسر لذلك الحديث.

القول الثالث: أن الجمع بين الاسم والكنية جائز، وهذا مذهب مالك، واستدلاله بحديث أمير المؤمنين عليّ حيث قال: «يارسول الله: إن ولد لي من بعدك ولد، أسميه باسمك، وأكنيه بكنيتك؟ قال: نعم. قال علي: وكانت رخصة لي»[٢] صححه الترمذي.

وحديث عائشة قالت: «جائت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يارسول الله: إني قد ولدت غلاما فسميته محمدا، وكنيته أبا القاسم، فذكر لي أنك تكره ذلك فقال: «ما الذي أحل اسمي وحرم كنيتي»، أو «ما الذي حرم كنيتي وأحل أسمي».

وهذه الطائفة تقول: أحاديث المنع، منسوخة بهذين الحديثين.

القول الرابع: أن التكني بأبي القاسم كان ممنوعا في حياة رسول الله ﷺ، وأما بعد وفاته فجائز، لأن سبب المنع: أن شخصا بالبقيع، نادى شخصا، وقال: يا أبا القسم، فالتفت رسول الله ﷺ، فقال المنادي: يارسول الله أنادي غيرك. فقال: «تسموا باسمي، ولاتكنوا بكنيتي»[٣] فيكون مخصوصا بزمانه ﷺ.

وحديث عليّ، يشير إلى هذا المعنى، وقال بعض العلماء، ممن لايعرج

---

(١) أخرجه أبو داود في الأدب. باب من رأى أن لايجمع بينهما برقم (٤٩٦٦)، وأحمد في المسند (٢/٣١٢، ٤٥٥) وانظر ضعيف الجامع حيث عزاه إلى أحمد والبيهقي وقال: ضعيف (٥٥٣٥).

(٢) أخرجة أبو داود في الأدب، باب الرخصة في الجمع بينهما برقم (٤٩٦٧)، والترمذي في الأدب، باب ماجاء في كراهية الجمع بين اسم النبي وكنيته وقال صحيح (١٠/٢٨٧)، وأحمد في المسند (١/٩٥).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب (ج٤ ص ٧٩).

على قوله: ثبت النهى عن التكنى بكنية رسول الله ﷺ، فلايجوز التكنى بكنيته، وكذا التسمى باسمه، فلا ينبغى أن يجوز، والصواب من هذه المقالات أن التسمى باسمه جائز، بل مستحب لقوله: «وتسموا باسمى»(١) والتكنى بكنيته ممنوع.

والمنع كان فى حياته أقوى وأشد، والجمع بين اسمه وكنيته ممنوع، والجواب عن حديث عائشة رضى الله عنها أنه غريب، فلا يعارض الصحيح، وفى حديث علىّ نظر ومع ذلك ثبت أنه قال: رخصة لى، وذا دلالة بقاء المنع، والله تعالى أعلم.

فصل

قول الرسول فى تسمية العنب كرما

ونهى رسول الله ﷺ أن يسمى العنب كرما، لأن الكرم قلب المؤمن، وفى هذا النهى وجهان:

أحدهما: أن النهى عن تخصيص العنب بهذا الاسم، والحال أن قلب المؤمن من أولى بذلك، فلايكون ذلك منعا عن تسمية العنب بالكرم، بل يكون نهيا عن تخصيص العنب بهذا الاسم.

الوجه الثانى: المنع عن تسمية العنب كرما، لأن تسمية الشجرة التى هى أصل أم الخبائث بالكرم، والخير يؤدى إلى مدح المحرمات، وتهييج النفوس الى ذلك، والله أعلم.

ومنع ﷺ أن تسمى العشاء العتمة، وقال: «لتغلبنكم الأعراب على اسم

---

(١) أخرجه البخارى فى الأنبياء. باب كنية النبى ﷺ (ج٢ ص ٢٧٠)، ومسلم فى الآداب باب: النهى عن التكنى بأبى القاسم. . (٨) وأبو داود فى الأدب. باب: فى الرجل يتكنى بأبى القاسم برقم (٤٩٦٥)، وأحمد فى المسند فى مواضع متفرقة.

(٢) متفق عليه وانظر نيل الأوطار (ج٢ ص٩) حيث أورده الشوكانى بلفظه.

صلاتكم ألا وإنها العشاء، وأنهم يسمونها العتمة»[٢] وورد فى حديث آخر: «لو يعلمون مافى العتمة والصبح لاتوهما ولو حبوا» قال بعضهم: المنع منسوخ بالجواز.

وقال بعضهم: الجواز المنسوخ بالمنع، والصواب أنه ليس بين الحديثين تعارض، بل لم ينه أن يطلق اسم العتمة بالكلية بل نهى أن يهجر اسم العشاء، ويكتفى بالعتمة، حتى ولو سماها بالعشاء تارة، وبالعتمة تارة جاز، والله أعلم.

باب
أذكار النبى صلى الله عليه وسلم

فصل
فى أذكار النبى ﷺ

قالت عائشة رضى الله عنها: كان النبى ﷺ يذكر الله على كل أحيانه[١]، يعنى فى جميع أوقاته، وكان لايعوقه شيء، عن ذكر الحق سبحانه، لأن جميع كلامه كان فى ذكر الله، والأمر والنهى والتشريع للأمة، وكله ذكر، وبيان الأسماء والصفات، وأحكام الله تعالى، والوعد والوعيد، وكل هذا ذكر، والثناء والدعاء والتمجيد، والتحميد والتسبيح، والسؤال، والترهيب والترغيب، بالكلية ذكر الحق سبحانه، وحال سكوته أيضا، كان قلبه وضميره فى الذكر، فتكون أنفاسه مشتملة على الذكر، وحالة قيامه، وقعوده، ورقوده، وذهابه، وإيابه، وجميع حالاته، لاينفك فيها عن ذكر الله.

وكان إذا استيقظ من منامه قال: «الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»[٢] وروت عائشة رضى الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان إذا هب من الليل كبر عشرا، وحمد عشرا، وقال: سبحان الله وبحمده، عشرا، وقال: سبحان الملك القدوس عشرا، واستغفر الله عشرا، وهلل عشرا، ثم قال: اللهم إنى أعوذ بك من ضيق الدنيا، وضيق يوم القيامة عشرا، ثم يفتتح الصلاة»[٣].

وعنها أيضا: أن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ، قال: لا إله إلا أنت سبحانك، اللهم أستغفرك لذنبى، وأسألك رحمتك، اللهم زدنى علما، ولاتزغ قلبى بعد إذ هديتنى، وهب لى من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب» وهذان الخبران ثبتا فى سنن أبى داود.

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه برقم (٣٧٣)، وأبو داود برقم (١٨)، والترمذى برقم (٣٣٨١).

(٢) أخرجه البخارى (ج١١ ص ٩٦، ٩٧و ١١١)، وأبو داود برقم (٥٠٤٩)، والترمذى (٣٤١٣).

(٣) انظر صحيح مسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب (٢٦) الدعاء فى صلاة الليل وقيامه حديث رقم (٧٧١ ج١ ص ٥٣٤ ـ ٥٣٦)، والنسائى (٢/ ١٢٩).

وروى البخارى فى صحيحه: أن النبى ﷺ قال: «من تعار من الليل، فقال: لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شىء قدير، الحمد لله وسبحان الله، والله أكبر، ولاحول ولا قوة إلا بالله ثم قال: اللهم اغفر لى أو دعا استجيب له فإن توضأ وصلى قبلت صلاته(١).

وقال ابن عباس: بت ليلة فى بيت خالتى ميمونة، فرأيت رسول الله ﷺ لما استيقظ من النوم، نظر الى السماء، وقرأ عشر آيات من أخر سورة آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾(٢) إلى آخر السورة.

ثم قال: «اللهم أنت نور السموات والأرض، ومن فيهن، فلك الحمد، أنت قيوم السموات والأرض، ومن فيهن، فلك الحمد، أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لى، ماقدمت وما أخرت، وما أسررت، وما أعلنت، أنت إلهى، لا إله إلا أنت، ولاحول ولاقوة إلا بالله»(٣).

وروت عائشة رضى الله عنها: أن النبى ﷺ كان إذا استيقظ من نومه قال: «اللهم رب جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنى لما اختلفت فيه من الحق بإذنك، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم»(٤).

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٩٠.

(٣) متفق عليه أخرجه البخارى فى كتاب الدعوات باب (٦٠) قول النبى صلى الله عليه وسلم: «اللهم اغفر لى ماقدمت وما أخرت» حديث رقم (٦٣٩٨ ج ١١/١٩٦)، ومسلم فى كتاب الإيمان باب (٩٢) حديث رقم (٢١٤ ج١ ص ١٩٦)، والإمام أحمد فى مسنده (٤/٤١٧ و٥/ ٢٧٠ و٦/٩٣) وانظر صحيح البخارى (ج٨ ص ١٧٥).

(٤) انظر صحيح مسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب (٢٦) الدعاء فى صلاة الليل وقيامه حديث رقم (٧٧١ ج١ ص ٥٣٤ ـ ٥٣٦)، والنسائى (٢/١٢٩) فى الافتتاح، باب نوع آخر من الدعاء بين التكبير والقراءة، عن جابر بن عبدالله.

وكان فى بعض الأحيان يفتتح الصلاة بهذا الدعاء، وكان إذا فرغ من صلاة الوتر قال: «سبحان الملك القدوس سبحان الملك القدوس، سبحان الملك القدوس»[١] وكان فى الثالثة يرفع صوته، وكان إذا أراد الخروج من بيته يقول: «بسم الله توكلت على الله، اللهم إنى أعوذ بك أن أَزل أو أُزل، أو أَضل أو أُضل، أو أَجهل أو يُجهل على»[٢].

قال ﷺ: «من قال - يعنى - إذا خرج من بيته: «بسم الله توكلت على الله لاحول ولاقوة إلا بالله يقال له: كفيت، ووقيت، وهديت، وتنحى عنه الشيطان».

وقال ابن عباس: لما بت فى بيت خالتى ميمونة، سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم، لما خرج من حجرته، يريد صلاة الصبح، فى المسجد. يقول: «اللهم اجعل فى قلبى نورا، وفى لسانى نورا، واجعل فى سمعى نورا، واجعل فى بصرى نورا، واجعل من خلفى نورا، ومن أمامى نورا، واجعل من فوقى نورا، ومن تحتى نورا، اللهم اعطنى نورا»[٣].

قال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد خرج من بيته، يريد الصلاة، فقال: «اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاى هذا إليك، فإنى لم أخرج بطرا، ولا أشرا، ولارياء، ولاسمعة، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذنى من النار، وأن تغفر لى ذنوبى، إنه لايغفر الذنوب إلا أنت، إلا قيض الله له سبعين ألف ملك، يسألون له الرحمة، وأقبل الله بوجهه الكريم عليه حتى يفرغ من صلاته»[٤].

---

(١) اخرج مثله أبو نعيم الأصبهانى فى حلية الأولياء (ج٣ ص ٢٠٨ - ٢٠٩)، وذكره البيهقى فى كتاب الأسماء والصفات (ج١ ص ١٧) وصحيح مسلم (٤٨٧)، وأبو داود (٨٧٢)، والنسائى (٢/ ٢٢٤).

(٢) انظر المدخل إلى السنة (ص ٢٠) وسنن أبى داود (١٥٤٥)، والنسائى (٣/ ٥٦).

(٣) لم نعثر عليه فيما بين أيدينا من مصادر.

(٤) لم نعثر عليه فيما تحت أيدينا من مراجع.

وفى سنن أبى داود، من قال عند دخول المسجد: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم، إلا قال الشيطان حفظ منى سائر اليوم»(١).

وقال ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبى ﷺ وليقل اللهم افتح لى أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل اللهم إنى أسألك من فضلك»(٢).

وكان النبى ﷺ إذا دخل المسجد قال: «اللهم صل على محمد وسلم، اللهم اغفر لى ذنوبى، وافتح لى أبواب رحمتك». وكان إذا صلى الصبح، جلس فى مصلاه إلى طلوع الشمس، ثم صلى ركعتين.

وورد فى فضل ذلك، أحاديث كثيرة تزيد على عشرة. وقال: هذا عمل يعدل حجة وعمرة تامة تامة. وكان يقول عند الصباح: «اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور، أصبحنا وأصبح الملك لله، والحمد لله ولا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير، رب أسألك خير ما فى هذا اليوم، وخير ما بعده، وأعوذ بك من شر هذا اليوم، وشر مابعده، وأعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب النار، وعذاب القبر» وكان يقول عند المساء «أمسينا وأمسى الملك لله»(٣) إلى آخره.

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: يارسول الله علمنى كلمات أقولها فى الصباح والمساء، قال: قل: «اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه،أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه (ج١ ص ٢٦).

(٢) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى حميد وانظر دور المساجد فى الإسلام (ص ٣٧).

(٣) أخرجه الأربعة، ورواه الترمذى فى كتاب الدعوات باب (١٣) ماجاء فى الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى حديث رقم (٣٣٩١ ج٥ ص ٤٦٥، ٤٦٦)، وأبو داود فى كتاب الأدب باب مايقول إذا أصبح حديث رقم (٥٠٦٨ ج٤ ص ٣١٧) وذكره صاحب السلام (ج٤ ص ٤٣٣).

نفسى، ومن شر الشيطان وشركه، وأن اقترف على نفسى سوءاً أو أجره إلى مسلم»(١). قل هذا عند الصباح، والمساء، ووقت النوم. وقال: ما من عبد يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة: «بسم الله الذى لايضر مع اسمه شىء فى الأرض، ولا فى السماء، وهو السميع العليم، ثلاث مرات لم يضره شىء»(٢).

قال: «من قال حين يمسى، وإذا أصبح: «رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا، كان حتما على الله أن يرضيه» وقال: من قال حين يصبح، أو يمسى: «اللهم إنى أصبحت أشهدك، وأشهد حملة عرشك وملائكتك، وجميع خلقك، بأنك أنت الله، لا إله إلا أنت وحدك، لاشريك لك، وأن محمدا عبدك ورسولك، أعتق الله ربعه من النار، ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار، ومن قالها ثلاثا أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار، ومن قالها أربعا أعتقه الله من النار»(٣).

وقال: من قال حين يصبح: «اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لاشريك لك، فلك الحمد، ولك الشكر، «فقد أدى شكر يومه، ومن قال ذلك حين يمسى فقد أدى شكر ليلته»(٤).

ولم يكن ﷺ يدع هؤلاء الكلمات، حين يمسى وحين يصبح «اللهم إنى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة، اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى، وأهلى ومالى، اللهم استر عوراتى وآمن روعتى، اللهم احفظنى من

(١) أخرجه أبو داود فى سننه برقم (٥٠٦٧)، والترمذى برقم (٣٣٨٩) وسنده حسن وصححه ابن حبان برقم (٢٣٤٩) وأخرجه الحاكم فى المستدرك (٥١٣/١) وقال صحيح ووافقه الذهبى.

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه حديث رقم (٥٠٨٨)، والترمذى حديث رقم (٣٣٨٥)، وأحمد فى مسنده (٤٤٦) و(٤٧٤)، وابن ماجه (٣٦٩) وسنده صحيح، وصححه ابن حبان برقم (٢٣٥٢)، والحاكم (ج١ ص ٥١٤) ووافقه الذهبى، وذكره النووى فى رياض الصالحين ص (٥٤٨).

(٣) لم نجده فيما تحت أيدينا من مراجع.

(٤) لم نجده فيما وقع تحت أيدينا من مراجع.

بين يدى، ومن خلفى، وعن يمينى، وعن شمالى، ومن فوقى، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى، أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين، اللهم إنى أسألك خير هذا اليوم، فتحه، ونصره، ونوره، وبركته، وهداه، وأعوذ بك من شر ما فيه وشر مابعده»(١).

وكان إذا صار المساء يقول: «أمسينا وأمسى الملك لله» إلى آخره. وقال لبعض بناته قولى حين تصبحين: «سبحان الله وبحمده، لا قوة إلا بالله، ماشاء الله كان، ومالم يشأ لم يكن، أعلم أن الله على كل شىء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شىء علما، فإن من قالهن حين يصبح حفظ حتى يمسى، ومن قالهن حين يمسى حفظ حتى يصبح»(٢).

وقال لبعض الصحابة: ألا أعلمك كلمات أن قلتهن أبدل الله همك فرجا، وأدى دينك؟ قال: بلى يارسول الله. قال: «إذا أصبحت وإذا أمسيت: «اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال»(٣).

قال الراوى: ففعلت فأبدل الله تعالى همى وغمى فرجا، وقضى دينى، وقال: «من قال عند الصباح والمساء: اللهم إنى أصبحت منك فى نعمة

---

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب الأدب باب مايقول إذا أصبح حديث رقم (٥٠٧٤ ج ٣١٨/٤، ٣١٩)، وابن ماجه فى كتاب الدعاء باب (١٤) مايدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى وإذا آوى إلى فراشه حديث رقم (٣٨٧١ ج٢/١٢٧٣، ١٢٧٤)، وابن حبان فى كتاب الأذكار باب (١٠) ما يقول إذا أصبح وإذا أمسى وإذا آوى إلى فراشه حديث رقم (٢٣٥٦)، موارد الظمآن (ص ٥٨٥ ـ ٥٨٦).

(٢) أخرج نحوه الشيخان انظر صحيح البخارى فى كتاب الدعوات باب (٦٥) فضل التسبيح حديث رقم (٦٤٠٥ ج١١ ص ٢٠٦)، ومسلم فى كتاب الذكر والدعاء.. الخ باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء رقم (٢٦٩١ ج ٢٠٧١/٤)، والترمذى فى كتاب الدعوات (ج٥ ص ٥١٠ ـ ١١) برقم (٣٤٦٣)، وأحمد فى مسنده (٣٠٢/٢ ـ ٣١٠ ـ ٣٧٥ ـ ٥١٥).

(٣) أخرجه النسائى (ج٨ ص ٢٦٥) فى كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من غلبة الدين.

وعافية وستر، فأتم على نعمتك وعافيتك وسترك، كفاه الله هموم الدنيا والآخرة»[(١)].

وجاء شخص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله إنى تصيبنى آفات كثيرة، فقال ﷺ: «قل عند كل صباح: بسم الله على نفسى وأهلى فإنك لاتصاب»[(٢)].

وقال لفاطمة رضى الله عنها: ما الذى يمنعك أن تسمعى ما أوصيك به: تقولين إذا أصبحت وإذا أمسيت: «ياحى ياقيوم، بك أستغيث، فاصلح لى شأنى كله، ولاتكلنى إلى نفسى طرفة عين»[(٣)].

وقال: «من قال فى كل يوم حين يصبح وحين يمسى: حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، سبعا كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة»[(٤)].

وقال صلى الله عليه وسلم: «من قال فى أول النهار: اللهم أنت ربى، لا إله إلا أنت، عليك توكلت، وأنت رب العرش العظيم، ماشاء الله كان، ومالم يشأ لم يكن، لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، أعلم أن الله على كل شىء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شىء علما، اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربى على صراط

---

(١) لم نجده

(٢) لم نجده فى المصادر التى بأيدينا.

(٣) انظر سنن أبى داود فى كتاب الأدب، باب مايقول إذا أصبح حديث رقم (٥٠٧٤ ج ٤/٣١٨ ـ ٣١٩)، وابن ماجه فى كتاب الدعاء باب (١٤) مايدعو به الرجل إذا أمسى حديث رقم (٣٨٧١ ج٢ ص١٢٧٣، ١٢٧٤)، وابن حبان فى كتاب الأذكار باب (١٠) ما يقول إذا أصبح وإذا أمسى وإذا آوى إلى فراشه حديث رقم (٢٣٥٦) موارد الظمآن (ص ٥٨٥ ـ ٥٨٦).

(٤) أخرج البخارى فى صحيحه (ج٨ ص ١٧٢) عن ابن عباس: «حسبنا الله ونعم الوكيل» قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: «إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» وانظر مسند الإمام أحمد (ج٦ ص ٢٤).

مستقيم. لم تصبه مصيبة حتى يمسى، ومن قالها فى أول الليل لم تصبه مصيبة حتى يصبح»(١).

وقال ﷺ: «سيد الاستغفار: اللهم أنت ربى، لا إله إلا أنت خلقتنى، وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ماصنعت، أبوء لك بنعمتك على، وأبوء بذنبى، فاغفر لى، فإنه لايغفر إلا أنت».

«من قالها فى أول النهار موقنا بها، فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل، وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة»(٢).

وقال: «ومن قال حين يصبح وحين يمسى: «سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة مما جاء به إلا أحد قال: مثل ماقال، أو زاد عليه»(٣).

وقال: «من قال إذا أصبح لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، كان له عدل رقبة، من ولد اسماعيل ﷺ، وكتب له عشر حسنات، وحط عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وكان فى حرز من الشيطان حتى يمسى، وإن قالها إذا أمسى، كان له مثل ذلك حتى يصبح، ومن قالها فى يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان، يومه ذلك حتى يمسى، ولم يأت بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه»(٤).

---

(١) لم نجده فى المصادر التى بأيدينا.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه (ج١١ ص ٨٣، ٨٤).

(٣) متفق عليه أخرجه البخارى فى صحيحه (١١/١٦٨، ١٦٩)، ومسلم (٢٦٩١)، وأخرجه مالك فى الموطأ (١/٢٠٩)، والترمذى برقم (٣٤٦٤).

(٤) متفق عليه. انظر صحيح البخارى (ج١١ ص١٦٩)، ومسلم حديث رقم (٢٦٩٣).

ثبت فى مسند الامام أحمد: «أن النبى ﷺ: علم زيد بن ثابت هذا الدعاء وأمره بالمواظبة على ذلك كل صباح، لبيك اللهم لبيك، وسعديك، والخير كله فى يديك، ومنك وإليك، اللهم ماقلت من قول، أو حلفت من حلف، أو نذرت من نذر، فمشيئتك بين يدى ذلك كله، ماشئت كان ومالم تشأ لم يكن، ولاحول ولا قوة إلا بك إنك على كل شىء قدير.

اللهم ماصليت من صلاة، فعلى من صليت، ومالعنت من لعن، فعلى من لعنت، أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما، وألحقنى بالصالحين، اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، ذا الجلال والإكرام، فإنى على عهدك فى هذه الحياة الدنيا، وأشهدك وكفى بك شهيداً بأنى أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك، لاشريك لك، لك الملك ولك الحمد، وأنت على كل شىء قدير.

وأشهد أن محمدا عبدك ورسولك، وأشهد أن وعدك حق، ولقاءك حق، والساعة حق، آتية لاريب فيها، وأنك تبعث من فى القبور، وإنك أن تكلنى إلى نفسى، تكلنى إلى ضعف، وعورة، وخطيئة، وإنى لا أثق إلا برحمتك، فاغفر لى ذنوبى كلها، إنه لايغفر الذنوب إلا أنت، وتب على إنك أنت التواب الرحيم»(١).

وكان يقول عند الصباح: «اللهم إنى أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو، أصبح الأمر بيد غيرى، وأصبحت مرتهنا بعملى، فلا فقير أفقر منى، اللهم لاتشمت بى عدوى ولاتسوء فى صديقى، ولاتجعل مصيبتى فى دينى ولاتجعل الدنيا أكبر همى، ولا مبلغ علمى، ولاتسلط على من لايرحمنى، اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك المصير.

الله عالم الغيب والشهادة، فاطر السموات والأرض، رب كل شىء، وملكيه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسى، ومن شر

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده، وانظر صحيح البخارى فى كتاب الدعوات باب (٢) أفضل الاستغفار حديث رقم (٦٣٠٦ ج ٩٧/١١، ٩٨)، والترمذى فى كتاب الدعوات باب (١٥) حديث رقم (٣٣٩٣ ج٥/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨).

الشيطان، وشركه، سبحان الله وبحمده، لاحول ولاقوة إلا بالله، ماشاء الله كان، ومالم يشأ لم يكن. أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما، فسبحان الله حين تمسون، وحين تصبحون، وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون، يخرج الحى من الميت، ويخرج الميت من الحى، ويحيى الأرض بعد موتها، وكذلك تخرجون. اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة. اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى، وأهلى ومالى.

اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى. اللهم احفظنى من بين يدى، ومن خلفى، وعن يمينى، وعن شمالى، ومن فوقى، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى. اللهم أصبحنا نشهدك، ونشهد حملة عرشك، وملائكتك وحملة عرشك[١] وجميع خلقك، أنك أنت الله، لا إله إلا أنت وحدك لاشريك لك، فلك الحمد، ولك الشكر، أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين»[٢].

وكان يقول: «اللهم رحمتك أرجو، فلاتكلنى إلى نفسى طرفة عين، وأصلح لى شأنى كله، لا إله إلا أنت، اللهم إنى أعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء، وأعوذ بك من علم لاينفع، ومن قلب لايخشع، ومن نفس لاتشبع، ومن دعوة لايستجاب لها، وأعوذ بك من زوال نعمتك، ومن تحول عافيتك، وفجاءة نقمتك ومن جميع سخطك[٣].

اللهم إنى أعوذ بك من شر ماعلمت، ومن شر مالم أعلم، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت،

---

(١) هكذا فى الأصول من مخطوطات الكتاب. ويبدو أن هذا سهو من الناسخ.

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب الأدب باب مايقول إذا أصبح حديث رقم (٥٠٧٤ ج ٤/٣١٨، ٣١٩)، وابن ماجه فى كتاب الدعاء باب (١٤) مايدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى وإذا آوى إلى فراشه حديث رقم (٢٣٥٦) موارد الظمآن (ص ٥٨٥ ـ ٥٨٦).

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب الذكر والدعاء باب (٢٦) حديث رقم (٢٧٣٩ ج٤ ص ٢٠٩٧)، وأخرجه أبو داود برقم (١٥٤٥).

وإليك حاكمت، فاغفر لى ماقدمت، وماأخرت، وماأسررت، وما أعلنت، أنت المقدم، وأنت المؤخر[١] لا إله إلا أنت.

اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى ومن شر بصرى، ومن شر لسانى، ومن شر قلبى، ومن شر عينى، اللهم إنى أعوذ بك من التردى، ومن الغرق، والحرق، والهدم، وأعوذ بك من أن يتخبطنى الشيطان عند الموت، وأعوذ بك من أن أموت فى سبيلك مدبرا، وأعوذ بك من أن أموت لدنيا. أعوذ بكلمات الله التامات من شر غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون.

اللهم ألهمنى رشدى، وأعذنى من شر نفسى، وأعوذ بوجه الله العظيم، الذى لاشىء أعظم منه، وبكلمات الله التامات، الذى لايجاوزهن بر ولافاجر، وبأسماء الله الحسنى كلها، ماعلمت منها ومالم أعلم، من شر ماخلق، وذرا وبرا.

اللهم اغفر لى جدى، وهزلى، وخطئى، وعمدى، وكل ذلك عندى، اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى، وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير، واجعل الموت راحة لى من كل شر[٢].

اللهم إنى أسألك الهدى، والتقى، والعفاف، والغنى، رب أعنى، ولاتعن على، وانصرنى، ولاتنصر على، وأمكر لى، ولاتمكر على، واهدنى ويسر لى الهدى، وانصرنى على من بغى على، رب اجعلنى لك شاكرا، لك ذاكرا، لك رهابا، لك مطواعا، لك مخبتا، إليك أواها منيبا، رب تقبل توبتى، واجب دعوتى، واغسل حوبتى، وثبت حجتى، وسدد لسانى، وأيد قلبى، واسلل سخيمة صدرى.

---

(١) متفق عليه أخرجه البخارى (ج١١ ص١٦٥، ١٦٦)، ومسلم حديث رقم (٢٧١٩).

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الذكر والدعاء باب (١٨) التعوذ من شر ماعمل، ومن شر مالم يعمل حديث رقم (٢٧٢٠ ج ٢٨٧/٤) وانظر سبل السلام (ج٤ ص ٤٣٦).

اللهم مارزقتنى مما أحب، فاجعله قوة لى فيما تحب، اللهم مازويت عنى مما أحب فاجعله فراغا لى فيما تحب. اللهم اقسم لنا من خشيتك، ماتحول به بيني وبين معاصيك، ومن طاعتك ماتبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا، وقوتنا، ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولاتجعل الدنيا أكبر همنا، ولامبلغ علمنا، ولاتسلط علينا من لايرحمنا.

اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحينى ما علمت الحياة خيراً لى، وتوفنى إذا علمت الوفاة خيرا لى، وأسألك خشيتك من الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق فى الرضا والغضب، وأسألك القصد فى الفقر والغنى، وأسألك نعيما لاينفد، وقرة عين لاتنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقاءك، فى غير ضراء مضرة، ولافتنة مضلة.

اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهديين، اللهم اجعلنى أعظم شكرك، وأكثر ذكرك، واتبع نصحك، واحفظ وصيتك. اللهم إنى أسألك الصحة، والعفة، والأمانة، وحسن الخلق، والرضا بالقدر.

اللهم طهر قلبى من النفاق، وعملى من الرياء، ولسانى من الكذب، وعينى من الخيانة، فإنك تعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور.

اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى، واجعل علانيتى صالحة، اللهم إنى أسألك من صالح ماتؤتى الناس، من الأهل، والمال، والولد، غير الضال والمضل. اللهم اهدنى وسددنى. اللهم رب السموات والأرض، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء، أنت آخد بناصيته.

اللهم أنت الأول، فليس قبلك شيء، وأنت الآخر، فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر، فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين واغننا من الفقر، يا أرحم الراحمين.

اللهم رب جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك، أنت تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم»[١].

ومهما أمكن ينبغى أن يصلى على النبى ﷺ، وكيفيات الصلاة المنقولة عن حضرته ﷺ كثيرة ذكرناها فى كتاب «الصلاة والبشر».

أحدها: اللهم صلى على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، السلام عليك ورحمة الله وبركاته[٢].

الكيفية الثانية: اللهم صل على محمد، وعلى أهل بيته، كما صليت على إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم صل علينا معهم، اللهم بارك على محمد، وعلى أهل بيته، كما باركت على إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك علينا معهم، صلوات الله وصلوات المؤمنين، على محمد، النبى الأمى، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وجميع ماعد من الكيفيات، ثمان وأربعون.

المروى منها عن سيدنا رسول الله ﷺ ست وثلاثون، والباقى من الصحابة والتابعين. وللعلماء خلاف فى أيها أفضل. قال الشيخ محيى الدين النواوى فى كتاب الأذكار: أفضلها أن يقول: «اللهم صل على محمد عبدك، ورسولك، النبى الأمى، وعلى آل محمد وأزواجه، وذريته كما صليت على

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه مختصرا (جـ٨ ص ٧٨) كتاب الذكر والتوبة والاستغفار باب مايقول عند النوم وأخذ المضجع عن أبى هريرة رضى الله عنه، وذكره الإمام البيهقى فى كتاب الأسماء والصفات بسنده (جـ١ ص ٣٥٧، ٣٥٨) وأخرج جزءا منه كبيرا الإمام الترمذى فى سننه (٣٤٩٧)، والحاكم فى المستدرك (١/ ٥٢٨) من طريق حسن، وذكره النووى فى رياض الصالحين (ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠).

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه برقم (٤٠٥)، والترمذى برقم (٢٣١٨)، وأبو داود (٩٨٠، ٩٨١) والنسائى (٣/ ٤٥، ٤٦).

إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد النبى الأمى، وعلى آل محمد، وأزواجه، وذريته، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، فى العالمين إنك حميد مجيد»[(١)] لأنها جامعة للعبارات التى وردت فى الأحاديث الصحاح.

وقال الإمام إبراهيم المروزى: أفضلها اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كلما ذكره الذاكرون وكلما سها عنه الغافلون.

فصل

ارتداء الرسول لثوب جديد

كان ﷺ إذا لبس ثوبا جديدا، قرأ هذا الدعاء: «اللهم لك الحمد كسوتنيه. أسألك خيره، وخير ماصنع له، وأعوذ بك من شره، وشر ماصنع له».

وقال: «من لبس ثوبا جديدا فقال: الحمد لله الذى كسانى هذا الثوب، ورزقنيه من غير حول منى ولاقوة. غفر له ماتقدم من ذنبه».

وقال أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه: سمعت الرسول ﷺ يقول: «من لبس ثوبا جديدا فقال: «الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى، وأتجمل به فى حياتى، ثم عمد إلى الثوب الذى أخلق فتصدق به كان فى حفظ الله، وفى كنف الله، وفى سبيل الله حيا وميتا»[(٢)].

وكان من عادته ﷺ أنه إذا استجد ثوبا سماه عمامة أو قميصا أو رداء. ورأى ﷺ على علىّ أمير المؤمنين رضى الله عنه ثوبا فقال: أجديد هذا أم غسيل؟ فقال: بل غسيل، فقال: «إلبس جديدا، وعش حميدا، ومت شهيدا».

---

(١) انظر رياض الصالحين للإمام النووى (ص ٥٣١ ـ ٥٣٢).

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه برقم (٤٠٢٠)، والترمذى برقم (١٧٦٧)، وأحمد فى مسنده (جـ٣ ص ٣٠ و٥٠) وهو حسن الإسناد وذكره النووى فى رياض الصالحين (ص ٣٦٤).

فصل

الأدعية المأثورة لرسول الله ﷺ

كان ﷺ إذا رجع إلى بيته قال: «الحمد لله الذى كفانى، وآوانى والحمد لله الذى أطعمنى وسقانى، والحمد لله الذى من على. أسألك أن تجيرنى من النار»(١).

وقال: إذا ولج الرجل بيته فليقل: «اللهم إنى أسألك خير المولج، وخير المخرج، بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا، ثم يسلم على أهل بيته»(٢).

وقال أنس بن مالك: قال لى رسول الله ﷺ: «يابنى إذا دخلت على أهلك، فسلم تكن بركة عليك، وعلى أهل بيتك»(٣).

وقال ﷺ: «ثلاثة كلهم ضامن على الله عز وجل، رجل خرج غازيا فى سبيل الله عز وجل، فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بما نال من أجر أو غنيمة، ورجل راح إلى المسجد، فهو ضامن على الله، حتى يتوفاه، فيدخله الجنة، أو يرده بما نال من أجر أو غنيمة، ورجل دخل بيته بسلام، فهو ضامن على الله سبحان وتعالى»(٤).

---

(١) أخرج مثله أبو داود حديث رقم (٥٠٢٣)، والترمذى حديث رقم (٣٤٥٤)، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم (٣٢٨٥) وحسنه الحافظ ابن حجر فى «أمالى الأذكار» وذكره النووى فى رياض الصالحين (ص ٣٤٠).

(٢) أخرج نحوه الشيخان انظر صحيح البخارى (١١/٢٧)، ومسلم برقم (٢١١٨)، وأبو داود برقم (٥٢٠٢)، والترمذى حديث رقم (٢٦٩٧).

(٣) أخرجه الترمذى حديث رقم (٢٦٩٩) وقال: حديث حسن صحيح، وفى سنده على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، وبقية رجاله ثقات، وفى الباب عند البيهقى عن قتادة مرسلا بلفظ «إذا دخلتم بيتا، فسلموا على أهله، فإذا خرجتم فأدعوا أهله بسلام وسنده جيد، وذكره النووى فى رياض الصالحين (ص ٣٧٨).

(٤) أخرجه أحمد فى مسنده، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه بسند حسن عند أبى هريرة وانظر زاد المسير (ج٦ ص ٣٦).

وكان ﷺ يقول: «إذا دخل الرجل بيته، وذكر الله تعالى عند دخوله، وعند طعامه. قال الشيطان لامبيت لكم، ولاعشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء»(١).

فصل
النبى وأدعيته فى مناسبات معينة

كان ﷺ يقول عند دخول الخلاء: «اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث»(٢) ويأمر بقوله. وفى حديث آخر «لاينبغى أن يعجز أحدكم، إذا أراد دخول الخلاء، أن يقول: «اللهم إنى أعوذ بك من الرجس، والنجس، الخبيث، المخبث، الشيطان الرجيم»(٣).

ومر رجل به ﷺ وهو يبول، فسلم عليه فلم يرد عليه، وقال: «إن الله يبغض العبد لذا» ـ يعنى الكلام فى الخلاء وحالة البول ـ وكان ﷺ يقول: «لاتستقبلوا القبلة، ولاتستدبروها ببول ولابغائط»(٤).

وروى هذا الحديث جماعة من الصحابة، وأما حديث الرخصة الذى رواه الإمام أحمد فى مسنده، عن عائشة أنها قالت: ذكر عند رسول الله ﷺ أن جماعة كرهوا استقبال القبلة حالة البول. فقال منكرا لذلك: «أو قد فعلوا؟ فليجعلوا القبلة تجاه أدبارهم».

فالبخارى إمام أهل الحديث يطعن فيه، ولم يثبته أحد من الأئمة الكبار، وكلام أحمد لايقتضى إثباته، وتحسينه، وأيضا هو منقطع، ومرسل وبعض رواته ضعيف.

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه برقم (٢٠١٨)، وأبو داود (٣٧٦٥)، وابن ماجه برقم (٣٨٨٧).

(٢) أخرجه البخارى (١/ ٢٤٢ برقم ١٤٢)، ومسلم (١/ ٢٨٣، ٢٨٤ برقم ٣٧٥ ـ ٣٧٦)، وأبو داود (٤ ـ ٥ج ١/ ٢)، والترمذى (٥ ـ ٦ج ١٠/ ١٢)، والنسائى (١/ ٢٠)، وابن ماجه (١/ ١٠٨ برقم ٢٩٦)، وأحمد فى مسنده (٣/ ٩٩ ـ ١٠١ ـ ٢٨٢ و ٤/ ٣٦٩ ـ ٣٧٣).

(٣) تقدم تخريجه، وانظر سبل السلام (١/ ١٥٣، ١٥٤).

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٢٢٣ برقم ٢٦٢)، وانظر سبل السلام (١/ ١٦١).

وكان إذا خرج من الخلاء قال: «الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى»[(١)] وأما أذكار الوضوء فقد ذكرناها فى أول الكتاب.

فصل
فى أذكار الأذان

شرع لنا ﷺ خمسة أشياء:

أحدهما: أن السامع يقول مثل مايقول المؤذن، إلا فى لفظ «حى على الصلاة حى على الفلاح» فإنه يبدل ذلك بلا حول ولاقوة إلا بالله، والحديث الذى ورد فى الجمع بين الحوقلة والحيطة، لم يصح وكذا ماورد فى الاقتصار على الحيعلة.

الثانى: أن يقول رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا، وهذا القول يوجب المغفرة.

الثالث: أن يصلى على الرسول ﷺ بعد إجابة المؤذن.

الرابع: أن يدعو بهذا الدعاء: «اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته، إنك لاتخلف الميعاد».

الخامس: أن يدعو لنفسه بما فيه صلاح آخرته ودنياه، وفى بعض الروايات فى مسند الإمام أحمد «من قال بعد أذان المؤذن: اللهم رب هذه الدعوة القائمة، والصلاة النافعة صل على محمد، وارض عنى، رضا لاتسخط بعده، ثم دعا استجيب له»[(٢)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه وذكره صاحب السلام (١/ ١٦٦) وأخرج مثله أبو داود فى كتاب الطهارة، باب مايقول الرجل إذا خرج من الخلاء حديث رقم (٣٠ / ٨/١)، والترمذى فى أبواب الطهارة، باب (٥) مايقول إذا خرج من الخلاء حديث رقم (٧ / ١/ ١٢ وابن ماجه فى كتاب الطهارة، حديث رقم (٣٠٠ ج ١/ ١١٠)، وأحمد فى مسنده (٦/ ١٥٥).

(٢) أخرج مثله البخارى فى كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء حديث رقم (٦١٤) فتح البارى (٢/ ٩٤)، وأبو داود حديث رقم (٥٢٩ ج١ ص١٤٦)، والترمذى حديث رقم (٥٢٩ ج ١/ ١٤٦) والترمذى حديث رقم (٢١١ ج ١/ ٤١٣)، والنسائى (٢/ ٢٧ ـ ٢٨) فى الأذان.

وقالت أم سلمة: علمنى رسول الله ﷺ أن أقول وقت أذان المغرب: «اللهم هذا إقبال ليلك، وإدبار نهارك، وأصوات دعاتك فاغفر لى»[١] وقال أبو أمامة: كان رسول الله ﷺ إذا سمع الأذان قال: «اللهم رب هذه الدعوة التامة، المستجابة، المستجاب لها، دعوة الحق، وكلمة التقوى، توفنى عليها، وأجبنى عليها، واجعلنى من صالح أهلها عملا يوم القيامة»[٢].

وكان ﷺ يقول: «لايرد الدعاء بين الأذان والإقامة» قالوا: فماذا نقول يارسول الله؟ قال: «سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة»[٣].

فصل

تكبيرات الرسول فى عيد الأضحى

فى عشر ذى الحجة كان ﷺ يكثر الدعاء فيه ويأمر بالتهليل، والتكبير، والتحميد، وجاء فى بعض الروايات: أنه ﷺ «يكبر دبر كل صلاة من الفرائض، من صبح عرفة، إلى عصر أيام التشريق، ويقول: «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد»[٤].

وهذا الحديث وإن لم يبلغ إسناده درجة الصحة، لكن عمل أهل الإسلام عليه، ونقل عن الإمام الشافعى، أنه لو زاد على هذا. فقال: الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا، لا إله إلا الله، ولانعبد إلا إياه، مخلصين له الدين، ولو كره الكافرون، لا إله إلا الله، وحده صدق وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله، والله أكبر، يكون حسنا.

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه، وذكره صاحب سبل السلام (١/ ٢٧١).

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك، وأورده صاحب السلام (١/ ٢٧١).

(٣) أخرجه الترمذى فى كتاب الدعوات، باب (١٢٩) فى العفو والعافية حديث رقم (٣٥٩٤ ج٥ ص ٥٧٦، ٥٧٧)، وأحمد (٣/ ٣٣٢ - ١١٩ - ١٥٥ - ٢٢٥ - ٢٥٤) قال ابن القيم: إنه حديث صحيح، وانظر سبل السلام (١/ ٢٧١).

(٤) أخرجه البيهقى والدار قطنى، وفى إسناده عمرو بن بشر وهو متروك عن جابر الجعفى وذكره الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٣ ص ٣١٥).

فصل

ذكر الرسول عند رؤية الهلال

كان ﷺ إذا رأى الهلال قال: «اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربى وربك الله» وفى بعض الأحيان كان يقول: «الله أكبر، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضى، ربنا وربك الله»(١).

وفى سنن أبى داود أن قتادة، بلغه أن نبى الله ﷺ كان إذا رأى الهلال. قال: «هلال خير ورشد(٢) ـ ثلاث مرات ـ آمنت بالذى خلقك، آمنت بالذى خلقك، آمنت بالذى خلقك، الحمد لله الذى ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا»(٣)، وفى إسناده ضعف.

فصل

تسمية الرسول لله عند الطعام

كان رسول الله ﷺ إذا أكل طعاما سمى الله، وكان يأمر بذلك، وقال: «وإذا أكل أحدكم، فليذكر الله تعالى، فإن نسى أن يذكر اسم الله، فى أوله فليقل: بسم الله فى أوله وآخره»(٤).

وعند المحققين من أهل الحديث، أن التسمية فى أول الطعام واجبة، لأن أحاديث الأمر صحيحة، سالمة من المعارضة.

أما إن كان فى جماعة فهل تجزى تسمية أحدهم أم لا؟

---

(١) أخرجه الترمذى برقم (٣٤٤٧)، والدارمى (٢/ ٤)، وذكره النووى فى رياض الصالحين (ص ٤٨٣) وهو حديث حسن.

(٢) الرشد «بضم فسكون وبفتحتين»: ضد الغى.

(٣) أخرجه أبو داود فى سننه حديث رقم (٥٠٩٢) عن قتادة مرسلا، وله شاهد من حديث ابن عمر عند الدارمى (٢/ ٣، ٤)، وابن حبان حديث رقم (٢٣٧٤) يصح به.

(٤) أخرجه أبو داود فى سننه حديث رقم (٣٧٦٧)، والترمذى حديث رقم (١٨٥٩) وقال حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم (٤/ ١٠٨) ووافقه الذهبى.

قال جماعة من العلماء: تجزء، وحديث حذيفة لايوافق قولهم، لأنه قال: حضرنا مع النبى ﷺ طعاما، فجاءت جارية كأنها تدفع، فذهبت لتضع يدها فى الطعام، فأخذ بيدها. ثم جاء أعرابى، فأخذ بيده وقال ﷺ: «إن الشيطان يستحل الطعام أن لايذكر اسم الله عليه، جاء بهذه الجارية فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابى ليستحل به فأخذت بيده، والذى نفسى بيده إن يده لفى يدى مع يديهما، ثم ذكر اسم الله وأكل»(١).

وثبت فى سنن الترمذى من حديث عائشة، أنها قالت: أكل النبى ﷺ الطعام مع ستة من الصحابة، فدخل أعرابى بغتة، وأكل الطعام فى لقمتين فقال ﷺ: «لو أن هذا الأعرابى قال بسم الله لكفاكم هذا الطعام»(٢).

ومحقق أن النبى ﷺ كان قد سمى الله، وكذلك أصحابه، فلو أن تسمية الواحد تكفى عن الباقى، لما احتيج إلى تسمية الأعرابى، وورد فى حديث ضعيف: «من نسى أن يسمى على طعامه فليقرأ قل هو الله أحد إذا فرغ»(٣).

وكان إذا فرغ من الطعام يقول: «الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، غير مكفى ولامودع ولامستغنى عنه ربنا»(٤) وأحيانا كان يقول: «الحمد لله الذى كفانا، وآوانا»(٥) وكان ﷺ يقول: «من أكل أو شرب فقال الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولاقوة، غفر الله له ماتقدم من ذنبه»(٦).

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه، حديث رقم (٢٠١٧)، وأبو داود برقم (٣٧٦٦).

(٢) أخرجه الترمذى حديث رقم (١٨٥٩) وقال حديث حسن صحيح وهو صحيح كما قال، وذكره النووى فى رياض الصالحين (ص ٣٣٩).

(٣) لم نجده.

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه (ج٩ ص ٥٠١، ٥٠٢)، وأخرجه الترمذى برقم (٣٤٥٢)، وأبو داود برقم (٣٨٤٩).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) أخرجه أبو داود حديث رقم (٤٠٢٣)، والترمذى برقم (٣٤٥٤)، وابن ماجه برقم (٣٢٨٥)، وحسنه الحافظ ابن حجر فى «أمالى الأذكار».

وأحيانا كان يقول: «اللهم أطعمت، وسقيت، وأغنيت، وأقتنيت، وهديت، وأحييت فلك الحمد على ما أعطيت»(١) وكان يقول في بعض الأحيان: «الحمد لله الذى من علينا، وهدانا، والذى أشبعنا، وآوانا، وكل الاحسان آتانا»(٢).

وثبت فى حديث آخر: أنه ﷺ قال: «إذا أكل أحدكم طعاما فليقل: اللهم بارك لنا فيه، واطعمنا خيرا منه، وإذا أكل لبنا فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه»(٣). وكان ﷺ إذا شرب الماء شربه على ثلاثة أنفاس، يقول فى أول كل نفس: بسم الله، وفى آخره الحمد لله، ونهى أن يتنفس فى الإناء»(٤).

فصل
الأذكار عند الطعام

كان ﷺ فى بعض الأحيان إذا دخل البيت يقول: «هل عندكم طعام، فإن أحضروا شيئا وكان موافقا لمزاجه أكل، وإلا ترك وماعاب طعاما قط، إن اشتهى أكل وإلا تركه»(٥).

وكان يمدح الطعام فى بعض الأحيان كقوله: «نعم الإدام الخل»(٦) وغير ذلك، وإن لم يحضروا شيئا، ينوى الصيام. ويقول: «إنى اليوم صائم»(٧) وكان يتكلم على الطعام ويكرر عرض الطعام على الضيفان كما هو عادة

---

(١) انظر: رياض الصالحين (ص ٣٤٠) ومابعدها.

(٢) انظر صحيح مسلم حديث (٢٧٣٤).

(٣) أخرج مثله الترمذى برقم (١٨٨٦) وقد ضعفه الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (ج١٠).

(٤) متفق عليه أخرجه البخارى (١/ ٢٢١ و٢٢٢ و٨٠/ ٨٠)، ومسلم برقم (٢٦٧) (٦٥) واللفظ له، والترمذى برقم (١٨٩٠) والنسائى ١/ ٤٣.

(٥) متفق عليه أخرجه البخارى ٩/ ٤٧٧ ومسلم برقم (٢٠٦٤) وأبو داود (٣٧٦٣) والترمذى (٢٩٣٢).

(٦) أخرجه مسلم (٢٠٥٢)، وأبو داود (٣٨٢٠، ٣٨٢١)، والترمذى (١٨٤٠- ١٨٤٣)، والنسائى (٧/ ١٤).

(٧) أخرجه مسلم (١٤٣١).

الكرام، كما ورد فى حديث أبى هريرة، وقصة شرب اللبن، وقوله ﷺ: «اشرب فشرب، فقال: اشرب فشرب، فقال: اشرب فشرب، ولم يزل يكرر حتى قال: لا والذى بعثك بالحق نبيا لا أجد له مسلكا»(١).

وكان ﷺ: إذا أكل طعام قوم دعا لهم، فقال: اللهم بارك لهم فيما رزقتهم، واغفر لهم وارحمهم» وفى بعض الأحيان كان يقول: «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة»(٢) وصنع أبو الهيثم بن التيهان طعاما فدعا النبى ﷺ وأصحابه، فلما فرغوا قال: «أثيبوا أخاكم» قالوا يارسول الله وما إثابته؟. قال: «إن الرجل إذا دخل بيته، وأكل طعامه، وشرب شرابه فدعوا له فذلك إثابته».

وكان ﷺ يقول: «إذا أكلتم طعاما فأذيبوه بذكر الله عز وجل، والصلاة ولاتناموا عليه، فتقسوا به قلوبكم»(٣) وأخذ ﷺ بيد مجزوم، فوضعها معه فى القصعة. فقال «كل بسم الله، ثقة بالله، وتوكلا على الله»(٤) وثبت أنه قال: «فر من المجزوم كما تفر من الأسد»(٥). والتطبيق بينهما ظاهر، وكان يأمر بالأكل باليمين وينهى عن الأكل بالشمال، لأن الشيطان يأكل ويشرب بشماله وشكوا إليه فقالوا: إنا نأكل ولانشبع قال: «فلعلكم تفرقون؟» قالوا نعم. قال: «فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله عليه، يبارك لكم فيه»(٦).

---

(١) أنظر صحيح مسلم (٢٠٢٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٥٤) وإسناده صحيح، وصححه ابن حبان (١٣٥٣) من حديث عبدالله بن الزبير.

(٣) لم نجده فيما وقع لنا من مراجع.

(٤) لم نجده فيما تحت أيدينا من مراجع.

(٥) أخرجه البخارى فى الطب (٢/ ٢٦٤) وفى أوله «لاعدوى ولاطيرة ولاهامة ولاصفر» وأخرج ابن خزيمة فى كتاب التوكل له شاهدا من حديث عائشة «لاعدوى وإذا رأيت المجذوم ففر منه كما تفر من الأسد» فتح البارى (١٢/ ٢٦٥)، وأخرجه بلفظه أبو الشيخ الأصبهانى فى كتاب الأمثال (ص ٦٨ برقم ١٦٣).

(٦) أخرجه أبو داود (٣٧٦٤)، وأحمد فى مسنده (٣/ ٥٠١)، وابن ماجه (٣٢٨٦)، وابن حبان (١٣٤٥)، والحاكم (٢/ ١٠٣) وسنده ضعيف، والحديث حسن لأن له شواهد فى معناها. انظرها فى الترغيب والترهيب للحفاظ المنذرى (ج٣ ص ١١٥و ١٢١)، وذكره النووى فى رياض الصالحين (ص ٣٤٢).

فصل
فى السلام والآداب النبوية فى هذا الباب

ثبت فى الصحيح أنه ﷺ قال: «أفضل الإسلام وخيره أطعام الطعام وأن تقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف»[١] وفى الصحيح أيضا: «لما خلق الله آدم قال له: اذهب فسلم على أولئك القوم ـ نفر من الملائكة جلوس ـ فاستمع مايحيونك، فإنها تحيتك، وزينتك، فقال: «السلام عليكم، فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوا ورحمة الله»[٢].

وكان النبى ﷺ دائما يأمر بإفشاء السلام، ويقول: «أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم تحابوا» وقال: «لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولاتؤمنوا حتى تحابوا»[٣].

وفى صحيح البخارى قال عمار: «ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الاقتار»[٤] وهذا الكلام يتضمن جميع أصول الخيرات وفروعها، لأن الإنصاف يوجب أداء حقوق الخالق والمخلوق على الوجه الأكمل، وبذل السلام لجميع الناس يتضمن أن لاينكر أحد على أحد، وإنفاق المال عن قلة وفقر، يقتضى الوثوق بالله.

وأنت إذا جمعتها علمت أنها جامعة فروع الإيمان وأصوله، وكان ﷺ يمر على الصبيان فيسلم عليهم وأيضا كان يسلم على العجائز والمساكين. وكان يقول: «يسلم الكبير، على الصغير، والمار على القاعد، والراكب على

---

(١) أخرجه البخارى (١/ ٥٢، ٥٣)، ومسلم برقم (٣٩)، وأحمد فى (مسنده ج٥ ص ٤٥١)، وابن ماجة (١٣٣٥) و(٣٢٥١)، والدرامى (١/ ٣٤٠) وإسناده صحيح، وصححه الحاكم (٣/ ١٣) ووافقه الذهبى. وله شاهد من حديث أبى هريرة عند الحاكم (٤/ ١٢٩).

(٢) متفق عليه أخرجه البخارى (ج١١ ص ٢، ٦)، ومسلم حديث رقم (٢٠٦٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٥٤)، وأبو داود حديث رقم (٥١٩٣)، والترمذى حديث رقم (٢٦٨٩).

(٤) أخرج نحوه الشيخان انظر صحيح البخارى (ج١ ص ٥٢، ٥٣)، ومسلم حديث رقم (٣٩)

الماشى، والقليل على الكثير، فإن تساووا فى هذه الصفات، فالبادئ أفضل»[١] وقال: «أقرب الخلق إلى الله وأولاهم به، الذى يبدأ بالسلام»[٢].

وكان من العادة النبوية أنه ﷺ إذا دخل سلم ، وإذا رجع سلم. وقال: «إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم، فإن بدا له أن يجلس فليجلس. ثم إذا قام فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة»[٣].

وقال فى موطن آخر: «إذا لقى أحدكم صاحبه فليسلم عليه، فإن حال بينهما شجرة أو جدار ثم لقيه فليسلم عليه أيضا»[٤] وكان ﷺ إذا دخل المسجد ابتدأ بتحية المسجد فصلى ركعتين، ثم سلم على الحاضرين، لأن حق الله فى مثل هذه الصورة مقدم على حق العباد، وكان إذا جاء إلى البيت بليل سلم سلاما يسمعه المستيقظون، ولاينتبه منه الراقدون.

وقال: «السلام قبل الكلام، ولاتدعوا أحدا إلى طعام حتى يسلم»[٥]. ولئن كان فى إسناد هذا الحديث ضعف، فعمل أهل الإسلام عليه، وفى حديث آخر: «السلام قبل السؤال فمن بدأكم بالسؤال فلا تجيبوه»[٦].

وفى بعض الروايات أنه كان لايأذن بالدخول لمن لايسلم. وقال: «ولاتأذنوا لمن لم يبدأ بالسلام»[٧]. وقال كلدة بن حنبل: أرسلنى صفوان بن

---

(١) متفق عليه أخرجه البخارى (١١/ ١٣) ومسلم برقم (٢١٦٠)، وأبو داود (٥١٩٨، ٥١٩٩) والترمذى (٢٧٠٤)، (٢٧٠٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٩٧) وإسناده صحيح، والترمذى (٢٦٩٥).

(٣) أخرجه أبود داود (٥٢٠٨)، والترمذى (٢٧٠٧) وأخرجه البخارى فى الأدب المفرد (٩٨٦)، وسنده حسن، وصححه ابن حبان حديث رقم (١٩٣١، ١٩٣٢) وذكره النووى فى رياض الصالحين (ص ٣٨٠).

(٤) أخرجه أبو داود حديث رقم (٥٢٠٠) وإسناده صحيح.

(٥) لم نجده وقد ضعفه المصنف رحمه الله تعالى.

(٦) أخرجه أبو داود بمثله برقم (٥١٧٦)، والترمذى (٢٧١١)، وأحمد فى مسنده (٣/ ٤١٤) وإسناده صحيح.

(٧) ذكره الإمام النووى فى رياض الصالحين (ص ٣٨١) بلفظه وتقدم تخريجه فى الحديث الذى قبله.

أمية إلى رسول الله ﷺ بهدية لبن وجداية[١] وضغابيس[٢] فولجت عليهم قبل السلام، والاستئذان فقال: «ارجع ثم قل السلام عليكم وادخل»[٣].

وكان إذا أتى باب قوم لايقوم تجاه الباب بل يتيامن أو يتياسر، فيقول السلام عليكم ويبدأ من لقيه بالسلام، وكان يتحمل السلام إلى غُيره، ويبلغه كما تحمل سلام الله سبحانه وتعالى إلى خديجة، حيث قال له جبريل عليه السلام ها خديجة قد جاءتك بطعام، فقل لها: «الرب يسلم عليك ويبشرك ببيت فى الجنة من قصب[٤] لاصخب فيه ولانصب»[٥].

وقال مرة أخرى لعائشة: «هذا جبريل حاضر يبلغك السلام فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته»[٦] وجاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: السلام عليكم، فرد عليه ثم جلس، فقال ﷺ: «عشر» ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم، ورحمة الله فرد عليه، فجلس، فقال: «عشرون» ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فرد عليه فقال: «ثلاثون»[٧] وفى بعض الروايات جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته. فرد وقال: «أربعون» هكذا تكون الفضائل، وفى إسناده ضعف[٨].

وكان ﷺ يبدأ من لقيه بالسلام، وإن بدأه أحد رد عليه مثل ذلك، أو أفضل على الفور، من غير تأخير، إلا أن يمنع من ذلك عذر، كالصلاة، أو

---

(١) هى من أولاد الظباء مابلغ ستة أشهر أو سبعة، ذكرًا كان أو أنثى بمنزلة الجدى من المعز.

(٢) هى صغار القثاة وأحدها ضغبوس، وقيل هى نبت ينبت فى أصول الثمام يشبه الهليون يسلق بالخل والزيت ويؤكل. أهـ. انظر النهاية فى غريب الحديث للإمام ابن الأثير - رحمه الله تعالى -.

(٣) أخرجه أبو داود فى سننه (٥١٧٦)، والترمذى (٢٧١١)، وأحمد (٣/ ٤١٤) وإسناده صحيح.

(٤) «القصب» هنا: اللؤلؤ المجوف، و«الصخب»: الصياح واللفظ «النصب»: النقب، انظر رياض الصالحين (ص ٣٢٩).

(٥) متفق عليه أخرجه البخارى (ج٧ ص ١٠٤)، ومسلم برقم (٢٤٣٣).

(٦) متفق عليه أخرجه البخارى (ج٧ ص ٨٣ و١٠/ ٤٧٩)، ومسلم برقم (٢٤٤٧).

(٧) أخرجه أبو داود (٥١٩٥)، والترمذى (٢٦٩٠) وإسناده قوى كما قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (ج١ ص٥)، وأخرجه البخارى فى الأدب المفرد (ص٩٨٦) من حديث أبى هريرة.

(٨) هذه الزيادة فى آخر الحديث لم نجدها وهى ضعيفة كما قال المصنف.

قضاء الحاجة، وكان يجيب السلام، بحيث يسمع المسلم، ولايكتفى بالإيماء والإشارة، إلا أن يكون فى الصلاة.

فقد ثبت فى الأحاديث الصحيحة: أنه كان إذا سلم عليه أحد، وهو فى الصلاة إشار إليه بأصبعه المباركة جواب السلام.

وليس لهذه الأحاديث معارض، إلا حديث مجهول، وهو من أشار فى صلاته إشارة تفهم عنه فليعد صلاته. وهذا الحديث لايصلح للمعارضة، وكان يبتدئ السلام بقوله: «السلام عليكم ورحمة الله» وكان يكره فى الابتداء أن يقال: عليكم السلام.

قال أبو جرى الهجيمى: أتيت رسول الله ﷺ وقلت عليكم السلام يارسول الله فقال: «لاتقل عليكم السلام فإن عليكم السلام تحية الموتى»[١] يعنى إن عادة الشعراء وغيرهم أن يحيوا الموتى بهذه الصيغة فينبغى أن يتحرز من أن يخاطب بها الأحياء.

وكان يقول فى جواب السلام: «وعليك السلام»[٢]، الواو، وقال بعض الفقهاء لو أجاب أحد بغير واو، لايكون مجيبا، ولايسقط الفرض عنه ، لأنه مخالف للسنة، وعند أكثر العلماء، يسقط واستدلوا بنص التنزيل ﴿فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾[٣].

ونهى ﷺ أن يبتدأ بالسلام على أهل الكتاب. روى أبو هريرة: «لاتبتدأوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتموهم فى طريق فاضطروهم إلى أضيقه»[٤] وللعلماء فى هذه المسألة قولان:

الجماهير يمنعون من ابتدائهم بالسلام.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٠٨٤)، والترمذى (٢٧٢٢)، وأخرجه أحمد (٥/ ٦٤) وسنده صحيح.

(٢) انظر صحيح البخارى (٧/ ٨٣ و١٠/ ٤٧٩)، ومسلم برقم (٢٤٤٧).

(٣) سورة الذاريات آية رقم ٢٥.

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه حديث رقم (٢١٦٧)، والترمذى (٢٧٠١) وأبو داود حديث رقم (٥٢٠٥).

وبعضهم يجوز وفى وجوب رد السلام عليهم قولان:

الجمهور على وجوبه.

وبعضهم يقول: لايجب كما لايجب رد سلام أهل البدعة، وثبت فى الصحيح أنه ﷺ مر على أخلاط من الناس، منهم المسلمون والمشركون وعبده الأوثان فسلم عليهم.

وأما الحديث الذى فى سنن أبى داود: «يجزى عن الجماعة، إذا مروا أن يسلم أحدهم، ويجزى عن الجلوس أن يرد أحدهم»[1] فأحد رواته، سعيد الخزاعى، وقد ضعفه جماعة، وكان من عاداته ﷺ إذا بلغه شخص سلام غيره أن يرد على المبلغ، والمبلغ عنه كما ثبت فى السنن: «أن رجلا قال: إن أبى يقرئك السلام فقال: فى جوابه عليك، وعلى أبيك السلام»[2].

وكان من عادته ﷺ أنه إذا ظهر من شخص منكر عظيم، أن يعرض عنه، وأن يحرمه السلام ورد السلام، ولما كان السلام الذى هو أعظم شعار أهل الإسلام، فى هذه البلاد الهندية مهجورا إلى الغاية، وقام مقامه الانحناء، والانثناء اللذان هما شعار أهل البدع صار التلفظ بالسلام عند أكثرهم يعد من سوء الأدب وعدم التمييز، فلزم ذمة أرباب الولاية وحكام منصب الرياسة لزوما مؤكدا أن يسعوا فى إفشاءه إلى النهاية.

وأن يبذلوا الجهد إلى أقصى الغاية، وأن يتلطفوا فى أحياء هذه الشعيرة العظيمة من شعائر الدين، وأن يعدوا ذلك من أعظم القرب، وأشرف الوسائل عند رب العالمين.

---

(١) أخرج نحوه الشيخان انظر صحيح البخارى (١١/١٣)، ومسلم (٢١٦٠)، وأبو داود (٥١٩٨)، والترمذى (٢٧٠٤).

(٢) لم نجده.

فصل
فى الاستئذان

ثبت فى الصحيح، أن السلام كان قبل الاستئذان، فعلا وتعليما استأذن شخص على النبى ﷺ، وهو فى بيت فقال: أألج[١]؟ فقال ﷺ لخادمه: «أخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان» فقال له: السلام عليكم أأدخل، فسمعه الرجل، فقال: السلام عليكم أأدخل»[٢] فأذن له النبى ﷺ فدخل وقال ﷺ: «إذا أستأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع[٣] وكان ﷺ يقول: «لو أن شخطا نظر فى بيت قوم جار لهم قلع عينه، ولادية ولاقصاص»[٤].

وكان يكره للمستأذن إذا سئل من أنت يقول: أنا، بل يذكر اسمه، أو كنيته[٥]، أو لقبه، وفى حديث أبى هريرة، المروى فى سنن أبى داود «ورسول الرجل الى الرجل إذنه» وفى لفظ: «إذا دعى أحدكم إلى طعام، ثم جاء مع الرسول، فإن ذلك له إذن» وكما أراد ﷺ الاعتزال فى محل خلوة، عين شخصا للجلوس على الباب وأمر أن لايدع أحدا يدخل إلا بإذن.

---

(١) أألج «بهمزتين» أى: أأدخل. انظر رياض الصالحين للنووى (ص ٣٨١).

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم (٥١٧٧) وإسناده صحيح كما قال الإمام النووى فى رياض الصالحين (ص ٣٨١).

(٣) متفق عليه أخرجه البخارى (ج١١ ص ٢٣)، ومسلم (٢١٥٣)، وأبو داود (٥١٨٠)، والترمذى (٢٦٩١).

(٤) أخرجه الشيخان بمثله، البخارى (١١/ ٢٠، ٢١)، ومسلم (٢١٥٦)، والترمذى (٢٧١٠)، والنسائى (٨/ ٦٠، ٦١).

(٥) متفق عليه البخارى ١١/ ٣٠، ومسلم حديث رقم (٢١٥٥).

فصل

آداب النبى فى العطاس

كان ﷺ إذا عطس وضع يده المباركة أو ثوبه على فيه، وخفض صوته وقال: «التثاؤب الرفيع والعطسة الشديدة من الشيطان»[١]. وقال: «إن الله يحب العطاس، ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم، وحمد الله كان حقا على كل مسلم سمعه، أن يقول له: يرحمك الله، فإن التثاؤب إما هو من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم، فليرد ماستطاع، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان»[٢].

وفى صحيح البخارى، أنه ﷺ قال: «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال رحمك الله» فليقل: يهديك الله ويصلح بالكم»[٣].

وعطس رجلان عند رسول الله ﷺ «فشمت أحدهم، ولم يشمت الآخر، فقال الذى لم يشمته: عطس فلان فشمته وعطست فلم تشمتنى؟ فقال: هذا حمد الله وأنت لم تحمد الله»[٤].

وفى صحيح مسلم قال: «إذا عطس أحدكم، فحمد الله فشمتوه، وإن لم يحمد الله فلاتشمتوه»[٥] قال: «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه»[٦].

---

(١) أخرجه البخارى بنحوه فى صحيحه (ج١٠ ص ٥٠١)، وانظر رياض الصالحين للنووى (ص ٣٨٢).

(٢) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه (ج١٠ ص٥٠١)، وذكره النووى فى رياض الصالحين (ص٣٨٢)..

(٣) أخرجه أبو داود فى سننه حديث رقم (٥٠٣٨) والترمذى حديث رقم (٢٧٤٠)، وذكره النووى فى رياض الصالحين (ص ٣٨٣).

(٤) متفق عليه أخرجه البخارى (١٠/٥٠٤)، ومسلم برقم (٢٩٩١) وأبو داود (٥٠٣٩)، والترمذى (٢٧٤٣).

(٥) أخرجه مسلم فى صحيحه حديث رقم (٢٩٩٢)، وأورده النووى فى رياض الصالحين (ص٣٨٣).

(٦) متفق عليه أخرجه البخارى (ج٣ ص٩٠)، ومسلم حديث رقم (٢١٦٢).

وفى سنن أبى داود «إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله على كل حال، وليقل أخوه أو صاحبه يرحمك الله، ويقول هو: يهديكم الله ويصلح بالكم».

وظاهر الأحاديث يدل على أن التشميت فرض، على كل من سمع حمد العاطس، وأن تشميت الواحد لايجزى عن الباقين، وهذا قول جماعة، من أكابر العلماء وهو ظاهر.

وهذا الشعار مهجور فى بلاد الهند إلى الغاية والنهاية، ولا يأتى بها إلا خواص من الصلحاء، ومن قصد متابعة السنة النبوية.

وأما عامة الخلق فإنهم لايعرفون هذا المعروف ولايعلمونه.

ونسأل الله السلامة، وفى سنن أبى داود: «عطس رجل من القوم عند رسول الله ﷺ فقال: «السلام عليكم. فقال رسول الله ﷺ: وعليك وعلى أمك» ثم قال: «إذا عطس أحدكم فليحمد الله، وليقل له من عنده يرحمك الله، وليرد ـ يعنى عليك ـ يغفر الله لنا ولكم»[1].

وقوله فى الجواب عليك، وعلى أمك، إشارتان:

إحداهما: أن سلامك فى هذا المحل لغير موقع كما لو سلم على أمك.

والثانية: تذكيره أن هذا من أدب الأميين، ومن أدب أناس حرموا تربية الرجال، ونشأوا فى حجر الأمهات، وتشريع الحمد فى وقت العطاس لأن العطسة نعمة، وحصول منفعة، إذ بها تخرج البخارات المختنقة من الدماغ، وبقاؤها يورث أمراضا وأوجاعا.

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه حديث رقم (٥٠٣٨)، والترمذى (٢٧٤٠).

وعطس شخص عند رسول الله ﷺ فقال له: «يرحمك الله» ثم عطس أخرى ثانية، فقال رسول الله ﷺ «الرجل مزكوم»[1] وجاء فى حديث «شمت أخاك ثلاثا فإن زاد فهو زكام» وفى لفظ «إذا عطس أحدكم، فليشمته جليسه، فإن زاد على ثلاثة فهو مزكوم ولاتشميت بعد ثلاث»[2].

فإذا لم يحمد العاطس ينبغى للحاضرين أن يحمدوا تذكيرا له وقال بعض العلماء: يحمدوا تعزيزًا له، لأنه لو كان سنة كان النبى ﷺ أولى بفعلها.

(١) لم نجده بلفظ المصنف وأخرج مثله مسلم فى صحيحه حديث رقم (٢٩٩٢).

(٢) تقدم تخريجه.

فصل

صلاة النبى للاستخارة

قال ﷺ: إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين، من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إنى أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى، فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى، فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى، فاصرفه عنى وأصرفنى عنه، واقدر لى الخير حيث كان ثم إرضنى[1]»ويسمى حاجته).

ولما كانت عادة أهل الجاهلية إذا قصدوا سفرا أو أمرًا أن يستقسموا بالطير، والعيافة، والفأل، والتطير، وأمثال هذه الأمور، التى هى شعار أهل الشرك والكفر، عوض صاحب الشرع عن ذلك بالتوحيد، والافتقار، والعبودية، والتوكل، وسؤال الرشد، والفلاح، من الوهاب المطلق، الذى أزمة الخيرات فى يد قدرته.

وفى مسند الإمام أحمد، من رواية سعد بن أبى وقاص: «سعادة ابن آدم استخارة الحق، والرضا بقضائه، وشقاوة ابن آدم فى ترك الاستخارة وعدم الرضا بقضائه»[2].

وفى حديث أنس: «أن النبى ﷺ ماعزم على سفر قط، إلا قال عند إرادة القيام: «اللهم بك انتشرت، وإليك وجهت، وبك اعتصمت، وعليك توكلت. اللهم أنت ثقتى، وأنت رجائى. اللهم أكفنى ما أهمنى، ولما لا

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه (ج٣ ص ٤٠)، وأورده النووى فى رياض الصالحين (ص٣٣٥).

(٢) مسند الإمام أحمد.

أهتم، وما أنت أعلم به منى عز جارك وجل ثناؤك، ولا إله غيرك، اللهم زودنى التقوى، واغفر لى ذنوبى ووجهنى للخير، أينما توجهت»(١)

والذى قاله بعض المحققين من المشايخ الكبار وكتبه: يستحب للشخص أن يجعل فى كل يوم وقتا معينا، يصلى فيه صلاة الاستخارة ويقول: «اللهم إنى أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، فإنك تعلم ولا أعلم، وتقدر ولا أقدر، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم، أن جميع ما أتحرك فى حقى وفى حق غيرى، وجميع ما يتحرك فيه غيرى فى حقى، وفى حق أهلى، وولدى، وماملكت يمينى، من ساعتى هذه إلى مثلها من الغد، خير لى فى دينى، ومعاشى، وعاقبة أمرى، فاقدره لى، ويسره لى، وبارك فى فيه. وإن كنت تعلم أن جميع ما أتحرك فيه فى حقى وفى حق غيرى، وجميع مايتحرك فيه غيرى فى حقى، وفى حق أهلى، وولدى، وما ملكت يدى من ساعتى هذه، إلى مثلها من الغد شر لى فى دينى ومعاشى، وعاقبة أمرى، فاصرفه عنى واصرفنى عنه، واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى»(٢) والاستخارة على هذه الكيفية ولو لم توجد فى الأحاديث، لكن العمل هنا موافق لحديث الاستخارة ومناسب لاتباع السنة.

فصل
أذكار النبى فى سفره

كان ﷺ إذا استوى على الراحلة قال: «الله أكبر الله أكبر الله أكبر، سبحان الله الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنى أسألك فى سفرى هذا البر والتقوى، ومن العمل ماترضى، اللهم

(١) أخرجه الترمذى حديث رقم (٣٤٤٠) وسنده حسن، والحاكم فى المستدرك (٢/٩٧)، وانظر رياض الصالحين (ص ٣٣٤).

(٢) والاستخارة بهذه الكيفية لم ترد فى الاحاديث، ولكنها موافقة السنة كما قال المصنف - رحمه الله تعالى- انظر صحيح البخارى (ج ٣ ص ٤٠) ورياض الصالحين للإمام النووى (ص ٣٣٥).

هون علينا سفرنا هذا، واطوعنا بعده، اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل، اللهم اصحبنا فى سفرنا، واخلفنا فى أهلنا»[١].

وإذا رجع من السفر قال: «آيبون، تائبون، إن شاء الله، عابدون، ولربنا حامدون»[٢] ولفظ الدعاء فى مسند الإمام أحمد «اللهم أنت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل، اللهم إنى أعوذ بك من الضبنة[٣] فى السفر، والكآبة[٤] فى المنقلب، اللهم اقبض لنا الأرض، وهون علينا السفر».

وإذا أراد الرجوع قال: «آيبون تائبون، عابدون، لربنا حامدون» وإذا دخل البلد قال: «توبا توبا لربنا أوبا، لايغادر علينا حوبا»[٥].

ولفظ الدعاء فى صحيح مسلم: «اللهم أنت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل، اللهم أصحبنا فى سفرنا، واخلفنا فى أهلنا، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، ومن الحور[٦] بعد الكور من دعوة المظلوم، ومن سوء المنظر، فى المال والأهل»[٧].

وفى بعض الروايات أنه ﷺ وضع رجله فى الركاب، وقال: «بسم الله»

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه حديث رقم (١٣٤٢)، والترمذى (٣٤٤٤)، [illegible]

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم (١٣٤٢) والترمذى (٣٤٤٤)، [illegible]

(٣) الضبنة والضبن والمضبنة كل ذلك من الإمساك [illegible]
العالية. وضبنت أضبن ضبنا بخلت [illegible]

(٤) «الكآبة» بالمد، وهى تغير النفس من حزن [illegible]

(٥) أخرجه مسلم حديث رقم (١٣٤٢)، والترمذى (٣٤٤٤) [illegible]

(٦) وفى صحيح مسلم [illegible]
الترمذى والنسائى، وقال الترمذى [illegible]
والراء جميعا: الرجوع من الاستقامة [illegible]
العمامة، وهو لفها وجمعها [illegible]
رياض الصالحين (ص١٣٤)

(٧) أخرجه مسلم فى صحيحه (١٣٤٣)، [illegible]

فلما استوى على الظهر، قال: «الحمد لله الحمد لله، الحمد لله، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله، لا إله إلا أنت، سبحانك إنى ظلمت نفسى، فاغفر لى فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت»(١).

وكان ﷺ إذا ودع مسافرا قال: «أستودع الله دينك، وأمانتك، وخواتم عملك»(٢) وقال رجل من الصحابة: يارسول الله إنى أريد سفرا فزودنى فقال: «زودك الله التقوى» قال: زودنى قال: «وغفر لك ذنبك» قال: زودنى، قال: «ويسر لك الخير حينما كنت»(٣).

وقال رجل: يارسول الله، إنى أريد أن أسافر فأوصنى، قال «عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف» فلما ولى الرجل قال: «اللهم ازو له الأرض، وهون عليه السفر»(٤) وكان ﷺ: «إذا علا شرفا فى سفر، كبر وإذا هبط سبح»(٥) وفى بعض الأحيان كان يقول على الشرف: «اللهم لك الشرف على كل شرف، ولك الحمد على كل حال»(٦) ونهى عن السفر منفردا. وعن استصحاب الكلب والجرس وقال: «من نزل منزلا ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق، لم يضره شىء حتى يرتحل من منزله ذلك»(٧).

وكان إذا سافر فأقبل الليل فى بعض الأحيان يقول: «ياأرض: ربى وربك الله. أعوذ بالله من شرك، وشر مافيك، وشر ماخلق فيك، وشر ما دب

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٠٢) والترمذى (٣٤٤٣) وسنده حسن، وصححه ابن حبان (٢٣٨٠، ٢٣٨١)، والحاكم فى المستدرك (ص ٩٨)، وذكره النووى فى رياض الصالحين (ص٤١٣).

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٢٦٠٠)، والترمذى (٣٤٣٨، ٣٤٣٩) وأحمد فى مسنده (٢٥/٧ و٢٥ و٣٨ و١٣٦) وصححه ابن حبان (٢٣٧٦)، والحاكم (٩٧/٢) ووافقه الذهبى.

(٣) أخرجه الترمذى (٣٤٤٠) وسنده حسن، والحاكم فى مستدركه (٩٧/٢)..

(٤) أخرجه الترمذى (٣٤٤١) وقال: حديث حسن، وصححه ابن حبان (٢٣٧٨)، والحاكم (٩٨/٢).

(٥) أخرجه البخارى (١٥٩/١١)، ومسلم (٢٧٠٤).

(٦) لم نجده بهذا اللفظ الذى أورده المصنف.

(٧) أخرجه مسلم فى صحيحه حديث رقم (٢٧٠٨).

عليك. أعوذ بالله من شر كل أسد، وأسود، وحية، وعقرب. ومن شر ساكنى البلد، ومن شر والد وما ولد»[(١)].

وقال: «إذا سافرتم فى الخصب، فأعطوا الإبل حقها ـ أو قال: «حظها من الأرض» ـ وإذا سافرتم فى السنة فأسرعوا عليها السير، وبادروا بها نقيها. وإذا عرستم بالليل، فاجتنبوا الطريق، فإنها طرق الدواب ومأوى الهوام بالليل»[(٢)].

وكان إذا دنا من العمران، وأشرف على قرية، أو مدينة قال: «اللهم رب السموات السبع، وما أظللن، ورب الأرضين السبع، وما أقللن، ورب الشياطين، وما أضللن، ورب الرياح، وماذرين، اللهم إنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها، وخير مافيها، ونعوذ بك من شر هذه القرية، وشر مافيها»[(٣)].

وكان فى سفره إذا تنفس الصبح، يقول: «سمع سامع بحمد الله ونعمته، وحسن بلائه. علينا ربنا صاحبنا فأقبل علينا عائذا بالله من النار. يقولها ثلاثا بصوت رفيع[(٤)].

ونهى أن يسافر بالقرآن إلى دار الحرب، وبلاد الكفر، ونهى النساء عن مطلق السفر ولو بريدا، إلا بذى رحم محرم، وإذا قضت حاجتها فلتسرع الأوبة إلى أهلها. وكان إذا علا شرفا قال: «لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»[(٥)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٠٣)، والإمام أحمد (٢/ ١٣٢)، وفى سنده الزبير بن الوليد الشامى لم يوثقه غير ابن حبان، ومع ذلك فقد صححه الحاكم فى المستدرك (ج٢ ص١٠٠) ووافقه الذهبى وحسنه الحافظ فى «أمالى الأذكار».

(٢) أخرجه مسلم (١٩٢٦)، وأبو داود (٢٥٦٩)، والترمذى (٢٨٦٢).

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه، وانظر مسند أحمد حديث رقم (١٧٧٠، ١٧٧١)، وأبو داود رقم (٤٧٢٣)، والترمذى (٢/ ١٦٢).

(٤) لم نجده فيما تحت أيدينا من مراجع.

(٥) متفق عليه أخرجه البخارى (ج١١ ص١٦٠)، ومسلم حديث رقم (١٣٤٤).

«ومنع بالقول والفعل أن يطرق[١] الغائب أهله ليلا[٢] وكل يدخل بكرة أو وقت العصر[٣] وكان إذا رجع من السفر، خرجوا لملاقاته معهم الأولاد والأطفال، وكان يركبهم وراءه أو أمامه، اركب عبدالله بن جعفر أمامه، ثم جاءوا بالحسن بن على، فأردفه ودخل المدينة على هذه الحالة.

وكان يعتنق القادمين فى بعض الأحيان، وإن كان من أهله قبل وجهه، وفى بعض الأحيان يقبل جبهته، قالت عائشة: لما قدم جعفر وأصحابه، تلقاه النبى ﷺ، فقبل مابين عينيه واعتنقه.

وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا قدموا من السفر تعانقوا، وكان ﷺ إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى ركعتين، قبل دخوله بيته[٤].

فصل

تعليم الرسول خطبة الحاجة

كان ﷺ يعلم أصحابه خطبة الحاجة: «الحمد لله نستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله»[٥]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٦] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا

---

(١) «الطروق» المجيء في الليل.

(٢) متفق عليه أخرجه البخارى (٢٩٦/٩، ٢٩٧)، ومسلم (١٥٢٨/٣) رقم حديث الباب (١٨٤)، وأبو داود (٢٧٧٦) و(٢٧٧٨)، والترمذى (٢٧١٣).

(٣) متفق عليه أخرجه البخارى (ج٨ ص ٨٩)، ومسلم (٢٧٦٩)، وأبو داود (٢٧٨١).

(٤) متفق عليه أخرجه البخارى (ج٨ ص ٨٩)، ومسلم (٢٧٦٩)، وأبو داود (٢٧٨١).

(٥) أخرجه أحمد والأربعة وحسنه الترمذى والحاكم، انظر سنن أبى داود فى كتاب النكاح، باب فى خطبة النكاح حديث رقم (٢١١٨ ج٢ ص ٢٣٨)، والترمذى فى كتاب النكاح، حديث رقم (١١٠٥ ج٣ ص٤١٣، ٤١٤)، والنسائى (ج٣ ص١٠٥) فى كتاب الجمعة، باب كيفية الخطبة وانظر سبل السلام (ج٣ ص ٢٣٩).

(٦) سورة آل عمران آية رقم ١٠٢.

زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾[1] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[2].

قال شعبة: قلت لراوى الحديث: هذه خطبة نكاح، أم غير نكاح، فقال: هذه خطبة كل الحاجات، وقال ﷺ: «إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادما، فليأخذ بناصيتها قائلا بسم الله، ثم يدعو ويقول: «اللهم إنى أسألك خيرها، وخير ماجبلت عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلت عليه». وكان إذا رأى الإنسان تزوج قال: «بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير»[3] وقال: « لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان مارزقتنا، فقضى بينهما بولد لم يضره شىء أبدا»[4].

وقال «من رأى مبتلى فقال: «الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به، وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا، لم يصبه ذلك البلاء»[5] وقال: «ما أنعم الله على عبد نعمة فى أهل ومال وولد، فقال: «ماشاء الله، لاقوة إلا بالله، فيرى آفة دون الموت»[6].

---

(١) سورة النساء آية رقم ١.

(٢) سورة الاحزاب آية رقم ٧١.

(٣) أخرجه الخمسة إلا النسائى وصححه الترمذى، وأورده الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٦ ص١٣).

(٤) أخرجه الشيخان، البخارى فى كتاب النكاح، باب (٦٦) مايقول الرجل إذا أتى أهله حديث رقم (٥١٦٥) فتح، ومسلم فى كتاب النكاح باب (١٨) باب مايستحب أن يقول عند الجماع حديث (١٤٣٤ ج ١٠٥٨/٢)، وأبو داود فى كتاب النكاح باب فى جامع النكاح حديث رقم (٢١٦١ ج ٢٤٩/٢)، والترمذى فى كتاب النكاح باب مايقول إذا دخل على أهله رقم (١٠٩٢)، وابن ماجه فى كتاب النكاح باب (٢٧) مايقول الرجل إذا دخل عليه أهله حديث رقم (١٩١٩ ج١ ص ٦١٨).

(٥) لم نقف عليه.

(٦) لم نقف عليه.

وقال: إذا رأيتم من الطيرة شيئا تكرهونه، فقولوا: «اللهم لا يأتى بالحسنات ولايدفع السيئات إلا أنت. لاحول ولاقوة إلا بك، أو يقول اللهم لاطير إلا طيرك، ولاخير إلا خيرك، ولارب غيرك، ولاحول ولاقوة إلا بك، فلايصل إليه ضرر»[١]. وإن رأى فى منامه مايكرهه فلينفث عن يساره ثلاثا مرات إذا استيقظ - والنفث فوق النفخ ودون البزق - فهو بينهما، ثم يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ومن شر ما رأى، ولايحدث به فإنها لن تضره»[٢].

وإن ابتلى بوسوسة الشيطان، فليدفع ذلك بالتعوذ، وإن غلبه الغضب فليعوذ، وإن رأى مايسره يقول: «الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات» وإن رأى مايكرهه يقول: «الحمد لله على كل حال» وإن تقرب إلى حضرته ﷺ أحد مما يسره من خدمه، أو أمر محبوب، دعا له بالخير، كما أن ابن العباس هيأ ماء لوضوئه. فقال ﷺ «اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل»[٣].

ودعا لأبى قتادة ليلة لازم خدمة ركابه الشريف، وكان يجعل نفسه دعامة له ﷺ عندما يغلبه النعاس. فقال: «حفظك الله بما حفظ به نبيه» وقال: «من صنع إليه معروفا فقال لفاعله: جزاك الله خيرا. فقد أبلغ فى الثناء»[٤].

واستدان من عبدالله بن أبى ربيعة، فلما وفاه دينه، . قال: «بارك الله لك فى أهلك ومالك»، وقال: «إذا سمعتم صياح الديكة، فسلوا الله من فضله، فإنها رأت ملكا، وإذا سمعتم نهاق الحمير، فتعوذوا بالله من الشيطان

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٩١٩) قال الإمام النووى حديث صحيح انظر رياض الصالحين (ص ٦٣١).

(٢) متفق عليه أخرجه البخارى (ج ١٠ ص ١٧٧، ١٢/ ٣٤٤)، ومسلم حديث رقم (٢٢٦١).

(٣) لم نقف عليه وانظر ترجمة العباس فى تاريخ الخميس (١/ ١٦٥)، وتهذيب التهذيب (٥/ ١٢٢) والإعلام (٤/ ٣٥).

(٤) أخرجه الترمذى (٥٣٦) وقال حديث حسن صحيح، وصححه ابن حبان وانظر رياض الصالحين (ص ٥٥٩).

الرجيم، فإنها رأت شيطانا، وإذا رأيتم الحريق فكبروا فإن التكبير يطفئه، وينبغى أن لايجلس مجلسا إلا ويذكر اسم الله فيه»(١).

وكان إذا أراد القيام من المجلس. يقول «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، استغفرك وأتوب إليك» فسمعه بعض الصحابة، فقال: يارسول الله سمعت كلاما لم أكن أسمعه قبل، قال: «هو كفارة لما وقع فى المجلس»(٢) وشكا خالد بن الوليد الأرق، فقال له ﷺ: «إذا أخذت مضجعك فقل: «اللهم رب السموات السبع، وما أظلت، ورب الأرضين، وما أقلت، ورب الشياطين، وما أضلت، كن لى جارا من شر خلقك كلهم أجمعين. أن يفرط على أحد منهم، أو أن يبغى، عز جارك، وجل ثناؤك، ولا إله إلا أنت»(٣).

وشكا شخص الفزع فى النوم فقال ﷺ: «قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه، وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون»(٤).

ونهى أن يقال ماشاء الله، وشاء فلان: ومرة قال شخص: ماشاء الله وشئت، فقال ﷺ: «جعلتنى لله ندا»(٥).

ومن هذا القبيل نحن فى كنف الله، وكنفكم، واعتمادنا على الله وعليكم. هذه الألفاظ وأمثالها منهى عنها، يشم منها رائحة الشرك.

ومن المنهيات التى منع منها ﷺ: «لاتسبوا الديك(٦)، ولاتسبوا الريح(٧) ولايسب بعضكم بعضا» أيها المسلمون دعوا طريق الجاهلية كالنخوة، ودعوة

---

(١) أخرجه أبو داود وبنحوه (٤٤٥٦) و(٥٠٥٩) وسنده حسن

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٥٩) وسنده حسن، والحاكم فى المستدرك (١/٥٣٧) من حديث أبى بدرة ومن حديث رافع بن خديج، ومن حديث جبير بن مطعم.

(٣) لم نقف عليه وتقدم تخريج مثله.

(٤) لم نقف عليه.

(٥) لم نقف عليه.

(٦) أخرجه أبو داود (٥١٠١).

(٧) أخرجه الترمذى (٢٢٥٣) ورجاله ثقات، ويشهد له حديث أبى هريرة وعائشة عن أبى داود (٥٠٩٧)، والبخارى فى الأدب المفرد (٩٠٦)، وابن ماجه (٣٧٢٧) وسنده صحيح.

القبائل «ولايتناجى اثنان دون ثالث»(١) «لاتباشر المرأة المرأة، فتصفها لزوجها، كأنه ينظر اليه»(٢) لاتقل. «اللهم اغفر لى أن شئت» لاتكثروا الحلف، «لاتحلفوا بغير الله»(٣) لاتقولوا بوجه الله قسما، لاتسموا المدينة يثرب، لايسئل الرجل، فيم ضرب امرأته إلا عن ضرورة، ونهى عن تسمية القوس الذى يظهر فى السماء قوس قزح.

---

(١) متفق عليه أخرجه البخارى (ج١١ ص٦٨، ٦٩)، ومسلم (٢١٨٣)، وأبو داود (٤٨٥٢)، ومالك (٢/ ٩٨٨).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب النكاح (٩/ ٣٣٨)، وأبو داود انظر عون المعبود (٦/ ١٨٧)، والترمذى انظر تحفة الأحوذى (٨/ ٧٦)، وأحمد (١/ ٣٨٠).

(٣) متفق عليه أخرجه البخارى (١١/ ٤٦١، ٤٦٢)، ومسلم (١٦٤٦)، وأبو داود (٣٢٤٩)، والترمذى (١٥٣٤) والنسائى (٧/ ٤، ٥).

فصل
فى ألفاظ ليس فى كراهتها خلاف

ملك الملوك، قاضى القضاة، سيد الناس، سيد الكل، عبدى عابدى، عمر السلطان يكون طويلا، أيامكم طويلة، عش ألف سنة دائمة.

ولاينبغى أن يقول فى المسائل الاجتهادية: أحل الله كذا، أو حرم كذا، بل يقول ذلك فيما ورد النص بتحريمه أو تحليله. ولايقال فى أدلة القرآن والحديث. الظواهر اللفظية.

وكذا لايقال فيها مجازات لأن هذه ألفاظ تزيل الحرمة من قلوب الجهلة، لاسيما عند قوم يسمعون شبه الفلاسفة والمتكلمين، بل البراهين العقلية والحجج القواطع نعوذ بالله من الخذلان.

باب

فى عموم أحواله ﷺ ومعاشه

وهو مشتمل على فصول

فصل
فى طعامه ﷺ

كان من كريم عادته إذا حضر طعام لايرده، ولايتكلف فى طلب مفقود، ومتى حضر طعام صالح من طيبات الأطعمة، لابد أن يتناول منه «وما عاب طعاما قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه»[١] وكان يكثر أكل الحلوى والعسل، ويحب ذلك، وكان يشرب كل يوم قدحا من ماء وعسل، يتجرعه، ويصبر حتى تغلب عليه شهوة الطعام ثم يأكل قليلا من خبز الشعير بالماء أو بإدام ويكتفى بذلك»[٢].

وثبت فى الصحيح، أنه أكل لحم الإبل، ولحم الغنم، ولحم الدجاج، ولحم الحبارى، ولحم الأرنب، ولحم السمك، ولحم العنبرى البحرى، والرطب، والتمر، وشرب الحليب المحض وممزوحا، وأكل الخبز والتمر، والخبز بالخل، والخبز بالشحم المسلى، ونقيع التمر والرطب بالخيار، وكبد الغنم مشويا، واللحم القديد، والدباء مطبوخة، والجبن والثريد والخبز بالزيت، والتمر بالزبد، والرطب بالبطيخ، ثبت أنه ﷺ تناول هذه الأشياء كلها[٣].

وفى الجملة مهما حضر من الطيبات لم يرده، وإن لم يجد شيئا صبر حتى أنه شد الحجر على بطنه الشريف[٤]، من شدة الجوع «وكان يمر عليه الهلالان، والثلاثة، لا يوقد فى بيته نارا»[٥].

---

(١) متفق عليه أخرجه البخارى (٩/ ٤٧٧)، ومسلم (٢٠٦٤)، وأبو داود (٣٧٦٣)، والترمذى (٢٩٣٢)، وابن ماجه حديث رقم (٣٢٥٩)، والنووى فى رياض الصالحين (ص٣٤٠) حديث رقم (١/ ٧٣٦).

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه حديث رقم (١٨٨٤).

(٣) انظر صحيح البخارى (ج٩ ص٤٥٨)، ومسلم (٢٠٢٢)، وموطأ الإمام مالك (ج٢ ص٩٣٤)، وسنن أبى داود (٣٧٧٧)، والترمذى (١٨٥٨)، ومستدرك الحاكم (ج٤ ص١٠٨) ومابعدها.

(٤) متفق عليه أخرجه البخارى (ج٦ ص٤٢٩، ٤٣٢ وج٩ ص٤٦٠)، ومسلم (٢٠٤٠).

(٥) متفق عليه أخرجه البخارى (ج١١ ص٢٥١)، ومسلم (٢٩٧٢).

وإذا حضر الطعام وضعوه على السفرة ويسطونها على الأرض، ولم يأكل على خوان مرتفع «وكان يأكل بثلاثة أصابع وإذا فرغ لعق أصابعه»(١) وكان لايأكل متكئا(٢).

والإتكاد على ثلاثة أنواع:

أحدها: أن يضع جنبه على الأرض.

الثاني: أن يقعد مربعا.

الثالث: أن يعتمد بإحدى يديه على الأرض، ويأكل بالأخرى، وكلها مذمومة. وكان إذا فرغ من الطعام. قال: «الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفي، ولامودع، ولامستغنى عنه ربنا»(٣)

وفى بعض الأحيان يقول: «الحمد لله الذى أطعم من الطعام وسقى من الشراب، وكسا من العرى، وهدى من الضلالة، وبصر من العمى، وفضل على كثير ممن خلق تفضيلا، الحمد لله رب العالمين»(٤)

وفى بعض الأحيان يقول: «الحمد لله الذى أطعم وسقى وسوغه»(٥) ولم يكن من العادة أن يغسل الأيدى بعد الطعام دائما، [illegible] قاعدا فى الغالب(٦) وكان يمنع من يشرب قائما، [illegible] مرة. قال بعضهم: إنما شرب قائما لبيان [illegible]

(١) متفق عليه أخرجه البخارى [illegible]
مسلم أيضا برقم ٢٠٣٢ [illegible]
(٢) متفق عليه أخرجه [illegible]
(٣) تقدم تخريجه
(٤) أخرج نحوه [illegible]
(٥) لم نقف عليه
(٦) انظر صحيح [illegible]

وقال بعضهم بل لعذر، لاجرم قال أكثر العلماء: لاينبغى أن يشرب قائما، وإذا منع عذرا من القعود، جاز الشرب قائما، وكان إذا شرب الماء دفع الباقى لمن هو عن يمينه، وإن كان الذى عن يساره أسن وأدرى[١].

فصل

فى لباسه ﷺ

كان غالب لباسه القطن، وكذا أصحابه الأخيار. وفى بعض الأحيان كان يلبس الصوف، والكتان، وماحضر وتيسر اكتفى به جبة كان أو قباء، أو قميصا وكان يلبس السراويل، والرداء، والخفين، والنعلين، يلبس كل ذلك[٢]. وكان يجعل للعمامة عذبة فى بعض الأحيان، ويرخيها بين كتفيه. وقد يلبسها بغير عذبة.

وكان يتحنك فى بعض الأحيان، وكان إذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة أو قميصا أو رداء. ثم يقول: «اللهم أنت كسوتنيه، أسألك خيره، وخير ماصنع له، وأعوذ بك من شره وشر ماصنع له، وإذا لبس ثوبا ابتدأ بالجانب الأيمن فى الكم ونحوه»[٣].

وكان فى بعض الأحيان يلبس ثوبا من شعر: قالت عائشة: خرج من البيت ولبس ثوبا من الشعر الأسود[٤]. وقال قتادة: سألت أنسًا عن أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ، فقال: الحبرة - والحبرة بُرد يمنى - وكان فى بعض الأحيان يلبس ثوبا من كتان مصر.

---

(١) أخرجه البخارى (٥/١٤٨ وج١٠ ص٦٦)، ومسلم (٢٠٢٩)، ومالك فى الموطأ(ج٢ ص ٩٢٦)، والترمذى (١٨٩٤)، وأبو داود (٣٧٢٦).

(٢) انظر صحيح البخارى (١٠/٢٥٨) ومسلم (٢٣٣٧)، وأبو داود برقم (٤٠٧٢)، والترمذى (١٧٢٤) والنسائى (٨/٢٠٣).

(٣) أبو داود (٤٠٢٠) والترمذى (١٧٦٧) والإمام أحمد فى مسنده (٣/ ٣٠ و٥٠) وهو حديث حسن.

(٤) انظر مسلم (٢٣٥٨).

وقالت عائشة: صنعت له ثوبا من صوف فلبسه، وعرق فيه(١) فشم رائحة الصوف فألقاه عنه فى الحال، لأنه كان يكره الرائحة الكريهة إلى الغاية، ويحب الرائحة الطيبة.

قال ابن عباس: رأيت رسول الله ﷺ فى أحسن حلة. وقال أبو رمثة رأيت النبى ﷺ يخطب وقد لبس بردا أخضر، والبرد الأخضر هو برد فيه خطوط خضر، لأنه أخضر خالص، ووسادته من أديم حشوها ليف.

وأكثر الناس قد صاروا فئتين:

فئة اختاروا البعد عن الملابس الجميلة واقتصروا على المرقعات والمحفرات.

وفئة اختاروا أفخر الملابس، وأشرف الثياب، ولبسوا الناعم المزين ذا الشهرة، وهاتان الفئتان مخالفتان لسنة النبى ﷺ، لأنه قال: «من لبس ثوب شهرة لبس يوم القيامة ثوب مذلة»(٢).

فصل
أمر الرسول فى الملابس

النبى ﷺ لبس السراويل، ولبس العمامة بغير قلنسوة، ومع القلنسوة، والقلنسوة بغير العمامة، وكان يجعل العذبة بين كتفيه فى أكثر الأحوال(٣)، وجاء فى بعض الأحاديث أنه ﷺ قال: «رأيت رب العزة فى النوم فقال: يامحمد فيما يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا أدرى. قال: فوضع يديه بين كتفى، فعلمت ما بين السماء والأرض»(٤).

---

(١) انظر صحيح مسلم (٢٠٨١)، ومسند الإمام أحمد (٦/ ١٦٢).

(٢) انظر صحيح البخارى (١٠/ ٢٤٤)، ومسلم (٢٠٦٨)، وسنن النسائى (ج٨ ص ٢٠١).

(٣) انظر سنن أبى داود (٤٠٢٥)، والترمذى (١٧٦٢) وهو حديث حسن.

(٤) لهذا الحديث طرق متعددة وروايات مختلفة ذكرها السيوطى فى الدر المنثور «ج٥ ص٣١٩، ٣٢٠»، وقد رواه أحمد فى المسند (ج٥ ص ٢٤٣) مطولا من حديث عبدالرحمن بن عياش الحضرمى، وأورده الإمام ابن الجوزى فى زاد المسير (ج٧ ص ١٥٥).

فلما أصبح ﷺ جعل العذبة بين كتفيه «وكان كم قميصه لايجاوز رسغه[١] وكان أحب الثياب القميص، ولبس حلة حمراء»[٢] والحلة عبارة عن ثوبين والمراد بالأحمر هنا مافيه خطوط حمر، لا أنه أحمر خالص، لأن الأحمر الخالص منهى عنه.

لبس عبدالله بن عمر بن العاص ثوبا أحمر. فقال ﷺ: ماهذا؟ قال: فعرفت مايكره، فانطلقت فأحرقته، فلما جئت فى اليوم الثانى قال لى: مافعلت بثوبك؟ قلت: أحرقته. قال: «هلا كسوته بعض أهلك فإنه لابأس به للنساء».

وفى الصحيح قال عبدالله بن عمرو: رأى رسول الله ﷺ على ثوبين معصفرين فقال: «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها»[٣].

وفى الجملة ينبغى الاحتراز من لبس الثياب الحمر الخالصة، وكان ﷺ يلبس الثوب المعلم[٤]، والثوب الساذج، والثوب الأسود، والفرو المعلم على أطرافه بالسندس، والنعل والتاسومة، كل هذا لبسه، ولبس الخاتم، والروايات مختلفة ففى بعضها: أنه لبسه فى اليد اليمنى، وفى بعضها فى اليد اليسرى، وكان نقشه على هذه الهيئة: **(محمد رسول الله)**.

وقال: «لاينقش أحدكم على نقش خاتمى»[٥] هذا ولبس الدرع من الزرد والخود والجواشن، وضاعف بين درعين فى بعض الأحيان، وكان له جبة خسروانية، مفرجة عليها سجف من الديباج مخيطة».

---

(١) «الرسغ» بضم فسكون أو ضمتين: المفصل بين الساعد والكف. والحديث أخرجه أبو داود (٤٠٣٧)، والترمذى (١٧٦٥) وقال حديث حسن.

(٢) أخرجه البخارى (١٠/٢٥٨)، ومسلم (٢٣٣٧)، وأبو داود (٤٠٧٢)، والترمذى (١٧٢٤)، والنسائى (٨/٢٠٣)، وذكره النووى فى رياض الصالحين (ص ٣٥٣).

(٣) أخرج نحوه الشيخان: البخارى (١٠/ ٢٤٤)، ومسلم (٢٠٦٨)، والنسائى (ص ٣٥٣).

(٤) انظر فتح البارى (جـ١ ص٩٩) وفى كتاب الأذان (جـ١ ص ١٨١) وفى كتاب اللباس باب الأكسدة والخمائض (جـ٧ ص ١٩٠)، ومسلم (جـ١ ص ٢٢٤) وأبو دواد، (ص ٣٧١)، والنسائى (٢/ ٧٢)، وابن ماجه (٢/١٧٦).

(٥) انظر كتاب أخلاق النبى ﷺ (ص ١٣٥).

وأما الطيلسان فإنه كان يلبسه حال الحر، كما فى اليوم الذى أمر فيه بالهجرة، فإنه جاء فى نصف الليل إلى بيت أبى بكر وهو مطيلس، وأما حديث أنس كان يكثر القناع يعنى يلبس الطيلسان كثيرا ـ فحمله بعضهم على أوقات الضرورة ـ فى السفر، وكان يلبس جبة ضيقة الكمين، وكان يلبس الإزار والرداء فى بعض الأحيان، طول الرداء ستة أذرع، وعرضه ثلاثة أزرع وشبرا وطول الإزاء أربعة أذرع وشبر، وعرضه ذراعان وشبر. والله تعالى أعلم»[(١)].

فصل

فى العادة النبوية فى معاشرة أزواجه الطاهرات ومباشرتهن

قال ﷺ: «حبب إلى من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عينى فى الصلاة»[(٢)] وبعض المصنفين يزيد لفظ ثلاث وذلك غلط، وحيث لم يستقم أولوه بتأويلات كلها سهو. فإن الصلاة ليست من أمور الدنيا، وأحب الأشياء إليه من أمور الدنيا النساء والطيب، وفى كثير من الليالى كان يطوف على جميع نسائه التسع، وأكرمه الله بقوة ثلاثين رجلا من الأقوياء. لاجرم أبيح له ما شاء من النساء. وكان يسوى بينهن فى المبيت والإيواء، والنفقة، وجميع الأمور.

وأما فى المحبة فقال: «اللهم هذا قسمتى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك»[(٣)] يعنى فى المحبة والمجامعة.

---

(١) انظر تفاصيل ذلك فى المصدر السابق (ص١١٠ و ١١١ و١١٢).

(٢) أخرجه أبو الشيخ الأصبهانى فى كتاب أخلاق النبى ﷺ (ص ٢٤٧) وتقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود فى كتاب النكاح باب القسم بين النساء حديث رقم (٢١٣٤ ج٢ ص ٢٤٢)، والترمذى فى كتاب النكاح باب ماجاء فى التسوية بين الحرائر حديث رقم (١١٤٠ ج٣ ص ٤٤٦)، والنسائى (٧/ ٦٤) وابن ماجه ١/ ٦٣٤ حديث رقم (١٩٧١).

وفى وجوب رعاية المساواة بينهن عليه قولان:

أحدهما وجوب القسم.

الثانى أنه كان يجوز له أن يعاشرهن بغير قسم وذا من خصائصه، وطلق بعضهن وراجع، وآلى مؤقتا بشهر، ولكن ماظاهر، وبعض الفقهاء قال ظاهر أيضا، وهو غلط واضح، وسهو فاضح، وسيرته معهن أحسن السير، وقد قال: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى»[1].

وكان يسوق بنات الأنصار إلى عائشة ليلاعبوها، وإذا التمست أمرا ليس فيه محظور وافق، وتابع. وشربت من كوز فأخذه ﷺ ووضع شفته موضع شفتها ثم شرب، ورفعت عظما فنهشت مما عليه من اللحم، فأخذه ﷺ من يدها، وأكل من موضع فمها، وكان يتكئ عليها، ويقرأ القرآن، وكان يجعل رأسه فى حضنها، ويتلو، وإن كانت حائضا.

وفى حالة الحيض كان يأمرها بشد الإزار، ثم يعانقها فوقه، ويلصق سائر بشرته بها، وكان يقبلها فى أيام الصيام، ومن كمال لطفه، وغاية مكارم أخلاقه مع أهل بيته، أنه كان يمكنها من اللعب باللعب، كما هى عادة البنات، واتكأت على كتفه لتنظر إلى الحبشة ورقصهم.

وفى السفر سابقها مرتين راجلا، سبقته عائشة فى المرة الأولى، وفى المرة الثانية كانت عائشة قد بدنت فسبقها ﷺ فقال: «هذا بذاك» وخرجا مرة من الحجرة معا وتدافعا عند محل الباب، حتى خرجا، وكان إذا عزم على سفر أقرع بينهن، فمن وقعت قرعتها ذهب بها، ولم يقض للمقيمات عند العود وربما لاعب احداهن، ووضع يده عليها بحضور الجميع، وكان يطوف على

---

(١) أخرجه الترمذى فى أبواب المناقب باب فى فضل أزواج النبى ﷺ (ج٥ ص ٣٦٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والدارمى فى كتاب النكاح باب فى حسن معاشرة النساء (ج٢ ص٨٢) وليس فيه: (وأنا خيركم) وابن حبان فى كتاب النكاح باب فى عشرة النساء موارد الظمان (ص ٣١٨)، والبيهقى فى الأربعون الصغرى (ص ٢١٣).

الحجرات كلها فى كل يوم بعد العصر، يتفقد أحوال أهلها، فإذا جن الليل بات فى حجرة صاحبة النوبة، وقسم بين ثمانية من نسائه، لأن سودة رضى الله عنها وهبت نوبتها لعائشة، فكانت لعائشة ليلتان[١] وللأخريات ليلة ليلة.

والذى وقع فى صحيح مسلم، عن عطاء، أنه قال: الزوجة التى لم يقسم لها هى صفية، غلط صريح من عطاء، وسبب هذا الوهم أن رسول الله ﷺ وجد على صفية فى بعض الأيام، فاضطربت صفية وقالت لعائشة: إن استطعت أن ترضى رسول الله ﷺ عنى وهبتك نوبتى، فقالت عائشة: بلى. ثم جاءت وقعدت إلى جنب رسول الله ﷺ فى يوم نوبة صفية فقال: «أبعدى فإن اليوم ليس نوبتك» قالت عائشة: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وحكت له، فرضى ﷺ عن صفية.

وهذه الحالة إنما كانت فى يوم واحد، ونوبة واحدة لاغير. فلذا وهم بعض الرواة، وحديث كان يقسم ثمان صحيح، وكان من العادة النبوية أنه إذا واقع فى أول الليل اغتسل، ثم نام فى بعض الأحيان.

وفى بعضها كان يتوضأ وينام، ثم يغتسل فى آخر الليل، والحديث المروى عن عائشة أنها قالت: ربما نام ولايمس ماء، غلط من بعض الرواة، وربما طاف على جميعهن واغتسل فى الآخر غسلا واحدا. وربما اغتسل عقيب كل مواقعة، وكان إذا قدم من السفر، لايدخل البيت ليلا[٢].

---

(١) أخرجه الشيخان البخارى فى كتاب النكاح باب (٩٨) المرأة تهب يومها فى زوجها لضرتها وكيف يقسم ذلك حديث رقم (٥٢١٢) فتح البارى (٩/ ٣١٢)، ومسلم فى كتاب الرضاع باب جواز هبتها نوبتها لضرتها حديث رقم (١٤٦٣ ج٢ ص ١٠٨٥).

(٢) انظر صحيح البخارى (٩/ ٢٩٦، ٢٩٧)، ومسلم (٩/ ١٥٢٨) رقم حديث الباب (١٨٤)، وسنن أبى داود (٢٧٧٦) و(٢٧٧٨)، والترمذى (٢٧١٣).

فصل

فى نوم سيدنا رسول الله ﷺ ويقظته

كان النبى ﷺ ينام فى بعض الأحيان على الفراش، وحينا على النطع، وحينا على الحصير، وحينا على الأرض، مجردا. وفراشه من أديم، حشوه ليف عوض القطن، وكان له مسح من شعر، ينام عليه فى الليل، وكانوا يثنونه له عند النوم، فجعلوه فى بعض الليالى أربع طاقات فنهاهم وقال: «اجعلوه مثنيا كما كنتم تفعلون أولا. فإنه منعنى البارحة من صلاتى».

وفى الجملة: كان ينام على الفراش أيضا. ويلتحف، وقال: إن جبريل لم يأتى قط فى لحاف امرأة سوى لحاف عائشة، وكانت وسادته من أديم حشوها ليف.

فصل
فى الركوب

كان ﷺ فى بعض الأحيان يركب الفرس، وفى بعضها يركب البغل[١]، والحمار، وكان قد يركب الفرس عريانا بغير سرج. وقد يسوق، وفى الغالب كان يركب منفردا، وفى بعض الأحيان كان يردف على البعير أحدا، وربما أركب شخصا آخر بين يديه، فيصيرون ثلاثة على بعير، وربما أردف بعض أمهات المؤمنين.

وغالب مراكيبه ﷺ الفرس، والبعير، وأما البغل فإنه كان قليلا فى بر العرب، أهدى له ﷺ بغلة من الاسكندرية، وكان يركبها فقال بعض الصحابة: نحن أيضا نقفز الحمير على الخيل لتنتج البغال، فقال: «إنما يفعل ذلك الذين لايعلمون».

فصل
فى ممتلكات النبى ﷺ

كان للنبى ﷺ قطيع من الغنم، وكان لايحب أن يزيد على مائة فإن زاد شيء ذبح بدله، وكان له جوار وغلمان، وكان العتقاء من تلك الجملة ينيفون على الأرقاء، وأكثر مواليه وعتقائه، الغلمان لا الإماء، وقال: «أيما امرئ أعتق امرءا مسلما كان فكاكه من النار يجزى كل عضو منه عضوا منه»[٢]، «وأيما امرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار يجزى كل عضوين منهما عضوا منه»[٣] وهذا حديث صحيح، ودليل على أن عتق الغلام أفضل من عتق الأمة، وأن عتق الغلام يعدل عتق أمتين.

---

(١) انظر: كتاب اخلاق النبى ﷺ وآدابه (ص ١٦١).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب العتق باب ماجاء فى العتق وفضله، حديث (٢٥١٧ ج٥ ص ١٤٦)، ومسلم فى كتاب العتق، باب فضل العتق حديث رقم (١٥٠٩) حديث الكتاب (٢٤ ج ٢/١١٤٨، ج٤ ص١١٤).

(٣) أخرجه الترمذى فى كتاب النذور والإيمان باب ماجاء فى فضل من أعتق، حديث رقم (١٥٤٧ ج٤ ص ١٧٧ ـ ١١٨)، وانظر سبل السلام (ج٤ ص ٢٦٨).

فصل
في عادة الرسول في أحواله العمومية

باع سيدنا رسول الله ﷺ واشترى، لكن بعد نزول الوحى كان الشراء غالبا، والبيع قليلا، وأما بعد الهجرة فلم يحفظ البيع، إلا فى ثلاث صور والشراء كثير، وأجر ﷺ واستأجر، والاستئجار أغلب، وحفظ أنه قبل النبوة أجر نفسه لرعى الغنم، وأجر نفسه لخديجة ليتجر لها[١].

وفى صحيح مسلم، أنه أجر نفسه من خديجة مرتين، وفى سفرتين كل سفرة بجمل، وشارك النبى ﷺ ووكل، وتوكل، وكان التوكيل أكثر، وأهدى له ﷺ وقبل الهدية، وعوض عنها، ووهب له ﷺ وقبل الهبة.

وحصل لسلمة بن الأكوع فى بعض الغزوات، جارية حسناء، فقال له ﷺ: هبها لى، فأخذها، وفادى بها جماعة من الأسرى بمكة، وخلصهم من الأسر.

واقترض ﷺ برهن، وبغير رهن، واستعار واشترى بنقد ونسيئة، وضمن عن الله عز وجل، ضمانا خاصا. كما قال: «من ضمن لى ما بين لحييه[٢] وما بين رجليه ضمنت له الجنة»[٣] ومثل هذا الضمان فى السنة كثير.

وضمن ضمانا عاما عمن مات، وعليه دين، ولم يترك وفاء دينه. وكان ﷺ يشفع ويشفع إليه، وشفع لمغيث عند امرأته بريرة. فلم تقبل الشفاعة، ولم يغضب عليها ولم يعاتبها، وكان يكثر القسم بالله، والثابت من ذلك يزيد على ثمانين موضعا.

وأمر الله تعالى نبيه بالقسم فى ثلاثة مواضع:

---

(١) انظر: عيون الأثر لابن سيد الناس، وابن حجر فى الإصابة وغيرهما، وفتح البارى لابن حجر (ج٧ ص٩١).

(٢) مابين لحييه: هو اللسان. ومابين رجليه: الفرج. انظر: رياض الصالحين ص ٥٧٠.

(٣) أخرجه البخارى (ج١١ ص٢٦٤)، وأخرجه الترمذى (٢٤٠٨).

الأول: قال الله تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾(١).

الثاني: قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾(٢).

الثالث: قال الله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾(٣).

وكان فى بعض الأحيان يستثنى فى يمينه. وقد يكفر عنها فى بعض الأحيان وقال: «إنى والله إن شاء الله لا أحلف على يمنى فأرى غيرها خيرا منها، إلا كفرت عن يمينى، وأتيت الذى هو خير»(٤).

وكان ﷺ يمزح، ولايقول إلا حقا ويورى، ولايقول فى توريته إلا حقا. كما أنه كان إذا عزم على قصد جهة سأل عن جهة أخرى ومياهها، ومراعيها، ومنزلها، وأمثال هذه التورية كان يفعلها فى الغزوات، والجهاد كثيرا.

وكان ﷺ يستشير، ويشير، ويعود المرضى، ويحضر الجنائز، ويجيب الدعوة، ويمضى مع الأرامل والمساكين والضعفاء، لقضاء حوائجهم فيقضيها، وكان يسمع الشعر من الشعراء، ويعطيهم الخلع، لأن جميع ما قالوه ومايقولونه إلى يوم القيامة قطرة من بحر، فعطاؤه لهم على قول حق.

وأما مدح غيره، فإنه فى الغالب زور وبهتان، وكذب صراح لاجرم قال: «احثوا فى وجه المداحين التراب»(٥).

---

(١) سورة يونس آية رقم (٢٥).

(٢) سورة سبأ أية رقم (٣)

(٣) سورة التغابن آية رقم (٧).

(٤) متفق عليه أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان والنذور باب (لايؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم) حديث رقم (٦٦٢٢ ج١١/ ٥١٦، ٥١٧)، ومسلم (ج٣ ص١٢٧٣) حديث رقم (١٦٥٢)، والنسائى (٧/ ١٠، ١١).

(٥) أخرجه مسلم فى صحيحه حديث رقم (٣٠٠٢) (٦٩) وأورده النووى فى رياض الصالحين (ص٦٦٥).

فصل
فى أخلاق النبى

سابق رسول الله ﷺ على قدميه، وصارع، وخصف نعله بيده الكريمة ﷺ، ورقع ثوبه، ودلو بيته، وحلب الشاة بيده، ونقى ثوبه من الهوام، وكان يخدم أهل بيته بنفسه ﷺ. وفى عمارة المسجد كان يُعين العمال، ويحمل اللبن. وربما جاع حتى شد الحجر على بطنه. وأضاف، وأضيف واحتجم ﷺ، وأمر أمته بالحجامة.

وثبت أنه احتجم على رأسه. وعلى ظهر قدميه. وفى الأخدعين، والكاهل ـ والأخدعان عبارة عن عرقين فى جانبى العنق. والكاهل: عبارة عن مقدم الظهر ـ يعنى بين الكتفين.

وتداوى ﷺ، وعند الضرورة أشار إلى الكى، وأمر به لكن لم يكتو، وكان يرقى المرضى، ولم يسترق لنفسه ﷺ. وأمر المرضى بالحمية، والمعالجة.

وأما استعمال الأدوية المركبة المذكورة فى القراباذين، والمعاجين والمركبات، وأمثالها، فلم تكن من عادته، بل كان يتداوى بالمفردات. وربما أضاف شيئا لدفع سورة ذلك الدواء فى النادر . وهذا كمال الحكمة، وغاية معرفة الأطباء. روى أبو خزامة عن أبيه قال: «قلت يارسول الله أرأيت رقى نسترقيها، ودواء نتداوى به، وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا؟ قال: هى من قدر الله»[١].

ومنع من التخمة. وكثرة الأكل. وقال: «ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فان كان لابد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»[٢].

---

(١) لم نقف عليه. وانظر صحيح مسلم (٢٢٠٢)، وسنن أبى داود (٣١٠٦)، والترمذى (٢٠٨٤).

(٢) أخرجه الترمذى (٢٣٨١)، وأحمد فى مسنده (٤/ ١٣٢)، وابن ماجه (٣٣٤٩) وإسناده صحيح.

فصل
فى الطب النبوى الشريف

كان ﷺ يعالج الأمراض بثلاثة أنواع:

أحدها: بالأدوية الطبيعية.

الثانى: بالأدوية الإلهية.

الثالث: بأدوية مركبة من هذين القسمين.

أما علاج الحمى فقال: «الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء»[١] وجاء أيضا «إذا حم أحدكم فليرش عليه الماء البارد ثلاث ليال من السحر». وفى موضع آخر فى مسند الإمام أحمد: كان رسول الله ﷺ إذا حم دعا بقربة من ماء فأفرغها على رأسه فاغتسل.

وثبت فى الترمذى «إذا أصابت أحدكم الحمى فإنما الحمى قطعة من النار، فليطفئها بالماء البارد، ويستقبل نهرا جاريا فليستقبل جرية الماء بعد طلوع الفجر، وقبل طلوع الشمس وليقل: بسم الله اشف عبدك وصدق رسولك، وينغمس فيه ثلاث غمسات، ثلاثة أيام، فإن برأ، وإلا فخمسا، وإن لم يبرأ فى خمس فسبع. فإنها لاتكاد تجاوز السبع بإذن الله»[٢].

اتفق أهل الحديث: أن هذا خطاب خاص لأهل الحجاز كخطاب لاتستقبلوا القبلة، ولا تستدبروها، ولكن شرقوا أو غربوا. ولما كان أكثر الحميات العارضة لهم، من نوع حمى يوم الناشئة من شدة الشمس، أمر ﷺ أن تعالج بالماء البارد شربا واغتسالا.

---

(١) رواه البخارى، وأخرج مثله مسلم حديث رقم (٢٥٧٥).

(٢) أخرج نحوه الشيخان انظر صحيح مسلم (ج٣ ص ١٢٥٣ (٨)، والبخارى (ج١٠ ص ١٠٣).

فصل

فى عادة الرسول فى معالجة الأمراض

استطلاق البطن حيث كان من كثرة المادة عولج بتقوية الإطلاق كما فى الصحيحين: «أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال: إن أخى يشتكى بطنه، فقال: «اسقه عسلا» فذهب ثم رجع فقال: قد سقيته فلم يغن عنه شيئا ـ وفى لفظ ـ فلم يزده إلا استطلاقا مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول «اسقه عسلا» فقال له فى الثالثة أو الرابعة: «صدق الله وكذب بطن أخيك»[١].

وفى صحيح مسلم «إن أخى عرب بطنه ـ أى فسد هضمه ـ واعتلت معدته»[٢] وفى تكرار الأمر بشرب العسل نكتة لطيفة من حديث أن الدواء ينبغى أن يكون له مقدار، وكمية بحسب حال المرض، حتى لو قصر عن ذلك يزيل المرض بالكلية، وإن زاد عن ذلك أسقط القوى، وزاد المرض.

ولما لم يعط فى كل نوبة ما يقاوم المرض، لاجرم كان الإطلاق يزداد، وكان ﷺ يأمر بإعادة شرب العسل وحيث وصل إلى حده قال ﷺ: «صدق الله وكذب بطن أخيك»[٣] وكذب البطن عبارة عن كثرة المادة الفاسدة.

وأعلم أن الطب النبوى، لانسبة له من طب الأطباء، لأن الطب النبوى متيقن النجاح قطعا لأنه صادر عن الوحى الإلهى، ومشكاة النبوة، وكمال العقل، وأما طب الغير غالبا، فإنه مأخوذ من الحدس، والظن، والتجربة، وهذا مثار الخطر، ومن لاينتفع بالطب النبوى، فينبغى أن يعلم يقينا، أنه من نقص إيمانه، ومن تلقاه بالقبول، والصدق، وحسن الاعتقاد، انتفع به البتة، كما أن القرآن الكريم، شفاء لما فى الصدور والقلوب، ومن لم يتلقه بالقبول، والإخلاص، زاد مرضه ووباله.

---

(١) أخرجه الشيخان، انظر صحيح البخارى (ج١٠ ص١١٨)، وصحيح مسلم (ج٤ ص ١٧٣٦).

(٢) انظر صحيح مسلم (ج٤ ص ١٧٣٦).

(٣) انظر صحيح البخارى (١٠/ ١١٨).

فصل

فى علاج الطاعون والوباء

كان ﷺ يقول: «الطاعون رجز أرسل على طائفة من بنى إسرائيل، وعلى من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها، فلاتخرجوا منها فرارا منه»[١] وثبت فى حديث آخر «الطاعون شهادة لكل مسلم»[٢].

وجاء فى حديث آخر: «الطاعون وخز الجن»[٣] وجاء فى رواية أخرى: «الطاعون دعوة نبى»[٤] وفى هذا الحديث الذى نهى فيه عن دخول بلد فيها وباء وعن الخروج منها إشارة إلى الاحتراز، والاجتناب من الوباء، لأن فى الدخول إلى محل الوباء تعرضا للبلاء، وإلقاء للنفس فى المهلكة، وهذا مخالف للشريعة ومناف للعقل.

وقد ثبت فى الحديث: «أن من القرف التلف»[٥] والقرف مداناة المريض. ومقاربة الوباء، ففى المحل أمر الحذر، والحمية، ونهى عن التعرض لأسباب التلف.

وأما النهى عن الخروج من محل دخله الوباء، فيظهر فيه معنيان: حمل النفس على التوكل والاعتماد على الخالق، والصبر على القضاء، والرضا به.

والمعنى الثانى هو مايقوله الأطباء من أنه يجب على كل من أراد الاحتراز من الوباء تقليل الغذاء. وإخراج الفضلات من الرطوبات من البدن. والميل إلى التدبير اللطيف، والاجتناب من الرياضة، والحمام، لئلا تنبعث الفضلات

---

(١) أخرجه الشيخان انظر صحيح البخارى (ج١٠ ص١٥٠، ١٥٣)، وصحيح مسلم (٢٢١٨).

(٢) لم نقف عليه، وأخرج نحوه الشيخان، انظر صحيح البخارى (١٠/ ١٥٣، ١٥٦).

(٣) وانظر نحوه فى صحيح مسلم (٢٢١٩) والحديث أخرجه الحاكم وصححه وانظر تفسير المنار: محمد رشيد رضا (ج٨ ص٣٦٤).

(٤) انظر المصدر السابق (٨/ ٣٦٤) ومابعدها.

(٥) لم نقف عليه وانظر نيل الأوطار (ج٤ ص ١٧) ومابعدها.

الردئية الكامنة فى قعر البدن، ويجب عليه اختيار السكون، والراحة، والطمأنينة، ليسلم من هيجان الأخلاط، ولاشك أن الخروج من أرض الوباء، والسفر إلى أرض أخرى، إنما يتيسر بحركة شديدة وضرر ذلك ظاهر.

فصل
فى الاستسقاء

أمر ﷺ فى علاجه بشرب ألبان الإبل وأبوالها. ورد المدينة رهط من قبيلة عكل، فلم يوافقهم ماء المدينة وهواؤها، فاستسقوا، فجاؤا إلى الرسول ﷺ وقالوا: إنا استوخمنا المدينة، فعظمت بطوننا، وارتشهت أعضاؤنا. فقال «لو خرجتم إلى إبل الصدقة، فشربتم من أبوالها وألبانها» ففعلوا.

فلما صحوا عمدوا إلى الرعاة فقتلوهم، واستاقوا الإبل، وحاربوا الله ورسوله، فبعث رسول الله ﷺ فى آثارهم، فأخذوا، فقطع أيديهم، وأرجلهم، وسمل أعينهم، وألقاهم فى الشمس حتى ماتوا، والمحققون من الأطباء مطبقون على أن لبن اللقاح وبول الجمال، من الأدوية المعتبرة فى هذا المرض. والله أعلم.

فصل
فى علاج الجراحات

أمر ﷺ فى علاج الجراحات، برماد من حصير محروق لما جرح وجهه المبارك فى يوم أحد، وكانت فاطمة رضى الله عنها تغسل، وأمير المؤمنين على رضى الله عنه يصب الماء عليها، وحيث لم ينقطع، أخذت فاطمة قطعة من حصير فأحرقتها حتى صارت رمادا، ووضعت ذلك الرماد على الجراح فانقطع الدم من ساعته، وكانت الحصير من البردى، وفى تلك البلاد غال حصرهم من البردى، ولرماده قوة تامة فى قبض الدم.

فصل
الرسول وأقواله فى الحجامة

كان ﷺ يقول: «الشفاء فى ثلاثة: فى شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنا أنهى أمتى عن الكى»[١] قال العلماء: هذا الحديث إشارة إلى معالجة جميع الأمراض المادية، لأن المرض إما دموى، أو صفراوى، أو بلغمى، أو سوداوى، فإن كان دمويا، فعلاجه بإخراج الدم، وإن كان من الأقسام الثلاثة، فعلاجه بالإسهال ـ الذى يليق بكل خلط منها ـ نبه بالعسل على ذلك، وبالمحجم على الفصد، والحجامة،ونبه بالكى، على حالة يعجز فيها الطبيب، ويعيا. وآخر الدواء الكى.

ولما حجمه ﷺ أبو طيبة أمر له بصاعين، وقال لسادته: خففوا عنه شيئا من خراجه، ففعلوا، وكان يقول «خير ماتداويتم به الحجامة»[٢] وقال: «ما مررت ليلة أسر بى بملأ من الملائكة إلا قالوا: يامحمد مر أمتك بالحجامة»[٣] والسبب أن الحجامة تخرج الدم من نواحى الجلد، والأطباء بأسرهم قائلون بأن الحجامة فى البلاد الحارة أفضل من الفصد، لأن دمهم رقيق ناضج منبسط على سطح البدن، وإنما يخرج بالحجامة، لا بالفصد، والفصد ينفع أعماق البدن.

وفى الصحيحين: «كان رسول الله ﷺ يحتجم ثلاثا، واحدة على كاهله واثنتين على الأخدعين[٤]» وفى الصحيح، أنه احتجم، وهو محرم فى رأسه لصداع كان به.

---

(١) متفق عليه وأورده الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٨ ص٢٠٧).

(٢) متفق عليه وأورده الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٨ ص ٢٠٧).

(٣) لم نقف عليه وانظر نيل الاوطار (ج٨ ص ٢٠٧، ٢٠٨).

(٤) أخرجه الترمذى فى سننه وقال: حديث حسن غريب انظر نيل الأوطار (ج٨ ص ٢٠٧).

وفى سنن ابن ماجه، أن جبريل جاءه وأمره بالحجامة فى الأخدعين والكاهل. وفى سنن أبى داود: «أنه ﷺ احتجم فى وركه من وثى كان به»[١] والوثى، دكة فى البدن، من سقطة، أو ضربة لاتصل الخلع والكسر.

فصل

أقوال النبى فى الكى

كان النبى ﷺ لايحب الكى. ومع هذا كان يأمر به عند الضرورة، وأرسل مرة طبيبا إلىٰ أبى بن كعب، فرآه وكواه، ولما جرح سعد بن معاذ[٢] فى أكحله أمر أن يكوى. فورم فكوى ثانيا. وأمر أسعد بن زارة فكوى من داء[٣] الشوكة، والشوكة ـ حمرة شديدة تستولى على الوجه والجبهة ـ وكوى جابر على الأكحل.

مجموع هذه الأحاديث صحيح، وقد بينا من قبل أنه نهى الأمة عن الكى، والجواب عنه أن الأحاديث على أربعة أنواع: بعضها دال على الفعل، وبعضها دال على دعم المحبة، وبعضها دال على الثناء والمدح على تاركه، وبعضها مشتمل على النهى عنه.

أما الفعل فيدل على الجواز. وأما عدم المحبة فلا يدل على المنع. وأما الثناء والمدح على الترك، فدليل على الأفضلية والأولوية، وأما النهى عنه فإنه محمول على أنه لن يفعله مختارا، أو يفعله من خوف حدوث مرض. فلايكون بين الأحاديث تعارض.

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه وانظر نيل الأوطار (ج٨ ص٢٠٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه ومسلم بمعناه، وأورده الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٨ ص٢٠٤).

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه وقال: حديث حسن وغريب، وأورده الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٨ ص ٢٠٤).

فصل

فى علاج عرق النساء

وهو ماقال رسول الله ﷺ: «دواء عرق النساء آلية شاة أعرابية تذاب، ثم تجزأ ثلاثة أجزاء، ثم تشرب على الريق، فى كل يوم جزءا». ولما كان هذا المرض يحدث من مادة غليظة لزجة، أو من يبس مزاج، احتاج إلى إنضاج وتليين، وهما فى الألية بالخاصية، فأمر ﷺ أن يعالج بها، وإنما خص الشاة بالأعرابية لأنها أصغر وألطف، وخاصية مراعى الشيح والقيصوم والنباتات اللطيفة فيها موجودة.

فصل

فى معالجة يبس المزاج

أمر ﷺ فى معالجة يبس المزاج بالتليين، واختار للتليين السنا المكى «سأل رسول الله ﷺ أسماء بنت عميس: بم كنت تستمشين؟ قالت: بالشبرم. قال: حار جار. ثم قال: استمشين بالسنا». وقال ﷺ: «لو كان شىء يشفى من الموت كان السنا» ـ الشبرم نبت معروف فى الحجاز يستعمل من قشور عروق جذوره. (قوله) ﷺ: «حار جار» أول الأولى حاء مهملة والثانية جيم، وهذا من باب الاتباع يقال فى المبالغة.

وقال ﷺ «عليكم بالسنا والسنوت فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام».

وفى تفسير السنوت ثمانية أقوال:

الأول: العسل.

الثانى: رب عكة السمن يخرج مخلوطا بالسمن.

الثالث: حبة تشبه الكمون وليست به.

الرابع: كمون كرمان

الخامس: الرزيانج.

السادس: الشبت.

السابع: التمر.

الثامن: عسل يكون فى أسفل ظروف السمن، وهذا المعنى أقرب لأن السنا المدقوق المخلوط بعسل مخلوط بسمن أقوى للإسهال وأصلح، وجاء فى حديث آخر «خير ماتداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشاء». السعوط يقال لدواء يقطر فى الدماغ عن طريق الأنف، واللدود يقال لدواء يصب فى الحلق من أحد جانبى الفم، والمشاء دواء مسهل.

فصل
فى الحكة

أمر ﷺ فى علاج ذلك بلبس ثياب الحرير، قال أنس بن مالك: «إن عبدالرحمن بن عوف والزبير بن العوام، كانا فى مشقة عظيمة من حكة البدن، فرخص لهما فى لبس قميص الحرير». وجاء فى بعض الروايات «أنهم فى بعض الغزوات شكوا إلى حضرة سيدنا رسول الله ﷺ كثرة القمل، فرخص لهم فى لبس قميص الحرير».

ويتعلق بهذا الحديث أمران: فقهى، وطبى.

أما الفقهى: فحرمة لبس الحرير على ذكور الأمة، إلا لحاجة، أو رجحان مصلحة.

أما الأمر الطبى: فالتداوى بلبس الحرير من الأمراض اليابسة السوداوية، لأن الحرير من الأدوية الحيوانية، ومن خواصه تقوية القلب، والتفريح، ودفع

غلبة السوداء، والمرض يظهر منها، وهو حار رطب، ومعتدل فى قول بعض، وليس فيه شىء من اللين ولا من الخشونة أصلا. لاجرم أنه ينفع من الحكة والجرب وأمثالهما، وبسبب ملاسته لايثبت القمل عليه.

فصل
فى ذات الجنب

أمر ﷺ فى علاج ذلك باستعمال القسط البحرى فى جامع الترمذى عن زيد بن أرقم: أن النبى ﷺ قال: «تداووا من ذات الجنب بالقسط البحرى والزيت»(١). وفى حديث آخر «القسط البحرى هو العود الهندى»(٢) وذات الجنب على نوعين: حقيقى، وغير حقيقى.

فالحقيقى: ورم يظهر فى غشاء بين الأضلاع، وغير الحقيقى يظهر فى الجنب الأيسر من احتقان ريح غليظ وهذا الدواء لهذا النوع، لأن القسط الهندى، إذا سحق سحقا جيدا، وخلط بالزيت وطلى به ذلك المكان أو لعق منه بالإصبع حلل تلك المادة، وقوى أعضاء الباطن وفتح السدد.

وأما النوع الحقيقى كان من المادة بلغمية، فهذا الدواء علاجه خصوصا حالة انحطاطه المرض، ولما اشتد به ﷺ مرضه، وكان عنده نساؤه، والعباس وأم الفضل بنت الحارث، وأسماء بنت عميس، فتشاوروا فى لده فلدوه، وهو مغمور، فلما أفاق قال: «من فعل بى هذا؟ هذا من عمل نساء جئن من هنا. وأشار بيده الى أرض الحبشة، يشير إلى أم سلمة وأسماء. قالوا: يارسول الله حسبنا أن يكون بك ذات الجنب قال: فيم لددتمونى؟ قالوا: بالعود الهندى، وشىء من ورس، وقطرات من زيت. قال: ما كان الله ليقذفنى بذلك الداء، ثم قال: عزمت عليكم لايبقى فى هذا البيت أحدا إلا لد، إلا عمى العباس فإنه لم يشهدكم، والله أعلم.

---

(١) أخرج نحوه ابن ماجة، وأبو داود والترمذى وصححه، انظر الشوكانى فى نيل الأوطار (٨/ ٢٠٠).

(٢) لم نقف عليه.

فصل
فى علاج الصداع

وإذا حدث برأسه ﷺ صداع، وضع عليها الحناء. ويقول: «هذا ينفع الصداع» وفى سنن ابن ماجه: «أن النبى ﷺ كان إذا أصابه صداع غلف رأسه بالحناء». ويقول: «إنه نافع بإذن الله من الصداع»[1] والمراد به نوع من الصداع وهو مالم يكن ماديا، بل كان ملتهبا بحرارة الشمس، والحناء لهذا النوع نافع سيما إذا دق ولت بالخل، وضمد به الجبهة.

وثبت فى سنن أبى داود «أن رسول الله ﷺ ماشكا إليه وجعا فى رأسه إلا قال له: «اختضب بالحناء»[2] وفى الترمذى عن أم نافع قالت: لا تصيب النبى ﷺ قرحة، ولاشوكة، إلا وضع عليه الحناء.

فصل
قول النبى فى طعام المريض وشرابه

كان النبى ﷺ يقول: «لاتكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب، فإن الله تعالى يطعمهم ويسقيهم»[3] رواه الترمذى فى جامعة وابن ماجه عن عقبة ابن عامر الجهنى رضى الله عنه يرفعه، وحكمته ظاهرة، لأن طبيعة المريض مشغولة بإنضاج المادة وإخراجها.

وإذا أكره المريض على الطعام والشراب، تعجز الطبيعة عن فعلها وتشتغل بهضم الطعام والشراب، ولاتنضج المادة أصلا، بل يبقى شىء غير نضج، ويشتد المرض، ولا ينبغى أن يعانى على قوة المرض إلا أجزاء لطيفة من الأشربة والأغذية، يحصل بها القوة للمريض، ولاتشتغل الطبيعة بإنضاجها كالأشربة اللطيفة وأمراق الفراريج، وإنعاش القوة الغريزية، بشم العطر واستماع الأخبار الفرحة.

---

(١) أخرج نحوه البيهقى فى السنن الكبرى (٧/ ٣١١)، وفيض القدير (٥/ ٢٤٤)، ونيل الأوطار (٨/ ٢٠٩).

(٢) أنظر مسند أحمد (٤/ ٧٠، ٥/ ٣٨١، ٦/ ٤٣٧) ومجمع الزوائد (٥/ ١٧١).

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه، وابن ماجه فى باب عبادة المريض عن عقبة بن عامر الجهنى.

فصل

أمره بعلاج العذرة

يظهر فى حلق بعض الأطفال علة من ثوران الدم، يقال لها: العذرة، أمر ﷺ فى علاجها بالقسط الهندى، وبعض الدايات تعصر لهات الصغير بإبهامها فتخرج الدم، فنهى ﷺ وقال: «خير ماتداويتم به الحجامة، والقسط البحرى»(١) وقال: «لاتعذبوا صبيانكم بالغمز فى العذرة».

وفى مسند الإمام أحمد: «دخل رسول الله ﷺ على عائشة وعندها صبى تسيل منخراه دما، فقال: ماهذا؟ فقالوا: به العذرة، أو وجع فى رأسه فقال: «ويلكن لاتقتلن أولادكن، أيما امرأة أصاب ولدها عذرة أو وجع فى رأسه فلتأخذ قسطا هنديا فلتحكه بماء ثم تسعطه إياه» فأمزت عائشة فصنع ذلك بالصبى فبرئ(٢).

ولما كانت مادة تلك العلة، دما غلب عليه البلغم، كان العلاج بالقسط موافقا، لأن القسط مجفف، ومقو للعضو، والتسعيط الذى أمر به ﷺ: هو أن يصب الدواء فى الدماغ، حالة الاستلقاء، وإذا وصل إلى الدماغ تخرج العلة بالعطاس، ومدح ﷺ التداوى بالسعوط، واستعط هو ﷺ.

فصل

فى أقوال النبى عن وجع القلب

من اشتكى وجع القلب يقال له مفؤد، لأن الوجع فؤاده، وأمر ﷺ فى دوائه بتمر المدينة، ثبت فى سنن أبى داود، عن سعد قال: مرضت مرضا فأتانى رسول الله ﷺ يعودنى، فوضع يده بين ثديى، حتى وجدت بردها على فؤادى، وقال لى: «إنك رجل مفؤد، فأت الحارث بن كلدة من ثقيف،

---

(١) أخرجه أبو داود وابن ماجه بنحوه، وذكره الشوكانى فى نيل الأوطار (٨/ ٢٠٩).

(٢) انظر نيل الأوطار (ج٨ ص ٣٠٩، ٣١٠).

فإنه رجل يتطبب» ثم قال: فليأخذ ـ يعنى صاحب هذه العلة ـ سبع تمرات من عجوة المدينة، فليجأهن بنواهن ثم ليدلك بهن»[١].

وفى التمر خاصية عجيبة لهذا المرض، وفى تخصيص السبع سر علم بالوحى، وقال «من تصبح كل يوم بسبع تمرات عجوة لم يضره فى ذلك اليوم سم ولاسحر»[٢] وقال: «إن فى عجوة العالية شفاء وإنها ترياق أول البكرة».

وينبغى أن يعلم أن شرط انتفاع المريض بالدواء أن يعتقد نفعه أو تقبل طبيعته عليه، فيستعين بذلك على دفع العلة، كما أن جمعا من الأكابر، عالجوا بالحبة السوداء فى جميع الأمراض، وبعضهم استعمل العسل فى جميع الأمراض، وببركة حسن الاعتقاد، دفعت تلك الامراض.

فصل

الأخذ بأقوال النبى عن الحمية

أمر ﷺ المرضى بالحمية ومنع من الغذاء المخالف، والأصل فى الحمية نص التنزيل ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾.

أمر المريض بالاحتماء عن استعمال الماء البارد، لأنه يضره، وروت أم المنذر الأنصارية فقالت: «دخلت على رسول الله ﷺ ومعه علىّ، وعلى ناقة من مرض، ولنا دلول معلقة، فقام رسول الله ﷺ يأكل منها، وقام علىّ يأكل منها، فطفق النبى صلى الله عليه وسلم يقول لعلىّ: إنك ناقة، إنك ناقة» حتى كف، قالت: وصنعت شعيرا وسلقا فجئت به، فقال النبى ﷺ لعلىّ: «من هذا أنفع لك»[٣] ويروى «من هذا فأصب فإنه أوفق لك»[٤].

(١) لم نقف عليه.

(٢) لم نقف عليه.

(٣) لم نقف عليه.

(٤) لم نقف عليه.

وعن صهيب قال: «قدمت على النبى ﷺ وبين يديه خبز وتمر فقال: «ادن فكل» فأخذت تمرا فأكلت، فقال: «أتأكل تمرا وبك رمد؟» فقلت: يارسول الله، أمضغ من الناحية الأخرى، فتبسم رسول الله ﷺ، وقال: «إن الله إذا أحب عبده حماه الدنيا كما يحمى أحدكم مريضه عن الطعام والشراب»(١).

وأما الأحاديث المشهورة الجارية على ألسنة العوام من المفتريات، فمنها الحمية رأس كل دواء، والمعدة بيت كل داء.

فصل
فى أمر النبى فى دواء وجع العين

أمر ﷺ فى دواء وجع العين بالسكون والراحة ومنع أمير المؤمنين عليا من أكل الرطب، فى حال الرمد، وكان لايقرب من بها رمد من أمهات المؤمنين، إلى أن يحصل لها الشفاء.

فصل
فى أقوال النبى فى دواء الخدر

أمر ﷺ فى دواء الخدران الكلى بالماء البارد، أتفق أن جماعة ساروا فى طريق فوصلوا إلى شجرة، لم يعلموا ما هى، فأكلوا منها فخدروا فى مواضعهم وبطل حسهم فقال ﷺ: «بردوا الماء فى الشنان، وصبوا عليهم فيما بين الآذانين يعنى آذان الفجر، والإقامة» وهذا من أفضل المعالجات.

---

(١) لم نقف عليه.

فصل

فى إصلاح الطعام والشراب الذى سقط فيه الذباب

روى أبى هريرة: «إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فأمقلوه فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء»[١] وفى رواية أبى سعيد الخدرى «فإنه يقدم السقم، ويؤخر الشفاء»[٢]. وفى هذين الحديثين أمران: فقهى وطبى.

أما الفقهى: فهو أن الذباب إذا وقع فى ماء أو مائع فمات لاينجس، وهذا قول جمهور العلماء.

وأما الأمر الطبى: فهو دفع ضرر الأشياء بأضدادها، لأن الذباب إذا وقع فى طعام أو شراب قصد دفع ضرر بسلاحه المسموم فقدمه، لاجرم أمر رسول الله ﷺ أن يقابل السمية بالترياقية ليدفع ضرره.

فصل

فى أمر النبى فى علاج البثرات

أمر ﷺ فى علاج البثرات بالذريرة، والبثرات جراحات صغار تظهر بسبب خلط على ظاهر البدن، والذريرة دواء يأتى به من الهند يخرج من قصب الذريرة، عن بعض أزواج النبى ﷺ قالت: دخل على النبى ﷺ وقد خرج فى إصبعى بثيرة فقال: «هل عندك ذريرة؟» قالت: نعم، قال «ضعيها عليها، وقولى «اللهم مصغر الكبير، ومكبر الصغير مابى»[٣].

وإذا كان بأحد ورم أمر النبى ﷺ ببطه، عن علىّ رضى الله عنه قال: «دخلت مع رسول الله ﷺ على رجل يعوده، بظهره ورم. فقال رسول

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه.

(٢) انظر صحيح البخارى.

(٣) لم نقف عليه.

الله ﷺ: «هذه مدة بطوا»[١] عنه» قال عليّ: فما برحت حتى بطت والنبى ﷺ شاهد.

وفى مرة أخرى أمر ﷺ ببط شخص كان قد ورم فقالوا: يارسول الله، هل ينفع الطب؟ فقال: «الذى أنزل الداء أنزل الشفاء فيما شاء»[٢].

فصل
فى أمر النبى بمعالجة المريض بالكلمات المطيبة للنفس

أمر ﷺ أن يعالج المريض فى بعض الأحيان، بالكلمات المطيبة للنفس الدافعة للحزن والغم، روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه: إذا دخلتم على مريض فنفسوا له فى أجله فان ذلك لايرد شيئا، ويطيب نفسه»[٣].

وأمر ﷺ فى معالجة الحزن والغم بالتلبينة - وهى طعام رقيق يصنع من دقيق شعير غير منخول - بشرط أن يطبخ تاما، ليكون فى القوام، والرقة كالحليب، ولذا قالوا التلبينة وله حكم ماء الشعير، الذى عليه اعتماد الأطباء فى أكثر المعالجات.

عن عائشة رضى الله عنها: أنها كانت إذا مات الميت من أهلها، واجتمع لذلك النساء ثم تفرقن إلا أهلهن، أمرت ببرمة تلبينة، فطبخت وصنعت ثريدا، ثم صبت التلبينة عليه ثم قالت: كلوا منها فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «التلبينة مجمة لفؤاد المريض، وتذهب بعض الحزن»[٤]

---

(١) جاء فى لسان العرب: بط الجرح وغيره، يبطه بطا، وبجه بجا: إذا شقه، والمبطة: المبضع. وبططت القرصة: شققتها. والبط: شق الدمامل والخراج ونحوهما ابن منظور لسان العرب (ج١ ص٢٢٦).

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده بمثله، والبخارى فى صحيحه، وابن ماجه فى سننه، وأورده الشوكانى فى نيل الاوطار (ج٨ ص ٢٠٠).

(٣) انظر نيل الاوطار (ج٨ ص ٢) ومابعدها.

(٤) لم نقف عليه.

وجاء فى حديث آخر: «عليكم بالبغيض النافع: التلبين»[١] وثبت فى حديث عن عائشة أنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قيل له: إن فلان وجع لايطعم الطعام قال: «عليكم بالتلبينة فاحسوه إياها»[٢] وكان يقول: «والذى نفسى بيده إنها تغسل بطن أحدكم كما تغسل إحداكن وجهها من الوسخ»[٣].

فصل

فى علاج السم

جاءت امرأة يهودية إلى رسول الله ﷺ فى خيبر مصلية، فتناول منها فنطقت الشاة، فقالت الذى معناه لاتزد على هذا فإنى مسمومة، فطلب ﷺ المرأة وقال: «لم فعلت هذا؟» فقالت: إن كنت نبيا لا يضرك. فاحتجم ﷺ بين الكتفين فى ثلاثة مواضع، وأمر من أكل معه بذلك وعاش بعدها ثلاث سنين، وكان يقول فى كل سنة، مازلت أجد ألم لقمة خيبر، وقال عام وفاته: «مازلت أجد من الأكلة التى أكلت من الشاة يوم خيبر، حتى كان هذا أوان انقطاع الأبهر منى» فتوفى رسول الله ﷺ شهيدا[٤].

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) لم نقف عليه.

(٣) لم نقف عليه.

(٤) انظر كتاب سيرة ابن هشام (ج٢ ص ١٣٨) وانظر: كتاب محمد رسول الله (ص ١٩٨) ومابعدها. وكتاب رسالة الإسلام (ص ٩١)، وكتاب الاصطفا فى سيرة المصطفى (ج٢ ص ٦٤) ومابعدها.

فصل
فى علاج السحر

لما سحره اليهود، ووصل المرض إلى الذات المقدسة النبوية أمر ﷺ بالحجامة على قمة رأسه المبارك، ومن لاحظ له من الدين والإيمان يستنكر كل هذا العلاج، ولو نقل عن كبار الأطباء كالجالينوس وأرسطاطاليس لم ينكره. ولما وصلت مادة السحر إلى رأسه المبارك، كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله، وهذا تصرف من الساحر فى الطبيعة، واختلطت المادة الدموية بتلك المادة، فغلبتا على بطن الدماغ، فخرج عن طبيعته الأصلية، لأن السحر مركب من تأثيرات الأرواح الخبيثة وانفعال قوى الطبيعة، واستعمال الحجامة فى محل تضرر بالسحر غاية الحكمة، ونهاية حسن المعالجة.

ومن جملة العلاجات التى هى عظيمة النفع فى السحر الأدوية الربانية من آيات والدعوات المبطلة لذلك، وكان ماكان أقوى بطل به السحر عاجلا، لاجرم لما نزلت المعوذتان بطل السحر بالكلية.

فصل
فى قول النبى عن العلاج بالقىء

كان ﷺ فى بعض الأحيان يعالج البدن بالقئ. عن أبى الدرداء «أن النبى ﷺ قاء فتوضا، فلقيت ثوبان، فذكرت له ذلك، فقال: صدق أنا صببت له وضوءه». والقىء أحد الاستفراغات الخمس التى هى أصل أنواع الاستفراغات وهى: الإسهال، والقىء، وإخرج الدم، وخروج الأبخرة، والعرق، وقد وردت السنة بالخمس كما ذكرناه.

فصل

من يعالج بغير معرفة

كان ﷺ يضمن من يعالج بغير معرفة، عن عمرو بن العاص يرفعه «من تطبب ولم يعلم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن». ولاخلاف بين العلماء، أن من طبب بغير علم فأهلك المريض لزمه الضمان، وإن حضر طبيبان فى حضرته ﷺ أشار إلى أحذقهما. روى مالك فى الموطأ عن زيد بن أسلم: أن رجلا فى زمن رسول الله ﷺ جرح فاحتقن الدم، وأن الرجل دعا رجلين من بنى أنمار، فنظر إليه، فزعم أن رسول الله ﷺ قال لهما: «أيكما أطب؟» فقالا: أفى الطب خير يارسول الله، فقال: «الذى أنزل الداء أنزل الدواء».

فصل

فى أمر الرسول باجتناب معاشرة أرباب الأمراض

أمر ﷺ باجتناب معاشرة أرباب الأمراض المعدية، كما فى حديث أبى هريرة مرفوعا «فر من المجذوم كما تفر من الأسد» وصح فى حديث جابر «أنه كان فى وفد ثقيف رجل مجذوم، فقال له: إنا بايعناك فارجع». وفى حديث ابن عباس مرفوعا «لاتديموا النظر إلى المجذومين». وجاء فى حديث آخر «كلم المجذوم وبينك وبينه قدر رمح أو رمحين». والجذام مرض خبيث يظهر من انتشار السوداء فى جميع البدن، فيفسد مزاج الأعضاء ويغير شكلها وهيأتها. وجاء فى حديث آخر أنه ﷺ أكل مع مجذوم طعاما، وأخذ بيده وجعلها معه فى القصعة، وقال: «كل بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه». والجواب عن حديث «لاعدوى ولاطيرة» قالوا: إنما أمر بالاحتراز منهم، لئلا يصل هذا المرض إلى أحد والعياذ بالله، فيتصور له بهذا أن العدوى حق.

وقال بعضهم فى الجواب: الأمر باجتناب المجذوم على سبيل الاستحباب والاختيار والإرشاد، ومؤاكلة المجذوم لبيان جواز الفعل والإعلام بأنه غير حرام.

وقال بعضهم فى الجواب: إن الخطاب فيه غير كلى لكل مؤمن وإنما خاطب كل مؤمن بما يليق ويتسع له حاله، فمن كان إيمانه وتوكله فى نهاية القوة فلايتضرر بمخالطتهم لأن قوة إيمانه تدفع قوة العدوى، وأما الضعفاء فأمرهم بالاحتياط والاحتراز، وهو ﷺ باشر الصورتين ليقتدى به، فيأخذ القوى بطريق التوكل والضعيف بطريق التحفظ.

فصل
فى منع الرسول عن التداوى بالمحرمات

روى أبو الدرداء «أن الله تعالى أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولاتداووا بالمحرم»، وروى ابن مسعود «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم». وسأل طارق النبى ﷺ عن عمل الخمر فنهاه، فقال: إنما أصنعه للدواء، فقال: «إنه ليس بدواء لكنه داء» وفى لفظ آخر فى سنن أبى داود والترمذى عن طارق «قلت: يارسول الله إن بأرضنا أعنابا نعتصرها ونشرب منها. قال: لا. فراجعته، فقلت: إنا نستشفى بها للمريض قال: «إن ذلك ليس بشفاء ولكنه داء». وفى سنن النسائى مروى «أن طبيبا ذكر أن الضفدع تنفع فى هذا الدواء فنهى ﷺ عن قتل الضفدع». وثبت فى حديث آخر «من تداوى بالخمر فلا شفاه الله».

فصل
فى علاج القمل

أمر ﷺ فى علاج القمل بحلق الرأس لتتفتح المسام وتتصاعد الأبخرة، وتضعف المادة التى يتولد منها القمل.

فصل

فى المعالجة بالأدوية الروحانية الربانية والأدوية المركبة منها ومن الطبيعة

كان ﷺ يقول: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا»[١] ورخص فى رقية العين، والحمة، والنملة.

روى مالك «أن عامر بن ربيعة، رأى سهل بن حنيف يغتسل فتأمل فى حسن بدنه، وقال: والله ما رأيت مثل هذا، ولا جلد مخدرة، فلبط[٢] سهل لحينه».

وبلغ خبره رسول الله ﷺ فغضب على عامر، فدعا عامرا، فتغلظ عليه. وقال: «علام يقتل أحدكم أخاه ألا بركت اغتسل له» فغسل عامر وجهه، ويديه، ومرفقيه، وركبتيه، وأطراف رجليه، وداخلة إزاره فى قدح. ثم صب عليه فراح مع الناس ليس به بأس»[٣] قوله: ألا بركت، يعنى: لم لاقلت بارك الله فيه.

وكيفية الغسل بينها الزهرى فقال: يؤمر العائن أن يدخل يده فى قدح ماء، ويخرج منه كفا، فيتمضمض به. ثم يصبه فى القدح. ويغسل وجهه فى القدح، ثم يدخل يده اليسرى، ثم يغسل إزاره.

وفى داخل إزاره قولان:

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه (ج٣ ص١٧١٩) عن ابن عباس رضى الله عنهما بلفظه، وروى البخارى وأصحاب السنن عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين يقول: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة» وانظر: زاد المسير لابن الجوزى (ج٨ ص٣٤٣و ٣٤٤)، وتفسير القرطبى (ج٨ ص٢٥٦)، والبحر المحيط (٨/ ٣١٧)، والكشاف (ج٤ ص ١٣٢ ـ ١٤٥).

(٢) لبط فلان بفلان الأرض، بلبط لبطا. مثل لبج به. ضربها به. وقيل: صرعه صرعا عنيفا ولبط بفلان إذا صرع من عين أو حمى. ابن منظور لسان العرب (ج٣ ص٣٣٦).

(٣) أخرجه أحمد فى مسنده، وأورده مطولا الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٨ ص ٢١٥).

أحدهما: مراده الفرج.

الثانى: مراده طرف الإزار داخل الذى يلى البدن من الجانب الأيمن. ولايضع القدح على الأرض ثم يصب ذلك الماء على المعيون، من خلف رأسه.

ورأى ﷺ فى بيت أم سلمة جارية فى وجهها سعفة. فقال: «استرقوا لها فإن بها النظرة» وفى سنن أبى داود عن سهل بن حنيف. «مررت على ماء فاغتسلت منه فأخذتنى الحمى، فبلغ الخبر إلى رسول الله ﷺ فقال: مروا ابا ثابت يتعوذ» قال: فقلت ياسيدى والرقى صالحة؟ فقلت: «لارقية إلا فى نفس، أو حمة، أو لدغة» والنفس العين. والحمة كل ذى سم[1].

وأكثر الرقى النبوية ثابتة فى الحديث الصحيح. منها «أعوذ بكلمات الله التامات، التى لايجاوزهن بر ولافاجر، وبأسماء الله الحسنى ماعلمت منها، وما لم أعلم، من شر ماخلق، وذرأ، وبرأ، ومن شر ماينزل من السماء، ومن شر مايعرج فيها، ومن شر ماذرأ فى الأرض، ومن شر مايخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر طوارق الليل، إلا طارقا يطرق بخير يارحمن»[2] ومن جملتها: «أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه، ومن شر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون»[3].

وفى تلك الجملة: «اللهم إنى أعوذ بوجهك الكريم، وبكلماتك التامات، من شر ما أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت تكشف المأثم والمغرم، اللهم إنه لايهزم جندك، ولايخلف وعدك، سبحانك وبحمدك»[4] ومن تلك الجملة: «أعوذ بوجه الله العظيم، الذى ليس شىء أعظم منه، وبكلمات الله التامات التى لايجاوزهن بر، ولافاجر، وبأسماء الله الحسنى، ماعلمت منها،

---

(١) انظر نيل الأوطار (ج٨ ص ٢١٥) ومابعدها.

(٢) انظر: زاد المعاد فى خير هدى العباد لابن القيم.

(٣) لم نقف عليه.

(٤) لم نقف عليه.

وما لم أعلم، من شر ماخلق، وزرأ، وبرأ، ومن كل ذى شر لا أطيق شره، ومن شر كل ذى شر. رب أنت آخذ بناصيته، إن ربى على صراط مستقيم»(١).

ومن تلك الجملة: «اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليه توكلت، وأنت رب العرش العظيم، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولاحول ولاقوة إلا بالله، أعلم أن الله على كل شيء قدير. وأن الله قد أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى، ومن شر الشيطان وشركه، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم»(٢).

ومن تلك الجملة: «تحصنت بالذى لا إله إلا هو إلهى، وإله كل شيء، وتوكلت على الحى الذى لايموت، واستدفعت الشر، بلاحول ولا قوة إلا بالله، حسبى الله ونعم الوكيل، حسبى الرب من العباد، حسبى الخالق من المخلوق، حسبى الرازق من المرزوق، حسبى الذى هو حسبى، حسبى الذى بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولايجار عليه، حسبى الله وكفى، سمع الله لمن دعا، ليس وراءه مرمى، حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم»(٣).

ومن جرب هذه الدعوات، علم عظيم قدرها بالإجابات، ومن تلك الجملة رقية جبريل الثابتة فى صحيح مسلم، التى رقى بها سيدنا رسول الله عليه من الله أفضل الصلاة والسلام: «بسم الله أرقيك»(٤).

ومن جملة الكلمات، التى تدفع شر النظرة قول: ماشاء الله لاقوة إلا بالله، وإن قال العائن: «اللهم بارك عليه» دفع شر نظره، وجماعة من السلف

---

(١) تقدم تخريجه.

(١) تقدم تخريجه.

(٣) لم نقف عليه.

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه حديث رقم (٢١٨٦)، وأورده النووى فى رياض الصالحين (ص٣٨٩) حديث رقم (٩٠٨/٨).

أجازوا أن يكتب آيات من القرآن، ويشربها المعيون: قال مجاهد: لابأس أن يكتب القرآن ويغسله، ويسقيه لمريض.

وروى أن امرأة أصابها المخاض مدة فأمر ابن عباس بكتابة آيتين، من القرآن فكتبتا، وغسلتا، وشربت المرأة الماء.

ومن رقى العين ، روى عن أبى عبدالله الباجى، أنه قال: كنت فى بعض الأسفار على جمل جيد، وكان فى القافلة شخص معروف أنه إذا نظر إلى شيء واستحسنه تلف، فقيل لأبى عبدالله ذلك فقال: ليس له قدرة على جملى، فبلغ كلامه إلى العائن، فارتقب أبا عبدالله عند المنزل، ثم جاء فنظر إلى البعير، فاضطرب وسقط كما تسقط النخلة إذا اقتلعت من جدرها.

فلما جاء أبو عبدالله أخبر بذلك، فقال سيروا إليه فلما رآه قال: (بسم الله حبس حابس، وحجر يابس، وشهاب قابس، رددت عين العائن عليه، وعلى أحب الناس إليه، فارجع البصر هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير) فخرجت حدقة العائن، وقامت الناقة لابأس بها.

فصل
الذى يقوله الرسول فى معالجته المرضى

عالج ﷺ جميع الأمراض، والآلام، بهذا الدعاء. وهو الذى قال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اشتكى منكم شيئا فليقل ربنا الله الذى فى السماء، تقدس اسمك، أمرك فى السماء والأرض، كما رحمتك فى السماء، فاجعل رحمتك فى الأرض، واغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من عندك، وشفاء من شفائك، على هذا الوجع فيبرأ بإذن الله»(١).

---

(١) انظر سنن أبى داود (٣١٠٦) والترمذى (٢٠٨٤) بنحوه، والمستدرك للحاكم (ج١ ص ٣٤٢) ومابعدها، وصحيح البخارى (١٠/١٧٦) ومابعدها، وصحيح مسلم (٢١٩١).

وثبت فى صحيح مسلم: أن جبريل جاء إلى النبى ﷺ وهو وجع، فقال: يا محمد اشتكيت؟: فقال نعم قال: «بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك. ومن نفس وعين. بسم الله أرقيك والله يشفيك[١]» والذى رويناه: «لارقية إلا فى عين أو حمة»[٢].

المراد أنه لا رقية أولى وأنفع منها فى ذلك. وأكبر الرقى فاتحة الكتاب. والنبى ﷺ قال: «خير الدواء القرآن»[٣] وهى مشتملة على معانيه.

وفى صحيح مسلم، عن أبى سعيد الخدرى قال: «انطلق نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فى سفرة سافروها، حتى نزلوا على حى من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ سيد ذلك الحى، فسعوا له بكل شىء فلم ينفعه، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعل أن يكون عندهم بعض شىء. فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ. وسعينا له بكل شىء فلم ينفعه. فهل عند أحدكم من شىء؟ فقال بعضهم. أى والله إنى لأرقى. ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه، ويقرأ «الحمد لله رب العالمين» فكأنما نشط من عقال، قال فانطلق يمشى، وما به قلبة، فأوفوهم جعلهم الذى صالحوهم عليه»[٤] هذا لفظ البخارى.

وقال بعضهم: اقتسموا، فقال الذى رقى: لاتفعلوا حتى نأتى النبى ﷺ فنذكر الذى كان فيه فننظر الذى يأمرنا به، فقدموا على النبى ﷺ، فذكروا له

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه بلفظه حديث رقم (٢١٨٦)، وذكره النووى فى رياض الصالحين (ص ٣٨٩ حديث رقم (٨/٩٠٨).

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده، ومسلم فى صحيحه، والترمذى فى سننه، وابن ماجه فى سننه، وأورده الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٨ ص ٢١١).

(٣) انظر نيل الأوطار (ج٨ ص ٢١٥).

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه.

ذلك. فقال: «ومايدريك أنه رقية ثم قال: «قد أصبتم اقسموا واضربوا لى معكم سهما»(١). وأما فى لدغ العقرب، ففى مسند أبى بكر بن أبى شيبة مروى عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: «كان النبى ﷺ يصلى إذ سجد فلدغته عقرب فى إصبعه المباركة فلما خرج من الصلاة. قال: «لعن الله العقرب ماتدع نبيا، ولاغيره» ثم طلب ظرف ماء وملحا ووضع إصبعه فى الماء والملح، وقرأ سورة الإخلاص، والمعوذتين. ولم يزل يكررهن حتى زال الألم»(٢).

وفى سنن أبى داود، عن الشفاء بنت عبدالله أنها قالت: «دخل على رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة فقال: ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة»(٣) والنملة جراح تظهر على الجنب، تؤلم ألما شديدا يحس المريض منها حركة النملة، وكانت الشفاء بنت عبدالله دائما بمكة ترقى هذا المرض، فلما هاجرت أتت النبى ﷺ، وقالت: يارسول الله كنت فى الجاهلية أرقى من النملة، وأريد أن أعرض ذلك عليك، ثم قال: «بسم الله صلت حتى يعوذ من أفواهنا، ولاتضر أحدا. اللهم اكشف البأس رب الناس»(٤).

يقرأ هذا الدعاء على خشبة، ثم تحك على حجر بخل حادق، ويطلى به الجراح.

وأما فى سائر الجراحات والقروح، فقد روت عائشة: «كان رسول الله إذا اشتكى الإنسان، أو كانت به قرحة، أو جرح، قال بأصبعه هكذا ووضع سفيان سبابته بالأرض، ثم رفعها ثم قال: «بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا، يشفى سقيمنا بإذن ربنا»(٥).

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه.

(٢) أخرج الشيخان نحوه، وأورده الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٨ ص ٢١٢).

(٣) أخرجه أحمد فى مسنده، وأبو داود فى سننه، وأورده الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٨ ص ٢١١) وقال الشوكانى: وهو دليل على جواز تعلم النساء الكتابة.

(٤) أخرجه مسلم بنحوه، وأبو داود فى سننه وانظر نيل الأوطار (ج٨ ص ٢١٢).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخارى (ج١٠ ص١٧٦، ١٧٧)، ومسلم برقم (٢١٩٤)، وانظر رياض الصالحين (ص٣٨٨).

وهذا علاج سهل هين، نافع، مركب من طبيعى، وإلهى، لأن التراب بارد يابس مجفف لرطوبات القروح، والجراحات خصوصا فى البلاد الحارة، لاسيما تراب المدينة.

وجاء شخص فقال: يارسول الله فى بدنى ألم عظيم، منذ أسلمت فقال ﷺ «ضع يدك على الذى تألم من جسدك، وقل بسم الله ثلاثا، وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته، من شر ما أجدر وأحاذر»(١) وأما فى ألم المصائب ودفعها فقال ﷺ: «ما من عبد تصيبه مصيبة، فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها إلا آجره الله فى مصيبته، وأخلف له خيرا منها»(٢).

فصل

فى علاج الكرب. والغم. والهم. والحزن

كان رسول الله ﷺ يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش الكريم»(٣).

وفى جامع الترمذى، كان إذا حزبه أمر قال: «يا حى ياقيوم، برحمتك أستغيث»(٤) وكان إذا أهمه، رفع رأسه إلى السماء فقال: سبحان الله العظيم، وإذا اجتهد فى الدعاء قال: «يا حى يا قيوم» وقال: «دعوات الكروب. اللهم

---

(١) أخرجه مسلم فى صحبحه حديث رقم (٢٢٠٢)، وأورده النووى فى رياض الصالحين (ص٣٨٩) حديث رقم (٥/ ٩٠٥).

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه حديث رقم (٩١٨) (٤)، وأورده النووى فى رياض الصالحين (ص ٣٩٣) حديث رقم (٢/ ٩٢١).

(٣) أخرجه أبو داود بنحوه (٥٠٦٧)، والترمذى (٣٣٨٩) وسنده حسن، وصححه ابن حبان (٢٣٤٩)، والحاكم (١/ ٥١٣) ووافقه الذهبى وانظر رياض الصالحين (ص٥٤٨).

(٤) أخرجه الترمذى فى سننه وانظر تهذيب الأسماء والصفات للبيهقى (٢/ ٢١٩) وما بعدها.

رحمتك أرجو فلا تكلنى إلى نفسى، طرفة عين، وأصلح لى شأنى كله لا إله إلا أنت»(١).

وقال أسماء بنت عميس: قال رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك كلمات تقولهن عند الكرب: «الله ربى لا أشرك به شيئا» سبع مرات وقال: «ما أصاب عبداً هم ولا حزن فقال اللهم إنى عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتى بيدك، ماض فى حكمك، عدل فى قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبى ونور صدرى، وجلاء حزنى، وذهاب همى وغمى، إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرحاً»(٢).

وقال ﷺ: «دعوة ذى النون إذ دعا بها وهو فى بطن الحوت، لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، لم يدع بها رجل مسلم قط فى شىء إلا استجاب له»(٣).

ودخل رسول الله ﷺ المسجد ذات يوم، فإذا هو برجل من الأنصار، يقال له: أبو أمامة، فقال له: «يا أبا أمامة، مالى أراك جالساً فى المسجد فى غير وقت صلاة؟» قال: هموم لزمتنى وديون يارسول الله، قال: «أفلا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله عز وجل همك، وقضى عنك دينك؟» فقلت: بلى يا رسول الله. قال: «قل إذا أصبحت، وإذا أمسيت: «اللهم أنى أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه، وانظر تهذيب الأسماء والصفات (جـ٢ ص٢٥٩).

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده عن عبد الله بن مسعود، وأورده ابن كثير فى تفسيره وانظر زاد المسير (جـ٩ ص١٩١).

(٣) الحديث أخرجه أحمد (١/ ١٧٠)، والترمذى (٥/ ٥٢٩)، والنسائى فى عمل اليوم والليلة (٦٥٦)، والحاكم فى المستدرك (١/ ٥٠٥، ٢/ ٣٨٣) من حديث سعد بن أبى وقاص، والبيهقى فى شعب الإيمان (رقم ٦ ٦).

الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال» قال: ففعلت فأذهب الله عز وجل، همى، وغمى، وقضى عنى دينى»(١).

وقال ﷺ: «من لزم الاستغفار، جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لايحتسب»(٢) وفى مسند أحمد: «كان إذا حزبه أمر لجأ إلى الصلاة، وكان يقول «اجتهدوا فى الجهاد فإنه باب من أبواب الجنة، وهو يدفع الكرب، والهم، والغم»(٣).

وقال: «من كثرت همومه وغمومه، فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة»(٤). وفى صحيح ابن حبان، قال شخص فى دعائه: «اللهم إنى اسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، الحنان، المنان، بديع السموات والأرض، ياذا الجلال والإكرام، يا حى ياقيوم» فقال النبى ﷺ: «لقد دعا الله باسمه الأعظم، الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سئل بها أعطى»(٥).

وفى علاج الخوف والأرق أمر أن يقال: «اللهم رب السموات السبع، وما أظلت، ورب الأرضين السبع، وما أقلت، ورب الشياطين وما أضلت، كن لى جاراً من شر خلقك كلهم جميعاً أن يفرط على منهم أحد أو أن يبغى على، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك»(٦) وأمر فى علاج الحريق بالتكبير.

---

(١) أخرجه الشيخان، انظر صحيح البخارى (ج١١ ص١٥٢)، ومسلم حديث رقم (٢٧٠٦)، والترمذى حديث رقم (٣٤٨٠)، وأورده النووى فى رياض الصالحين (ص ٥٥٣).

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه حديث رقم (١٥١٨)، وأحمد فى مسنده (٢٢٣٤)، وابن ماجه (٣٨١٩)، والحاكم (٤/ ٢٦٢) وفى سنده الحكم بن مصعب قال أبو حاتم: مجهول. وذكره ابن حبان فى الضعفاء، وقال الأزدى لايتابع على حديثه، وانظر رياض الصالحين (ص٢٤٢ رقم ٣٦/ ١٤٤٣).

(٣) انظر نيل الأوطار (ج٧ ص٢٠٧) وما بعدها.

(٤) متفق عليه أخرجه البخارى (ج١١ ص١٥٩)، ومسلم حديث رقم (٢٧٠٤)، وأبو داود (١٥٢٦)، والترمذى (٣٤٥٧)، وأورده النووى فى رياض الصالحين (ص٢٤٢ رقم ٣٦/ ١٤٤٣).

(٥) أخرجه ابن حبان فى صحيحه.

(٦) تقدم تخريجه وانظر صحيح سنن المصطفى (ج٢ ص٣٢٤) كتاب الأدب.

فصل
فى العادة النبوية فى الطعام والشراب

كان ﷺ يقول: «لا آكل متكئاً إنما أجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد»[١] ونهى أن يأكل الإنسان مستلقياً على وجهه، وكان يأكل بثلاثة أصابع، ولم يأكل بواحدة أبداً، ولم يجمع بين سمك ولبن، ولا بين اللبن وشيء من الحوامض، ولا بين غذائين حارين، ولا بين دواءين لزجين، ولا بين قابضين، ولا بين مسهلين، ولا بين غليظين، ولا بين مختلفين، كقابض ومسهل، أو سريع الهضم وبطيئة، ولا بين المشوى والمطبوخ، ولا بين القديد والرطب، ولا بين الحليب والبيض، ولا بين اللحم والحليب.

وكان لا يأكل الطعام فى حال شدة حرارته حتى يبرد، ولا يأكل طعاماً بائتاً، ولا مافيه عفونة من الأطعمة كالكامخ[٢] والمخللات والملوحات، ولم يثبت أنه تناول منها شيئا وكان يدفع ضرر بعض الأغذية بأضدادها، كالتمر بالسمن، والرطب بالقثاء. وكان ينقع التمر ويشرب ماءه لهضم الطعام، وأمر أن يؤكل ماتيسر من الطعام قبل النوم، ولو كفا من تمر، ونهى عن النوم عقيب الأكل.

وأما شرب العسل، فإنه كان يمزجه بماء بارد فى غاية البرودة. ولما كان العسل أفضل الأشربة، بإجماع أهل العلم، لأنه نتيجة الوحى الإلهى كان يحبه أكثر من جميع الحلاوات. ولما دخل ﷺ بستان ابن التيهان. قال: «هل عندكم ماء بات فى شنه وإلا كرعنا»[٣] ؟ والمراد بالكرع هنا الاغتراف باليدين، إذ يكون الشرب باليد متعذراً فى تلك الحالة فأدت الضرورة إلى الكرع[٤].

---

(١) أخرجه البخارى (٩/)،٤٧٢ والترمذى (١٨٣١)، وأبو داود (٣٧٦٩)، وانظر رياض الصالحين (ص٣٤٤).

(٢) الكامخ: نوع من الأدم معرب. وقرب إلى أعرابى خبز وكامخ، فلم يعرفه فقال: ماهذا؟ فقيل: (كامخ) فقال: قد علمت أنه كامخ، ولكن أيكم كمخ به؟ يريد: سلح به. ابن منظور لسان العرب (ج٢ ص٢٩٥).

(٣) الكرع: تناول الماء بالفم من غير إناء ولا كف.

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه (ح١٠ ص٧٧).

وكان ﷺ يشرب قاعداً. وينهى أن يشرب أحد قائماً. وكان يقول: «من نسى فشرب قائماً فليتقيا»[١] «لكن ثبت فى الصحيح أنه شرب قائماً»[٢] كما ذكرناه فى الحج قال بعضهم: هو ناسخ للنهى وقال بعضهم: هذا مبنى على أن النهى لم يكن للتحريم وإنما كان للإرشاد.

وقال بعضهم: ليس فيه تعارض، لأنه إنما شرب قائماً للضرورة، وكان ﷺ يتنفس فى الإناء ثلاثاً[٣]. ويقول «إنه أروى، وأمرأ، وأبرأ، وقال: «غطوا الإناء، وأوكئوا السقاء، فإن فى السنة ليلة ينزل فيها وباء لايمر بإناء ليس عليه غطاء، وسقاء ليس عليه وكاء، إلا وقع فيه من ذلك الداء»[٤].

ونهى عن الشرب من ثلة القدح ـ يعنى من المكان المكسور ـ وكان يشرب الحليب المحض. وقد يمزجه بالماء، ويقول: «ليس شىء يجزى عن الطعام والشراب غير اللبن» وكان ينقع التمر فى الماء ليلة، وليلتين، وثلاث ليال، ثم يشربه، ومابقى مما مضى عليه ثلاث ليال يسقيه بعض الغلمان أو يأمر بإراقته.

فصل

تدبير النوم واليقظة

وأما تدبير النوم واليقظة، فكان على أعدل الوجوه. كان ﷺ ينام الليل ويقوم أول النصف الثانى، فيتسوك ويتوضأ ويتهجد على الوجه الذى بيناه لا جرم أن البدن والأعضاء أخذت من النوم والراحة والرياضة بأتم حظ، وأوفر أجر، وأكمل عبادة.

وكان لايزيد فى النوم على القدر المحتاج إليه ولا يمنع النفس من قدر

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه حديث رقم (٢٠٢٦) وأورده النووى فى رياض الصالحين (ص٣٥٠).

(٢) انظر صحيح البخارى (ج١٠ ص٧١) وأبو داود حديث رقم (٣٧١٨) والنسائى (ج١ ص٨٤، ٨٥).

(٣) انظر صحيح البخارى (ج١٠ ص٨١) ومسلم برقم (٢٠٢٨) والترمذى (١٨٨٥) وأبى داود (٣٧٢٧).

(٤) انظر صحيح البخارى.

الحاجة. وكان إذا قصد النوم. أضطجع على الشق الأيمن[١] ولايزال مشتغلا بالذكر حتى يغلبه النوم[٢] . وكان لاينام على الفرش المحشية حشواً عالياً، ولا يبيت على الأرض المجردة. وفى بعض الأحيان كان يضع رأسه على الوسادة، وقد يتوسد ساعده المبارك ﷺ.

فصل

فى الجماع والباه

فكان هديه ﷺ أكمل هدى يحفظ به الصحة، ويتم به اللذة وسرور النفس، ويحصل به مقاصده التى وضع لأجلها، فإن الجماع وضع فى الأصل لثلاثة أمور، هى مقاصده الأصلية:

أحدها: حفظ النسل، ودوام النوع إلى أن يتكامل العدة التى قدر الله بروزها إلى هذا العالم.

الثانى: إخراج الماء الذى يضر احتباسه، واحتقانه بجملة البدن.

الثالث: قضاء الوطر، ونيل اللذة، والتمتع بالنعمة، وهذه وحدها هى الفائدة التى فى الجنة إذ لا تناسل هناك ولا احتقان، وفضلاء الأطباء يرون أن الجماع من أحد أسباب حفظ الصحة، لأن المنى إن دام احتقانه أحدث أمراضاً رديئة.

وحث النبى ﷺ علـى التزويـج لأمته، فقال «تزوجوا فإنى مكاثر بكم الأمم»[٣] وقال ابن عباس: خير هذه الأمة أكثرها نساءاً[٤] وقال ﷺ: «يا

---

(١) انظر صحيح البخارى (ج١١ ص٩٨) فى الدعوات: باب النوم على الشق الأيمن، و(ج١١ ص٩٣) و(١٣ ص٣٨٨)، ومسلم (٢٧١٠).

(٢) انظر سن أبى داود (٤٨٥٦) و(٥٠٥٩)، وابن السنى (٧٤٣).

(٣) أخرجه ابن حبان فى كتاب النكاح باب(١) ماجاء فى التزويج واستحبابه حديث رقم (١٢٢٨) موارد الظمآن (ص٣٠٢) وانظر سبل السلام (٣/ ٢٣٧) وله شاهد عند أبى داود والنسائى وابن حبان من حديث معقل بن يسار انظر سنن أبى داود فى كتاب النكاح، باب النهى عن تزويج من لم يلد من النساء حديث رقم (٢٠٥٠ ج٢ ص٢٢٠)، والنسائى (٦/ ٦٥، ٦٦) فى كتاب النكاح، باب كراهية تزويج العقيم.

(٤) أخرجه أحمد فى مسنده، والبخارى فى صحيحه، وأورده الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٦ ص١٠٠).

معشر الشباب؟ من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، واحفظ للفرج. ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»[١] أى وقاية وحفظ من الوقوع فى الزنا المهلك.

وكان ﷺ يحرض أمته على نكاح الأبكار الحسان، وذوات الدين. وأنفع الجماع ماحصل بعد هضم، وعند اعتدال البدن فى حره وبرده، ولا يكون البدن ممتلئاً ولا خلواً، وضرره عند امتلاء البدن أسهل، ولا يجامع إلا إذا اشتدت الشهوة وحصل الانتشار التام، الذى ليس عن تكلف، ولا فكر فى صورة.

وليحذر جماع العجوز والصغيرة التى لا توطأ مثلها، والتى لا شهوة لها، والمريضة والقبيحة المنظر، والبغيضة. فوطء هؤلاء يوهن القوى، ويضعف الجماع، وجماع البكر أنفع، وأحفظ فى الصحة من جماع الثيب، وجماع الحائض، حرام طبعاً وشرعاً، فإنه مضر جداً والأطباء قاطبة تحذر منه، وأما الوطء فى الدبر، فلم يبح قط على لسان نبى من الأنبياء. وقال رسول الله ﷺ: «ملعون من أتى المرأة فى دبرها»[٢] رواه أبو داود فى سننه. وفى لفظ البيهقى: «من أتى شيئا من الرجال والنساء فى الأدبار فقد كفر»[٣] والله أعلم.

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب النكاح انظر فتح البارى (٩/ ١١٢)، وأخرجه مسلم فى كتاب النكاح انظر صحيح مسلم (٢/ ١٠١٩)، وأحمد (١/ ٣٧٨) وسنن الدرامى (٢/ ١٣٢)، وأخرج ابن الجوزى فى كتاب أحكام النساء (ص ٣٠٠) تحقيق زميلنا الدكتور على محمد يوسف المحمدى، ط١، المكتبة العصرية ببيروت سنة ١٩٨١م.

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب النكاح، باب فى جامع النكاح حديث رقم (٢١٦٢ ج٢ ص٢٤٩)، وأخرجه النسائى فى سننه واللفظ له، ورجاله ثقات، لكن أعل بالإرسال، وأورده صاحب السلام (ج٣ ص ٢٩١) باب عشرة النساء، وانظر نيل الأوطار (ج٦ ص ٢٠٠).

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه بنحوه وقال: حديث غريب، وأورده الشوكانى فى نيل الأوطار (ج٦ ص ٢٠٠).

فصل

فى استعمال الرسول للطيب

أمر فى حفظ الصحة باستعمال الطيب، كثيراً ما كان يستعمله، وكان له ظرف خاص بالعطر والطيب منه يستعمل الطيب، وما رد طيباً قط وقال: «من عرض عليه شىء من الرياحين، فلا يرده لأنه طيب ولا مؤنة فيه»[١] يعنى من جهة المنة، ولا من جهة الثقل والحمل.

وفى مسند البزار أنه ﷺ قال: «إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود. فنظفوا أفنائكم، وساحاتكم، ولا تشبهوا اليهود يجمعون أبناءهم فى دورهم، الكباء» ـ الأرواث والزبالة ـ وثبت أنه قال: «إن لله حقاً على كل مسلم أن يغتسل فى كل سبعة أيام وإن كان له طيب أن يمس منه»[٢].

فصل

فى مسكن ومنزل الرسول

لم يكن له ﷺ ولا لأصحابه إلتفات إلى المسكن والمنزل لأنهم يعلمون أنهم على ظهر سفر، لاجرم أنهم اكتفوا بقدر الحاجة مما يدفع الحر والبرد، ويمنع ولوج الدواب والبهائم، ويحصل به ستر من عيون بنى آدم، وأما الزخرفة والتعلية والوسعة فلم تكن أصلا.

---

(١) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني بسنده فى كتاب أخلاق النبى ﷺ وآدابه (ص٢٤٩).

(٢) [illegible] فى مسنده [illegible] (٣/ ٦٥)، وانظر سنن ابن ماجه (١/ ٣٤٩)، ومعجم الطبراني الصغير [illegible] (١/ ٦٢)، [illegible] (٤/ ١٤٩)، ومصنف ابن أبي شيبة (١/ ٤٣٥).

فصل
فى حفظ صحة العين

أمر ﷺ بالمداومة على الاكتحال وقت النوم، وثبت فى مسند أبى داود «أمر رسول الله ﷺ بالإثمد المروح عند النوم وقال ليتقه الصائم» والمروح ماطيب ريحه بالمسك. وورد فى سنن ابن ماجة «خير أكحالكم الإثمد، يجلو البصر وينبت الشعر».

وجاء فى رواية أخرى «عليكم بالإثمد، فإنه منبتة للشعر مذهبة للقذى، مصفاة للبصر». وكان للنبى ﷺ مكحلة خاصة وكان إذا اكتحل اكتحل فى العين اليمنى ثلاثاً، وفى العين اليسرى اثنتين، يجعل أولاً فى العين اليمنى ميلين، ثم فى اليسرى ميلين، ثم يجعل ميلاً ثالثاً فى العين اليمنى.

وقال صلى الله عليه وسلم: «من اكتحل فليوتر».

وفى الإيتار قولان:

(أحدهما) : أن يجعل فى كل عين ثلاثة، ليكون الوتر فى كل عين.

(الثانى) : أن يجعل فى العين اليمنى ثلاثة، وفى اليسرى اثنين يبدأ باليمنى ويختم بها كما تقدم، تفضيلاً لليمنى على اليسرى.

فصل
فى القرض والسلف

كان من العادة النبوية أنه يفى أحسن مما أخذ وأرجح، وأن يدعو له، ويقول: «بارك الله لك فى أهلك، ومالك. إنما جزاء السلف الحمد والآداء»[١] واقترض مرة من أنصارى مقدار أربعين صاعاً من قوت، فاحتاج الأنصارى فجاء وطالب، فقال ﷺ: «لم يحضرنا شيء» فأراد الأنصارى أن يغلظ فى الكلام، فقال ﷺ: «إحفظ لسانك ولا تقل إلا خيراً فإنى خير من اقترض»[٢]، ثم بعد ذلك أعطاه أربعين صاعاً قرضة فصارت الجملة ثمانين صاعاً، وجاءه فى بعض الأيام غريم، فتقاضاه أشد تقاض، فأراد عمر بن الخطاب أن يؤذيه فقال ﷺ: «مه يا عمر، كنت أحوج إلى أن تأمرنى بالوفاء، وكان أحوج إلى أن تأمره بالصبر»[٣].

وفى مرة أخرى جاء يهودى يتقاضاه ديناً، فقال له ﷺ: «لم يحل أجل دينك، فاصبر إلى أن يحل» فقال له اليهودى: أنتم يا بنى عبد المطلب صنعتكم الكذب فى العدة، فجاشت الصحابة، وأرادو إهلاكه، فسكنهم رسول الله ﷺ، ودعاهم إلى الحلم، فقال اليهودى: قد شاهدت فيك جميع علامات النبوة. ولم يبق إلا واحدة وهى أنى كلما زدت على النبى جهلاً زاد حلماً وعفواً. فأردت أن أختبر ذلك وقد علمته. ودخل فى دين الإسلام فى حينه رضى الله عنه[٤].

---

(١) لم نجده.

(٢) أخرجه الترمذى بنحوه حديث رقم (٢٤٠٨)، وأحمد فى مسنده (٤/٤٨ و١٥٨ و٥/٢٥٩).

(٣) أخرجه الشيخان بمثله أنظر صحيح البخارى (ج١٠ ص٢٣٤ و٤٢٠، ٤٢١)، ومسلم برقم (١٠٥٧) وانظر رياض الصالحين (ص٣٠٥ و٣٠٦).

(٤) انظر مسند أحمد (٣/٢٨٨) وما بعدها، والمستدرك للحاكم (٣/٥٧)، وصحيح البخارى (٧/١٤٥)، وصحيح مسلم (١/١٨٩)، وسنن أبى داود (٣/١٢٦)، وسنن الترمذى (٥/٥٦٩)، وسنن ابن ماجه (١/٢٣١ ـ ٢٣٢).

فصل
فى صفة مشية ﷺ

كان إذا مشى كأنما ينحط من صبب يخطو تكفواً: يعنى كأنما يقلع نفسه من الأرض قلعاً، وهذا مشى الشجعان، وأصحاب الهمم العالية. ومن قلبه حى وأعدل مايكون من المشى، لأن الماشى: إما متماوت يابس كالخشبة، أو طائش، منزعج قلق مضطرب. وهذان النوعان، فى غاية القبح، والذم، ودليل على خفة الدماغ. وقلة العقل، أو على الخمول، وموت القلب. وإما بأتم حركة وأقل سرعة. وهذا النوع يسمى مشى الهون ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾[1] «قال المفسرون: يعنى سكينة ووقاراً، من غير كبر، ولا تماوت[2]. ومع هذا كان يرى كأنه ينحط من صبب. وكانت الأرض تطوى له. وأنواع المشى عشرة هذه الثلاثة والرابع: السعى. والخامس: الرمل. والسادس: النسلان وهو عدو خفيف. والسابع: الخوزلى. وهو مسير فيه تمايل. والثامن: القهقرى. والتاسع: الجمزى. وهو وثوب فى المسير. والعاشر: التبختر. وهو مشى المتكبرين. وأفضل هذه الجملة وأكملها الهون الذى هو مشيه ﷺ.

وكان إذا سار مع أصحابه، قدمهم أمامه، ومشى خلفهم. وقال: «دعوا ظهرى للملائكة»[3] وكان يمشى منتعلاً، وفى بعض الأحيان يمشى حافياً، وأصاب إصبع رجله المباركة حجر فى بعض غزواته. فسال دمها فقال:

هل أنت إلا أصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت[4]

---

(١) سورة الفرقان آية رقم ٦٣.

(٢) انظر: غريب القرآن (٣١٤)، ومجاز القرآن (٢/ ٨٠)، والطبرى (١٩/ ٣٢)، والقرطبى (١٣/ ٦٥) يقول العلامة ابن كثير: وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعاً ورياء، فقد كان سيد ولد آدم ﷺ إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وكأنما الأرض تطوى له. قال: وقد كره بعض السلف بتخفف وتصنع، قال: وإنما المراد بالهون هنا: السكينة والوقار كما قال رسول الله ﷺ: «إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وائتوها وعليكم السكينة والوقار، فما أدركتم منها فصلوا، وما فاتكم فأتموا» ا هـ والحديث متفق عليه.

(٣) أخرجه أبو الشيخ الأصبهانى فى كتاب أخلاق النبى ﷺ وآدابه (ص٩٩).

(٤) انظر صحيح مسلم (٢/ ١٤٩)، وسيرة ابن هشام (٣/ ٢٩)، والبخارى (فتح البارى ٧/ ٣٦٥)، ومستدرك الحاكم (٣/ ١٩٩).

وكان فى السفر يعصب جميع أصحابه، ويقوى الضعفاء، ويدعو لهم. ويحمل المنقطعين ويردفهم فى بعض الأحيان خلفه ﷺ.

فصل

فى كلام النبى وسكوته وضحكه وبكائه ﷺ

أما كلامه: فكله فصل بين، لو شاء أحد، أن يعد كلماته، فعل. ولم يكن يسرده سرداً، لا يمكن أن يحفظ، ولا يقطعه قطعاً يظهر انفصاله. كما قالت عائشة رضى الله عنها: «ماكان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا، ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس إليه»[1].

وكان فى بعض الأحيان، يعيد الكلمة ثلاث مرات ليتمكن السامع[2] من حفظها. وغالب أحواله السكوت، والسكون، لا يتكلم إلا عن ضرورة. وإذا تكلم تكلم بجميع فمه، وأشداقه، بلا غمغمة وهمهمة. أكثر نطقه بجوامع الكلم. ولم يكن يحرك لسانه بما لا يعنيه. وكان إذا كره أمراً ظهر أثر ذلك على وجهه المبارك. وما نطق بفحش[3] أبداً، وكان لا يضحك كثيراً، جل ضحكه التبسم، وغايته أن تبدو نواجذه. وكان لا يضحك لكل ما يضحك منه.

وأما بكاؤه فمعتدل نظير ضحكه، ودموعه جارية يسمع من صدره أزيز، وبكاؤه إما لميت أو لشفقة، على الأمة أو من خوف الخالق تعالى. وكان يبكى فى بعض الأحيان عند سماع القرآن. وذلك بكاء اشتياق، ومحبة، وإجلال.

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه برقم (٤٨٣٩) وسنده حسن.

(٢) روى أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ: كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتىّ تفهم عنه وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً، رواه البخارى فى صحيحه (ج١ ص١٦٩، ١٧٠).

(٣) أخرج الترمذى بسنده (١٩٧٨) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذى» وقال حديث حسن. وأخرجه أحمد فى مسنده (ج١ ص٤٠٤ و٤٠٥ و٤١٦)، والبخارى فى الأدب المفرد (٣١٢ و٣٣٢) وإسناده صحيح، وصححه ابن حبان (٤٨)، والحاكم (١/ ١٢ و١٣) ووافقه الذهبى.

وفى بعض الأحيان كان يبكى فى صلاة التهجد، ومرة بكى فى الصلاة وقال: «رب ألم تعدنى أنك لا تعذبهم وأنا فيهم، وهو يستغفرون، ونحن نستغفرك»[(١)] .

والعلماء يقولون: البكاء على عشرة أنواع: بكاء فرح، وبكاء جزع، وبكاء رحمة ورقة، وبكاء خوف وخشية، وبكاء محبة، وبكاء غم ومصيبة، وبكاء ضعف ووحشة، وبكاء نفاق ومداهنة، وبكاء كذب وعارية، كبكاء النائحة، وبكاء مؤالفة وموافقة، كما إذا رأى جماعة يبكون، ولم يعلم سبب بكائهم فيبكى موافقة لهم.

فصل
فى الفطرة وتوابعها

للعلماء أقوال فى ختانه ﷺ: أحدهما: «أنه ولد مختوناً مسروراً»[(٢)]، الثانى: «أن الملائكة ختنته فى اليوم الذى شق فيه صدره المبارك، وملىء علماً وحكم»[(٣)]. وذلك خلف خيمة حليمة رضى الله عنها. وكان ختانه فى ذلك اليوم. الثالث: أن جده عبد المطلب ختنه فى اليوم السابع، وسماه وأضاف. وكان ﷺ يحب التيامن فى كل شىء حتى تنعله، وترجله، وأخذه، وعطائه، وأكله، وشربه، ووضوئه[(٤)]. واليد اليسرى لإزالة الأذى، والقذى، والاستنجاء، والاستبراء. وما أشبه ذلك.

---

(١) أخرج مسلم بنحوه (٢٧٠٢)، وأبو داود (١٥١٦)، والترمذى (٣٤٣٠)، وابن ماجه (٣٨١٩).

(٢) الأحاديث فى ذلك كلها معلولة بعلل قادحة بحيث لا تنهض للاحتجاج بها لأن معظمها لا يخلو من وضاع أو متهم، وهى حديث العباس (ابن سعد: الطبقات (١/ ٢١٠٣) وفى إسناده يونس بن عطاء المكى يروى الموضوعات، ولا يجوز الاحتجاج بخبره (الميزان ٤/ ٤٢٨) وحديث ابن عباس (الكامل لابن عدى (٢/ ٢٥٧٦) وفى إسناده جعفر بن عبد الواحد متهم بوضع الحديث (الميزان ١/ ٤١٢) وحديث أنس بن مالك (الطبرانى: المعجم الصغير (٢/ ١٤٥ ـ ١٤٦) وفى إسناده سفيان بن محمد الغزارى، و٥١، وانظر: السيرة النبوية الصحيحة (جـ١ ص٩٩) د. أكرم ضياء العمرى، مركز بحوث السنة والسيرة جامعة قطر سنة ١٤٤١هـ١٩٩١م.

(٣) انظر صحيح مسلم (١/ ١٤٧)، كتاب الإيمان، باب (٧٤) الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وابن هشام: السيرة النبوية للحافظ ابن كثير (١/ ٢٩٩) بتحقيق مصطفى عبد الوهاب.

(٤) انظر صحيح البخارى (١/ ٢٣٥ و١٠/ ٢٦١)، وصحيح مسلم (٢٦٨) (٦٧).

وكان يحلق جميع رأسه، ولم يروا أنه حلق فى غير حج أو عمرة، وكان يحب التسوك، وورد فى فضله أربعون حديثاً. وكان يتسوك مفطراً وصائماً وعقيب النوم، ووقت الوضوء، ووقت الصلاة، وعند دخول البيت، وكان سواكه عود الأراك، وكان يحب الطيب، ويستعمله كثيراً.

وجاء فى بعض الروايات: «أنه ﷺ استعمل النورة، وكان أولاً يرسل جميع شعره خلف قفاه ثم فرقه، فجعل على كل جانب فرقة ولم يدخل الحمام أبداً، والحمام الموجود الآن بمكة شرفها الله المشهورة بحمام النبى، لعلها بنيت فى موضع اغتسل فيه مرة، والله أعلم، ولم يصبغ شعره أبداً ولكن كان يستعمل الطيب كثيراً فظن بعضهم أنه خضب[١].

وكان يدهن رأسه ولحيته كثيراً، وكان يسرح رأسه حيناً فحيناً، يباشر ذلك بنفسه. وقد يأمر عائشة فتسرحه، وكانت جمته إلى شحمتى أذنيه، فإذا طالت جعلها أربع غدائر.

قالت أم هانىء: «قدم علينا رسول الله ﷺ مكة، قدمه وله أربع غدائر»[٢] «وكان لايرد الطيب»[٣]، ويمنع من رده، وقال: «أطيب الطيب[٤] المسك» وكان يحب زهر الحناء.

---

(١) انظر سنن أبى داود فى كتاب مناسك الحج، وسنن الترمذى فى كتاب مناسك الحج، وانظر نيل الأوطار (ج٤ ص٣٠٣).

(٢) انظر صحيح البخارى (ج٢ ص١٣٥)، وصحيح مسلم (ج٦ ص٣٩).

(٣) روى أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ: كان لايرد الطيب، أخرجه البخارى (ج١٠ ص٣١٢) وانظر رياض الصالحين (ص٦٦٥ حديث رقم (٢/ ١٧٨٧).

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه بنحوه حديث رقم (٢٢٥٣).

فصل

قول الرسول ﷺ فى قص الشارب

كان ﷺ يقص شاربه ويقول: «من لم يأخذ من شاربه فليس منا»[١] وقال «خالفوا المجوس، جزوا الشوارب وارخوا اللحى»[٢] وفى الصحيحين: «خالفوا المشركين، وفروا اللحى، واحفوا الشوارب» وفى صحيح مسلم عن أنس: «أن النبى ﷺ وقت لقص الشارب، وتقليم الأظافر، أن لا يدع ذلك أربعين يوماً»[٣] وفى قص الشارب للعلماء أقوال.

قال الإمام مالك يكتفى فى ذلك أن يظهر طرف الشفة، ولا يزيد على ذلك، لئلا يصير مثله، وحلق الشارب بدعة، يعزر فاعله، قال الطحاوى: ولا نص للإمام الشافعى، لكن رأيت أصحابه مثل المزنى والربيع يحفون، وهذا دليل على أنهم أخذوه عنه.

وأما الإمام أبو حنيفة، وزفر، وأبو يوسف، ومحمد مذهبهم الإحفاء، والاحفاء الأخذ من الأصل.

وقد ثبت فى الحديث أن ﷺ أخذ من شاربه على سواك. هذا لا يتصور مع الإحفاء، والحديث المتفق عليه: «عشرة من الفطرة قص الشارب»[٤] إلى آخره، صريح فى القص، والقص مع الإحفاء غير متصور.

قال الطحاوى: لما كان استحباب القص مجمعاً عليه، كان الحلق أفضل قياساً على الرأس. وفى هذا القياس نظر. لأن فى إحفاء الشارب قبحاً ظاهراً ونوع مثله.

---

(١) ورد هذا الحديث بروايات كثيرة، فرواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الطهارة (وفروا).

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه بلفظه فى كتاب الطهارة والبخارى فى كتاب اللباس والنسائى فى الزينة.

(٣) أخرجه صحيح مسلم فى كتاب الطْهارة، والترمذى فى الأدب، والنسائى فى الزينة.

(٤) انظر صحيح البخارى فى اللباس. باب: قص الشارب وباب: تقليم الأظافر (٣٨/٤، ٣٩)، ومسلم فى الطهارة. باب: خصال الفطرة (٤٩، ٥٠)، وسنن أبى داود فى الترجل. باب: فى أخذ الشارب (٤١٩٨)، والترمذى فى الأدب. باب: ماجاء فى تقليم الأظافر (١٠/ ٢١٥)، وابن ماجه فى الطهارة باب الفطرة (١٩٤)، وأحمد فى المسند (٤/ ٢٦٤) وانظر: تحفة المودود بأحكام المولود لابن قيم الجوزية (ص١١٢، ١١٣)

فصل
فى الجهاد وآدابه

الجهاد ذروة سنام الإسلام، ومقام أهله فى الدنيا والعقبى أعلى المنازل لاجرم كان حظ الجناب النبوى من ذلك أوفر الحظوظ، وعادته فى سلوك طرقه أكمل العادات وأجملها، وأوقاته وساعاته موقوفة على الجهاد باللسان وبالجنان وبالدعوة والبيان وبالسيف والسنان ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾. قال تعالى: ﴿فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

وقالت العلماء مراتب الجهاد أربع مراتب:

جهاد النفس. وجهاد الشيطان. وجهاد الكفار. وجهاد المنافقين.

أما جهاد النفس فعلى أربع مراتب:

إحداهن: الجهاد فى تعليم دين الحق.

الثانية: الجهاد فى العمل بذلك العلم.

الثالثة: الجهاد فى الدعوة لذلك العلم وتعليم آدابه.

الرابعة: الجهاد على الصبر، واحتمال مشقات الدعوة، وأذى الخلق. ومن استعمل هذه المراتب الأربعة دعى فى ملكوت السموات عظيماً.

وأما جهاد الشيطان فعلى مرتبتين:

الأولى: الجهاد على دفع مايلقيه من الشبهات والشكوك.

الثانية: الجهاد على دفع مايلقيه من الإرادات والشهوات. وسلاح الأول اليقين. وسلاح الثانى نوع صبر.

وأما جهاد الكفار والمنافقين فعلى أربع مراتب:

القلب. واللسان. والمال. والنفس.

وأما جهاد أرباب الظلم والمنكر والبدع فعلى ثلاث مراتب: الأولى باليد، وإن عجز فباللسان، وإن عجز فبالقلب. هذه مراتب الجهاد وهى ثلاثة عشر، من لاحظ له منها فهو منافق «من مات ولم يحدث نفسه بالغزو، مات على شعبة من النفاق».

وأكمل الخلق فى مجموع هذه المراتب هو سيدنا رسول الله ﷺ لأنه من أول يوم البعث إلى يوم الوفاة لم يزل فى الجهاد يدعو الجن والإنس، والعرب والعجم، والصغير والكبير، والعبد والحر، والأنثى والذكر إلى الحق ويريهم الطريق المستقيم ويمنعهم من الكفر والضلال ﷺ، ولما أطلق لسانه بسب الأصنام قامت كفار قريش بعداوته، ولما بلغوا من أذيته الغاية ومن معاداته النهاية، أمر بالهجرة فهاجر جماعة إلى أرض الحبشة عثمان بن عفان ورقية ابنة رسول الله ﷺ وعشرة غيرهم.

ثم أسلم حمزة، وفشا الإسلام وتزايد فاضطراب الكفار لذلك اضطراباً شديداً، ثم تعاقدوا على ألا يناكحوا بنى عبد المطلب وبنى عبد مناف ولايبايعوهم، ولا يجالسوهم، ولا يكالموهم حتى يسلموا إليهم النبى ﷺ، وكتبوا بهذه الجملة كتاباً علقوه فى سقف الكعبة، فشلت يد الكاتب، وأكلت الصحيفة الأرضة، إلا موضع اسم الله ورسوله هذا وبنو عبد المطلب محصورون فى الشعب مدة ثلاث سنين، حتى أخبر جبريل رسول الله ﷺ فأخبر أبا طالب بذلك، وهو أخبر كفار قريش، وقال لهم: انظروا فإن كذب أسلمناه لكم، وإن صدق فارجعوا عن هذا الحال فقالوا قد أنصفت، ولما أنزلوا الصحيفة ورأوها ازدادوا كفراً وطغياناً، ثم بعد ستة أشهر توفى أبو طالب، وبعد ثلاثة أيام توفيت خديجة، وتضاعفت أذية الكفار، فخرج ﷺ من مكة إلى الطائف، فلم يجد من الطائف مساعدة ولا موافقة فرجع، ولما وصل فى رجوعه إلى نخلة جاءه الجن، وعرضوا إسلامهم عليه، ولما رجع إلى مكة عرج به، فأخبر كفار قريش بما شاهد فى تلك الليلة من رؤية الأنبياء وفرض الصلاة فلما سمعوا هذا ازدادوا فى تكذيبهم، وزادوا فى إيذائهم.

وكان المعراج مرة واحدة ببدنه فى اليقظة، وبعضهم يقول: مرتان، وبعضهم يقول: ثلاث مرات، وبعضهم يقول: أربع مرات. وبعد الإسراء بسنة وشهر أمر بالهجرة فاستصحب أبا بكر بأمر البارى تعالى وسافر، ولما وصل المدينة فرح الأنصار بقدومه، وقدموا محبته على الأباء والأبناء، فقامت العرب لعداوتهم، وشنوا عليهم الغارة من كل جانب، فنزلت آية القتال، وحصل الإذن فيه بعد حرمته، ثم افترض.

والأحاديث الثابتة فى فضل الجهاد تزيد على أربعمائة، وكان يبايع الصحابة على أن لايفروا يوم الزحف، وفى بعض الأحيان كان يبايع على الموت. وكان يشاور أصحابه فى أمر الجهاد قال أبو هريرة: «ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ». وكان يسير فى عقب العسكر ويحمل من أعبائه ويرفق فى سيره أتم الرفق، ويرسل الجواسيس إلى الأعداء ويقدم الطلائع والمقدمات بين يديه، ويبث الخيل حول العسكر وكان إذا قابل العدو استقام ودعا الله وسأله النصرة واشتغل بذكر الله هو وأصحابه ثم أخذ فى ترتيب العسكر بنفسه ﷺ وكان يعين المقاتل المبارز وفى حضرته تقع المبارزة بأمره، وكان يلبس لأمة الحرب وربما ظاهر بين درعين وكان فى عسكره الرايات والأعلام، وكان إذا ظهر على قوم أقام بساحتهم ثلاثة أيام ثم رجع وكان إذا أراد الغارة على قوم انتظر، فإن سمع فيهم أذانا لم يغر عليهم، وكان فى بعض الأحيان يأتى العدو بيتاً وقد يشن الغارة بالنهارة ويحب السفر يوم الخميس، وكان إذا نزل العسكر فى منزل جمع بينهم حتى لو أن أحداً غطاهم بثوب لعمهم جميعاً، وكان يعبى الصفوف بنفسه، وفى وقت القتال كان يعين الشجعان بيده ويقول: يافلان تقدم يافلان تأخر، وفى بعض الأحيان عند لقاء العدو قرأ هذا الدعاء «اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وأنصرنا عليهم سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر، اللهم أنزل نصرك، اللهم أنت عضدى وأنت نصيرى وبك أقاتل» وكان إذا التحم الحرب وحمى الوطيس وقصده العدو قال بأعلى صوته: «أنا النبى لاكذب أنا ابن عبد المطلب» وكان

الشجعان من أصحابه إذا اشتد بهم الأمر اتقوا به، وكان أقربهم إلى العدو، وكان يعين لأصحابه شعاراً يعرف به بعضهم بعضاً، وكان شعارهم مرة (أمت أمت)، ومرة (يامنصور يامنصور)، وحيناً (حم لاينصرون). وكان فى بعض الأحيان يلبس الدرع ويجعل الخوذة على رأسه ويتقلد حمائل السيف ويحمل الرمح ويعتضد القوس، وربما رفع الدرقة وكان يحب التبختر فى حال الحرب ويسوى المنجنيق على الأعداء، كما فعل فى الطائف، ونهى عن قتل النساء والأطفال وأمر المقاتلة أن ينظروا، فمن ثبت قتلوه ومن لم يثبت استحيوه وأسروه. وكان إذا أرسل طائفة للغزو أمرهم بتقوى الله فقال: «سيروا باسم الله وفى سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله ولاتمثلوا ولاتغدروا ولاتقتلوا وليداً».

ونهى ﷺ عن حمل القرآن إلى دار الحرب، وكان إذا بعث سرية أمر أميرها أن يدعو إلى الإسلام والهجرة أو الإسلام فقط بغير هجرة ويكون حكمهم حكم أعراب المسلمين لانصيب لهم فى مال الفيء، ويبذلوا الجزية، وإن امتنعوا من جميع ذلك استعان بالله وقاتلهم. وكان ﷺ إذا ظفر بقوم أمر أن ينادى بجميع الغنائم كلها، ثم ابتدأ بالسلب فأعطى كل قاتل سلب مقتوله ـ يعنى ثيابه وما عليه ـ ثم يخرج خمس الباقى ويصرفه فى مصالح الإسلام كما عينها الله تعالى، ومابقى منه أعطى منه النساء والصبيان والأرقاء، ثم قسم الباقى بين العسكر للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهم. هذا هو الصحيح. والأنفال من صلب الغنيمة على مايرى فيه من المصلحة.

وقال بعضهم: كانت الأنفال من جملة الخمس. وبعضهم يقول: من خمس الخمس، وذا أضعف الأقوال. وفى بعض الغزوات أعطى سلمة بن الأكوع خمسة سهام، لأنه فى تلك الغزوة وافقه توفيق عظيم، وظهر من إقدامه أمور عجيبة. وكان ﷺ يسوى بين الضعيف والقوى فى القسمة، وكان إذا قصد ديار العدو فى بعض الأحيان يرسل سرية، فإن ظفروا بغنيمة أخرج منها الخمس وأخرج الربع من الباقى وخص به السرية، وقسم الباقى بينهم وبين العسكر بالسوية، ومع هذا كان يكره النفل ويقول: «ينبغى للأقوياء أن

يردوه على الضعفاء. وكان له ﷺ من الغنيمة سهم خاص، يقال له: «الصفى» إذا أراد عبداً أو أمة أو فرساً، أو ما أحب أخذه قبل الخمس، وصفية أم المؤمنين وذو الفقار من تلك الجملة، وإن غاب أحد عن المعركة لمصلحة المسلمين دفع له سهماً كما فعل مع عثمان فى يوم بدر، حيث كان مشغولاً بتمريض ابنة النبى ﷺ فقال ﷺ: «إن عثمان انطلق فى حاجة الله وحاجة رسوله» فضرب له بسهمه وأجره، وسهم ذوى القربى، وكان يقسمه بين بنى هاشم وبنى المطلب، ولايعطى لإخوانهم من بنى عبد شمس وبنى نوفل شيئاً. وقال: «إنما بنو هاشم وبنو المطلب شىء واحد وما وجدوا فى المغازى من طعام مثل العسل والعنب والجوز وغير ذلك أكلوه».

أخذ عبد الله بن مغفل جراب شحم، وقال: لا أعطى أحداً منه شيئاً، فأقره على ذلك. وكان يشدد فى أمر الغلول والخيانة تشديداً عظيماً ويقول: «هو نار وعار وشنار على أهله إلى يوم القيامة»، وغل شخص فأمر باحراق ما اختانه، وكذلك فعل أبو بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ وهذا من باب التعزير بالمال والله أعلم.

خاتمة الكتاب

فى الإشارة إلى أبواب، روى فيها أحاديث، وليس منها شىء صحيح، ولم يثبت منها عند جهابذة علماء الحديث، وإن كانت هذه الحروف فى غاية الاختصار، لكنها تشتمل على علوم، تدخل فى حد الإكثار، ينبغى أن يعلم أن باب الإيمان وماهو مشهور كالإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص، والإيمان لايزيد، ولا ينقص، لم يثبت عن حضرة الرسول فى هذا المعنى شىء، وهو من أقوال الصحابة والتابعين.

وباب المرجئة، والأشعرية، لم يصح فيه حديث، وباب كلام الله قديم غير مخلوق، وفى هذا المعنى وردت أحاديث بألفاظ مختلفة، ولم يصح عن حضرة صاحب الرسالة فيها شىء، وكل ماقيل فهو من كلام الصحابة، أو التابعين.

وباب خلق الملائكة، والحديث المنسوب، إلى أبى هريرة أنه ﷺ: «يأمر الله جبريل كل غداة أن يدخل بحر النور فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتقض انتقاضة يخرج منه سبعون ألف قطرة، يخلق الله عز وجل من كل قطرة منها ملكاً»[١] لهذا الحديث طرق كثيرة ولم يصح منها شىء، ولم يثبت فى هذا المعنى حديث.

باب فضائل القرآن من قرأ سورة كذا فله كذا، من أول القرآن إلى آخر سورة، وفضيلة قراءة كل سورة، رووا ذلك، وأسندوه إلى أبى بن كعب، ومجموع ذلك مفترى، وموضوع بإجماع أهل الحديث، والذى صح من باب فضائل القرآن: أنه قال له: «ألا أعلمك سورة هى أعظم سورة فى القرآن: الحمد لله رب العالمين»[٢]

وحديث: البقرة، وآل عمران غمامتان[٣]، وحديث: آية الكرسى والذى

---

(١) الحديث لا أصل له كما ذكر المؤلف رحمه الله تعالى.

(٢) رواه أحمد والترمذى مثله وقال: حديث حسن صحيح انظر تفسير زاد المسير (ج١ ص١٠).

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه. وأورده ابن الجوزى فى زاد المسير (ج١ ص١٩).

قاله لأبى: «أتدرى أى آية من كتاب الله أعظم»[١]؟ وحديث: يؤتى يوم القيامة بالقرآن، وأهله الذين كانوا يعلمون به فى الدنيا تقدمهم البقرة وآل عمران[٢].

وحديث: من قرأ آيتين من آخر سورة البقرة فى كل ليلة كفتاه[٣]، وحديث: لقد صدقك وأنه لكذوب فى فضل آية الكرسى[٤]، وحديث «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن»[٥]، وحديث: فضل المعوذتين أنزل على آيات لم ينزل مثلهن[٦] قط، وحديث: الكهف من قرأ منها عشر آيات عصم من الدجال[٧].

وحديث: كان صلى الله عليه وسلم إذا اشتاق إلى الجنة قبل شيبة أبى بكر[٨]، وحديث أنا وأبو بكر كفرسى رهان[٩]، وحديث: إن الله لما اختار الأرواح اختار روح أبى بكر[١٠]، وأمثال هذا من المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل.

وباب فضائل أبى حنيفة، والشافعى، وذمهم ليس فيه شىء صحيح، وكل ما ذكر من ذلك فهو موضوع ومفترى.

وباب فضائل البيت المقدس، والصخرة، وعسقلان، وقزوين، والأندلس، ودمشق ليس فيه حديث صحيح، غير: «لاتشد الرحال إلا إلى

---

(١) رواه الإمام أحمد، ولفظه عند مسلم عن أبى بن كعب رضى الله عنه كاملاً وانظر زاد المسير (ج١ ص٣٠٢).

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه حديث رقم (٨٠٥)، والترمذى حديث رقم (٢٨٨٦) وأورده النووى فى رياض الصالحين (ص ٤١٩ حديث ٢/ ٩٩٢).

(٣) متفق عليه أخرجه البخارى (٩/ ٥٠)، ومسلم رقم (٨٠٨)، وأبو داود حديث رقم (١٣٩٧)، والترمذى (٤٨٨٤).

(٤) أخرجه البخارى (٤/ ٣٩٦، ٣٩٨).

(٥) أخرجه مسلم فى صحيحه حديث رقم (٨١٢).

(٦) أنظر سنن الترمذى حديث (٢٠٥٩)، وابن ماجه حديث (٣٥١١).

(٧) أخرجه مسلم فى صحيحه حديث رقم (٨٠٩)، وأبو داود حديث رقم (٤٣٢٣)، والترمذى حديث رقم (٢٨٨٨)، وأحمد فى مسنده (ج٥ ص١٠٦).

(٨) لا أصل له كما ذكر المصنف رحمه الله تعالى.

(٩) لا أصل له

(١٠) لا أصل له

ثلاثة مساجد»[١]، «وحديث سئل عن أول بيت وضع فى الأرض فقال: المسجد الحرام، قيل: ثم ماذا؟ قال: ثم المسجد الأقصى»[٢] .

وحديث: «إن الصلاة فيه تعدل خمسمائة صلاة» وباب. إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً. قال جماعة لم يصح فيه حديث، وجماعة قائلون بصحته، وقد أورده أكابر أهل الحديث فى مصنفاتهم.

وباب استعمال الماء المشمس، لم يصح فيه حديث، وباب تنشيف الأعضاء من الوضوء لم يصح فيه حديث، وباب تخليل اللحية، ومسح الأذنين والرقبة، لم يصح فيه حديث، وباب النهى عن دخول الحمام لم يصح فيه شىء.

وباب بسم الله الرحمن الرحيم آية من كل سورة لم يصح فيه حديث، وباب لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد، لم يصح فيه شىء، وباب جواز الصلاة خلف كل بر وفاجر لم يصح فيه شىء.

وباب إثم الإتمام، وإثم الصيام فى السفر لم يصح فيه حديث، وباب لا صلاة لمن عليه صلاة لم يصح فيه شىء.

وباب القنوت فى الفجر، والوتر، لم يصح فيه حديث. بل قد ثبت عن بعض الصحابة فعل القنوت.

وباب النهى عن الصلاة على الجنازة فى المسجد، لم يصح فيه حديث، وباب رفع اليدين فى تكبيرات صلاة الجنازة لم يصح فيه شىء، وباب الصلاة لا يقطعها شىء لم يثبت فيه شىء.

وباب صلاة الرغائب وصلاة نصف شعبان، وصلاة نصف رجب، وصلاة الإيمان، وصلاة ليلة المعراج، وصلاة ليلة القدر، وصلاة كل ليلة من رجب وشعبان ورمضان، هذه الأبواب لم يصح فيها شىء أصلاً.

---

(١) حديث صحيح.

(٢) أخرجه البخارى ومسلم.

وباب صلاة التسبيح لم يصح فيه حديث، وباب زكاة الحلى لم يثبت فيه شيء، وباب زكاة العسل مع كثرة ما روى فيه لم يثبت فيه شيء، وباب زكاة الخضروات لم يثبت فيه شيء، وباب السؤال اطلبوا من الرحماء، ومن حسان الوجوه. وكل ما فى هذا المعنى مجموعة باطل.

وباب فضل المعروف والتحذير من التبرم بحوائج الخلق، لم يثبت فيه شيء، وباب فضائل عاشوراء، ورد استحباب صيامه، وسائر الأحاديث فى فضله، وفضل الصلاة فيه والإنفاق، والخضاب، والادهان، والاكتحال، وطبخ الحبوب وغير ذلك مجموعه موضوع ومفترى.

قال أئمة الحديث: الاكتحال فيه بدعة ابتدعها قتلة الحسين، وباب صيام رجب وفضله لم يثبت فيه شيء، بل قدر ورد كراهة ذلك، وباب الحجامة تفطر الصائم، لم يصح فيه شيء، وباب حجوا قبل أن لاتحجوا، وحديث من أمكنه الحج ولم يحج، فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً، لم يثبت فيه شيء.

وباب كل قرض جر منفعة فهورباً، لم يثبت فيه شيء، وباب لانكاح إلا بولى وشاهدى عدل لم يصح فيه شيء.

وباب الأمر باتخاذ السرارى لم يثبت فيه شيء، وباب مدح العزوبة لم يثبت فيه شيء، وباب حسن الخط والتحريض على تعلمه لم يثبت فيه شيء، وباب النهى عن قطع السدر، لم يثبت فيه شيء.

وباب فضل العدس، والباقلاء، والجبن، والجوز، والباذنجان، والرمان، والزبيب، لم يصح فيه شيء، وإنما وضع الزنادقة فى هذه الأبواب أحاديث، وأدخلوها فى كتب المحدثين، شينا للاسلام خذلهم الله تعالى.

وباب فضل اللحم وأن أفضل طعام الدنيا والآخرة اللحم لم يثبت فيه شيء، وباب النهى عن قطع اللحم بالسكين لم يثبت فيه شيء.

وباب فضل الهريسة لم يثبت فيه شىء، والجزء المشهور فى ذلك مجموع أحاديثه مفترى، وباب النهى عن أكل الطين لم يثبت فيه شىء، وباب الأكل فى السوق لم يثبت فيه شىء.

وباب فضائل البطيخ، لم يثبت فيه شىء، وأحاديث كتاب الطبيخ مجموعها باطل وموضوع، والثابت من تلك الجملة «أن رسول الله ﷺ كان يأكل البطيخ».

وباب فضائل النرجس والمرزنجوش، والبنفسج، واللبان، لم يثبت فيه حديث، وحديث من شم الورد وحديث خلق الورد من عرقى. وأمثال هذه كلها موضوعه باطلة.

وباب فضائل الديك الأبيض لم يثبت فيه شىء والحديث المسلسل المشهور فيه الديك الأبيض صديقى، باطل وموضوع.

وباب فضائل الحناء ليس فيه شىء صحيح، وباب النهى عن نتف الشيب لم يثبت فيه شىء، وباب التختم بخاتم من عقيق، والتختم فى اليمين لم يثبت فيه شىء، وباب النهى عن عرض الرؤيا على النسوان لم يصح فيه شىء.

وباب كراهة الكلام بالفارسى لم يثبت فيه شىء، وحديث كلمة فارسية ممن يحسن العربية لمن يحسنها خطيئة خطأ، وباب ولد الزنا، والمشهور من ذلك ولد الزنا لا يدخل الجنة لم يثبت بل هو باطل.

وباب ليس لفاسق غيبة، وما فى معناه، لم يثبت فيه شىء، وباب ذم السماع لم يرد فيه حديث صحيح، وباب اللعب بالشطرنج ليس فيه حديث صحيح.

وباب لاتقتل المرأة إذا ارتدت ماصح فيه حديث، بل صح خلاف ذلك «من بدل دينه فاقتلوه».

وباب إذا وجد القتيل بين قريتين ضُمن أقربهما ما ثبت فيه شىء.

وباب من أهديت له هدية وعنده جماعة فهم شركاء ماثبت فيه شيء، وباب ذم الكسب وفتنة المال، ماثبت فيه شيء.

وباب الحجامة واختيارها فى بعض الأيام، وكراهتها فى بعضها، ما ثبت فيه شيء، والثابت فى هذا الباب أنه أمر بالحجامة، «مر أمتك بالحجامة» وحديث الصحيحين «إن كان فى شيء شفاء ففى شرطة حجام أو فى شربة عسل أو لذعة بنار».

وباب الاحتكار فيه أحاديث كثيرة منقولة، ولم يصح فيه شيء سوى حديث مسلم: «من احتكر فهو خاطيء» وبعضهم يقول هو منسوخ، وبعضهم يحمله على أنه إن أضر بأهل ذلك المقام أولا.

وباب مسح الوجه باليدين بعد الدعاء ما صح فيه حديث. وباب موت الفجاءة ما صح فيه شيء، وحديث أنها راحة للمؤمن، ووخذه أسف للكافر ماثبت فيه شيء، وباب الملاحم والفتن، والمروى فى ذلك من أن أمير المؤمنين علياً قال للزبير فى يوم الجمل: أنشدك الله: هل سمعت رسول الله ﷺ فى سقيفة بنى فلان يقول: ليقاتلنك وأنت ظالم له؟ لم يثبت ولم يصححه أهل الحديث.

وباب ظهور آيات القيامة، فى الشهور المعينة، ومن المروى فيه يكون فى رمضان هذه، وفى شوال همهمة، إلى غير ذلك ماثبت فيه شيء، ومجموعه باطل، وباب الإجماع حجة لم يصح فيه حديث.

وباب القياس حجة لم يثبت فيه شيء، وباب ذم المولودين بعد المائة لم يثبت فيه شيء، وباب وصف مايقع بعد مائة وثلاثين سنة، وبعد مائتى سنة، وبعد ثلاثمائة سنة، ومذمة أولئك القوم، ومدح الانفراد، والتجرد فى ذلك الوقت مجموعه باطل ومفترى، وحديث الغرباء ثلاثة: قرآن فى جوف ظالم، ومصحف فى بيت لا يقرأ فيه، ورجل صالح بين قوم سوء باطل، وباب ظهور الآيات بعد المائتين، لم يثبت فيه شيء.

وباب مذمة الأولاد فى آخر الزمان وقول: لأن يزنى أحدكم بجرو كلب خير له أن يزنى بولد، وحديث يكون المطر قيظاً والولد غيظاً لم يثبت من الأحاديث شىء، وباب تحريم القرآن بالألحان والتغنى لم يثبت فيه شىء بل ورد خلاف ذلك فى الصحيح وهو أن النبى ﷺ دخل مكة يوم الفتح، وهو يقرأ سورة الفتح ويرجع فيها. قال الراوى والترجيع.

وباب تخليل النبيذ لم يصح فيه حديث، وباب إذا سمعتم عنى حديثاً فاعرضوه على كتاب الله فإن وافقه فاقبلوه، وإلا فردوه، لم يثبت فيه شىء، وهذا الحديث من أوضع الموضوعات، بل صح خلافه «ألا أنى أوتيت القرآن ومثله معه».

وجاء فى حديث آخر صحيح «لاألفين أحدكم متكئاً على متكئه يصل إليه عنى حديث فيقول. لانجد هذا الحكم فى القرآن، ألا وإنى أوتيت القرآن ومثله معه»، وباب انتفاع أهل العراق بالعلم، والمشى إلى طلب العلم حافياً، والتملق فى الطلب، وعقوبة المعلم الجائر على الصبيان، والدعاء بالفقر على المعلمين، لم يصح فيه شىء.

وباب الحاكة وذمهم ومدحهم، لم يثبت فيه شىء. وباب إنشاد الشعر بعد العشاء.

وحفظ العرض بإعطاء الشعراء، وذم التعبد بغير فقه. ومذمة العلماء الذين يمشون إلى السلاطين ومسامحة العلماء، وزيارة الملائكة قبور العلماء، لم يثبت فيه شىء، وباب افتراق الأمة إلى اثنتين وسبعين فرقة لم يثبت فيه شىء، والله أعلم بالصواب.

الفهرس

رقم الإيداع ٩٧/٤٤٦٥
الترقيم الدولى .I.S.B.N
977-294-019-1

طبع : آمون
العنوان : ٤ عطفة فيروز ـ متفرع من اسماعيل أباظة

